

قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية

مقدمة

إعداد الطالـــــــــم:

ملیكة قادری

الإسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
د. عمر فرحاتي	استاذ محاضر	بسكرة	رئيسا
د. حسين بوقارة	استاذ التعليم العالي	الجزائر	مشرفا و مقرر
د. عمر بغزوز	استاذ محاضر	□□□□	عضوا مناقشا
د. مصطفى □□□	استاذ محاضر	الجزائر	عضوا مناقشا

مفهوم الحرب العادلة في السياسة الخارجية
الأمريكية
التدخل الأمريكي في العراق - دراسة حالة -



أولى بالشكر رب الشاكرين فالحمد لله رب العالمين.

يقول رسول الله () :

" من اصتنع إليكم معروفا، و عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا
أنكم قد شكرتم فإن الشاكر يحب الشاكرين "

()

" حسين بوقارة "

قدمتموه لي من عون لإنجاز هذا العمل، لكم أيضا أساتذتي الكرام: .حسين
. رابح بلعيد، أ. . عبد العزيز جراد، أ.

. مبروك غضبان، و لكل أساتذتي بجامعة قسنطينة.

خاص للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا
البحث مع المذرة المسبقة على أي هفوة أو تقصير في العمل.
بالشكر الأستاذ مصطفى صايح على نقده البناء للعمل.

لكل من علمني حرفا فقد صرت له عبدا، لكم جميعا كل دعائي و شكري



يحدث أن تكون اللغة قاصرة و ينسحب الشاعر أمام اللحظة

و تنكمش الحروف عند قدميكما:

يا من أهدت ظهرها للشمس لأنتشي بحليبها

إليك مدفن غربتي و انكساري

*** أمي الحبيبة ***

و إليك يا من باع عمره للزمن ليشتري شبابي

إليك مرفأ ضعفي و انهزامي

*** أبي الحبيب ***

إليكما و كفى أهدي ثمرة جهدكما

أيامي بعد كل خيباتي

الفهرس

1.....	
6.....	:
6.....	- تمهيد
7.....	- : مفهوم الحرب الع
7.....	1- تعريف الحرب
9.....	2- تعريف الحرب العادلة
14.....	- : الخلفيات الفلسفية لمفهوم الحرب العادلة
24.....	- : نظرية الحرب العادلة
25.....	1- مصادر نظرية الحرب العادلة
26.....	2- عناصر نظرية الحرب العادلة
28.....	- : موقع نظرية نظريات العلاقات الدولية
28.....	1-
32.....	2- الحرب العادلة في الفكر الليبرالي
36.....	-
37.....	: ساسية لسياسة الخارجية لأمركية
37.....	- تمهيد
39.....	- : قوة العسكرية في السياسة الخارجية الأمركية
40.....	1- تطور القوة العسكرية الأمركية
45.....	2- دور القوة العسكرية في صناعة القرار الخارجي الأمريكي
47.....	- : في السياسة الخارجية الأمركية
47.....	1- دور الاقتصاد في التاريخ الأمريكي
52.....	2- لإعتبارات الاقتصادية في السياسة الخارجية الأمركية
57.....	- : الديني في السياسة الخارجية الأمركية
57.....	1- تحديد مفهوم الدين و أهميته
58.....	2- مكانة الدين في الحياة السياسية الأمركية
62.....	3- البعد الديني في السياسة الخارجية الأمركية
65.....	- : الديمقراطي في السياسة الخارجية الأمركية
65.....	1- ماهية الديمقراطية
66.....	2- الديمقراطية و السياسة الخارجية الأمركية
71.....	-
73.....	: الحرب العادلة في الخطاب السياسي الأمريكي
73.....	- تمهيد
75.....	- : 11 2001 - الحدث و التداعيات -
77.....	1- نقد الرواية الرسمية ل
83.....	2- 11 2001

89.....	سياسة الخارج :	-
89.....	1- مقارنة المحافظين الجدد للسياسة الخارجية.	-
96.....	2- الحرب العادلة في فكر المحافظين الجدد.	-
99.....	عادلة في مذهب بوش الابن :	-
99.....	1- مذهب بوش الابن لمكافحة الإرهاب.	-
107.....	2-	-
112.....	: الحرب العادلة في الفكر الاستراتيجي الأمريكي.	-
112.....	1- الاستراتيجية الاستباقية الأمريكية.	-
119.....	2- الحرب بين العدالة	-
124.....		-
125.....	- : الحرب الأمريكية على العراق-	-
124.....	- تمهيد	-
126.....	: العلاقات الأمريكية العراقية.	-
127.....	1- حرب الخليج الأولى (قادسية صدام)	-
130.....	2- حرب الخليج الثانية ()	-
134.....	3- 11 2001.	-
139.....	: أسباب الحرب الأمريكية على العراق.	-
139.....	1- مبررات الحرب الأمريكية على العراق.	-
139.....	1-1	-
144.....	2-1 نظام صدام حسين	-
147.....	3-1يمقراطية	-
151.....	2- الأهداف الأمريكية من الحرب على العراق.	-
151.....	1-2	-
155.....	2-2 دعم اسرائيل	-
159.....	3-2 الدين	-
166.....	: الحرب على العراق بين الشرعية و الموقف الدولي.	-
166.....	1-	-
168.....	1-1 انتهاك مبدأ الحل السلمي في الأمم المتحدة.	-
169.....	2-1 انتهاك مبدأ حظر اللجوء إلى القوة في العلاقات الدولية.	-
170.....	3-1 انتهاك مبدأ حظر التدخل في الشؤون الداخلية للدول.	-
171.....	4-1 انتهاك مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.	-
171.....	5-1 عدوانية الحرب الأمريكية على العراق.	-
173.....	2-	-
174.....	3-	-
174.....	1-3	-
175.....	2-3	-
176.....	3-3	-
178.....	: نتائج و تداعيات الحرب الأمريكية على العراق.	-
178.....	1- نتائج الحرب على الطرف الأمريكي.	-
178.....	1-1 استراتيجية	-
179.....	2-1 بشري	-

179.....	اقتصادي 3-1	
181.....	سياسيا 4-1	
182.....		-2
182.....	بشرى 1-2	
183.....	اجتماعيا 2-2	
186.....	اقتصادي 3-2	
187.....	سياسيا 4-2	
188.....	ثقافيا 5-2	
191.....		-
192.....		-
199.....		-

مقدمة

بدي من الواضح بعد نهاية الحرب الباردة قد تغيرت توازناته الإستراتيجية، على إثر إنتهاء المد الشيوعي وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى ووحيدة. ومن جانب الشرعية الدولية فقد فرض هذا الإنتقال من نظام الثنائية القطبية إلى نظام الأحادية القطبية ضرورة بناء منظومة دولية بديلة لضمان السلم و من الدوليين، خاصة أن نهاية الصراع الإيديولوجي بين القوتين العظميين لم

ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة القطب فقد تبنت فكرة تحمل مسؤولية بكل متغيراته من منطلق نزوغها الإمبراطوري الأمر الذي فرض عليها وضع مقاربة لسياساتها الخارجية تتماشى وديناميكيات النظام الدولي الجديد أهم ما يميز هذه المقاربة هو البحث عن عدو بديل أو حافز لسد الفراغ الإستراتيجي الذي خلفه الإتحاد السوفيتي، يشكل جوهر بناء السياسة الخارجية الأمريكية، لتدخل الولايات المتحدة فترة من اللاتيقين الاستراتيجي.

لقد ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تعيش فترة من الغموض والحيرة الإستراتيجية 11 2001 (هجمات نيويورك و) – بكل ما وصفت به من أنه تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية وأيضا منعطف جوهري في العلاقات الدولية وبأنها بداية لتغيرات جيواستراتيجية في النظام الدولي الجديد – لتشكل فاعل في زمن الإنكشاف الإستراتيجي الذي دخلته الولايات المتحدة الأمريكية بعد هذه ا أحداث والذي شكل فيها الإرهاب كظاهرة هولامية عابرة للقارات العدو البديل للمد الشيوعي.

وبالعودة إلى الإشكالية الأزلية المبنية على صراع الخير والشر الوصول إلى الخير

هذا النظام وإطار فعال لتحقيق الخير جاءت فكرة الحرب العادلة على إعتبار أن الحرب ليست في ذاتها سوى سلوكا عدوانيا مدانا وإنما تستمد مشروعيتها من كونها وسيلة لتحقيق الخير فهي بهذا

لأجل هذا جاء الخطاب السياسي الأمريكي بعد أحداث 11 2001 صريحا من حيث تجنيد الولايات المتحدة الأمريكية لفواعل النظام الدولي مكافحة الإرهاب الأنظمة الإرهابية تحقيق معادلة الخير، ولعل أبرز هذه المحاربة تجسدت في الح مريكية

والذي تراه الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول المارقة الشريرة بعد تقسيمها العالم إلى عالم الخير وعالم الشر.

*** مبررات إختيار الموضوع :**

إن أهمية دراسة موقع مفهوم الحرب العادلة من السياسة الخارجية الأمريكية تنبع أساسا (برأي) ممايلي :

1- ميول الطالب الشخصية :

تعود بالدرجة الأولى إلى اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية مفهوم الحرب العادلة من السجل اللاهوتي كمحاولة لتبرير حروبها على الإرهاب، وأيضا محاولة الباحث كشف النقاب من واقع وأسباب وأهداف ونتائج الحر كما أن دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية تنثير ناهيك عن أن أحداث 11 2001 نها أحداث حدثت وتحدث إلا أنها أثارت الرأي العام العالمي قلام الباحثين في إكتشاف سر فكري الذي أثارته أحداث كان يمكن أن تكون عابرة.

2- المبررات الموضوعية :

كون الموضوع يعكس أكثر من غيره الإختصاص الذي يدرسه حيث يعتبر موضوع سياسة خارجية جوهر العلاقات الدولية إلى درجة أن هناك من يرى أن العلاقات الدولية هي مجموع السياسات الخاجية .

من جانب آخر لا أحد ينكر حجم الضجة الإعلامية التي أحدثتها أحداث 11 2001 في كل وحدات المجتمع الدولي بحكم إرتباطها بالولايات المتحدة الأمريكية الدولة القطب، ناهيك عما نتج عن أحداث سبتمبر من إستقطاب لمفهوم الحرب العادلة والذي يعد إنعكاس ولو جزئي لدراسة تأثير البعد الديني في العلاقات الدولية هذا البعد الذي يظل الجانب الجوهري في تحديد طبيعة العلاقات بين الدول سواء كانت ودية و نزاعية حتى وإن كان إعلانه .

أضف إلى هذا محاولة ثراء المكتبة الجزائرية المفتقرة لمثل هذه المواضيع خاصة باللغة العربية.

* إشكالية :

اعتبارا لما تقدم انطلقنا في بحثنا للإجابة على الإشكالية التالية:

هل مقالة السياسة الخارجية الأمريكية المستندة إلى مرجعية الحرب
2001 واء خطر الإرهاب كعدو يمثل تحولا نوعيا في
دلالاتها؟.

ثم من الأسئلة الفرعية التالية :

- * بالاستناد إلى شروط نظرية الحرب العادلة هل يمكن وصف الحرب الأمريكية في العراق
- * ما هي الخلفيات و الدوافع التي أدت بصانع القرار الأمريكي إلى التركيز على مفهوم الحرب العادلة في السياسة الخارجية الأمريكية ؟
- * هل تشكل أحداث 11 2001 لحظة فارقة في تشكيل سياسة خارجية أمريكية جديدة
- * هل إستناد الولايات المتحدة الأمريكية لمرجعية الحد تغذية الفكر الأمريكي ؟
- * هل فكرة شن حرب مطولة على الإرهاب في نموذجها العراقي تقود الولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة على العالم ؟
- * ما تأثير الحرب الأمريكية على الإرهاب (في العلاقات الدولية ؟

* فرضيات :

- نحاول في هذا البحث الإجابة على الإشكالية السابقة على ضوء الفرضيات التي نصوغها كمايلي :
- 1/ الإنتقال من آلية تشريع الحرب من داخل المنظمة الأممية إلى مبدأ شرعية الحرب الذاتية ضمن نه مجابهة خطر الإرهاب الدولي و من ثم تحقيق السلم والأمن الدوليين.
 - 2/ نتقال الفكر الإستراتيجي الأمريكي من المخاطر المتولدة عن ظاهرة الإرهاب.
 - 3/ إنتقال السياسة الخارجية الأمريكية من الإحتواء إلى تغيير الأنظمة في الدول التي أدرجت قائمة الدول الراحية للإرهاب أو حتى التي من شأن أنظمتها خلق هذه الظاهرة يقلل من خطر الأنظمة الإرهابية.

4/ تجنيد أمريكا للقوات العالمية لمواجهة الإرهاب ينقلها من قيادة المجتمع الدولي إلى السيطرة عليه.

* المقاربة المنهجية :

إن غياب منهج علمي متكامل يمكن الإعتماد عليه لى الحقيقة العلمية كغاية كل بحث علمي يفرض علينا الإعتماد على المناهج المتكاملة التي تساعدنا في تسليط الضوء على جميع جوانب الموضوع بغية الوصول لتحليل دقيق وموضوعي ومن المناهج المعتمدة في هـ البحث مايلي :

- المنهج التاريخي : ومن خلاله يمكن الرجوع إلى جذور الموضوع سواء من خلال تأصيل المفاهيم من خلال وضع السياسة الخارجية الأمريكية بكل منطلقاتها في سياقها التاريخي ناهيك عن التطرق للعلاقات الأمريكية العراقية.
- المنهج المقارن : وذلك من خلال مقارنة الظواهر والأحداث مع بعضها البعض والذي يظهر في خلال المقارنة الضمنية بين مقارنة السياسة الخارجية الأمريكية لفترة إدارة بوش الابن وما قبلها.

- منهج دراسة الحالة :

بما أن الحرب على الإرهاب التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 2001 هي حرب شاملة كما جاء على لسان صناع القرار الأمريكي أن دراسة هذه الحرب شكلها العام لا يوقفنا على حقيقتها بقدر ما يكون باختيار حالة للدراسة اعتمدنا على منهج دراسة الحالة في هذا لجزء من كل وهو العراق من مجموع دول الخانة الأمريكية السوداء.

* _____ :

مهوم الحرب العادلة في السياسة الخارجية الأمريكية دراسة حالة العراق تبيننا خطة بحث تمثلت فيمايلي :

- :

* _____ : نتناول فيه الإ

مفهوم الحرب الخلفيات الفلسفية لهذا المفهوم وأيضا الجانب النظري للموضوع ومدى تقاطعه مع نظريات العلاقات الدولية تبيننا النظرية الواقعية والنظرية الليبرالية باعتبارهما نظريات عامة ومتأصلة في العلاقات الدولية وأيضا لما يخدم هذا الإختيار موضوع .

* _____ : خصصنا هذا الفصل لأهم المنطلقات التي تتبني عليها السياسة الخارجية الأمريكية والتي هي انعكاس لفكرة تحقيق المصلحة القومية بدورها تتبني عليها السياسة الخارجية الأمريكية فكانت ثلاثية الثروة + الدين/القيم و هي أهم المنطلقات حيث العسكرية والجانب الإقتصادي ثم الديني بالإضافة إلى جانب قيم يتمثل في المنطلق الديمقراطي في السياسة الخارجية الأمريكية نظرا للدور الذي يلعبه هذا المنطلق في السياسة الخارجية الأمريكية الحرب الأمريكية على الإرهاب .

* _____ : نتناول فيه تأصيل الموضوع من خلال الربط بين الفصلين السابقين أي على تحليل طبيعة مفهوم الحرب العادلة في السياسة الخارجية الأمريكية بشكل عام المحافظين الجدد بشكل خاص، في إستراتيجيتها الإستباقية وإدارة بوش الابن لمذهب بوش ا بن في محاربة الإرهاب 2001 11 وتداعياتها دون الاكتفاء بالرواية الرسمية للأحداث.

* _____ : وفيه دراسة حالة العراق وذلك بتسليط الضوء على طبيعة العلاقات الأمريكية العراقية وأيضاً أسباب وأهداف ونتائج هذه الحرب وموقعها من الشرعية الدولية قانونيتها.

* _____ : فيها أن نثبت صحة أو خطأ الفرضيات التي سقناها في بداية الدراسة ثم نخلص إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الفصل الأول

الإطار النظري للحرب العادلة

تمهيد

إن التاريخ الإنساني يشهد أن ظاهرة العنف و الصراع هما جوهر الطبيعة الإنسانية التي تتحكم فيها نوااميس المحدودية فهذه الطبيعة بدأت و لازالت و ستظل تعكس صراع بين الذات و رغباتها و بين الآخرين، هو صراع أزلي بين الخير و الشر، بين الحق و الباطل. ولعل من هنا استمد " المانويون " • فكرتهم في تقسيم العالم إلى ملائكة و شياطين و بأن أي صراع في العالم هو صراع بين الملائكة كرمز للخير و الشياطين كرمز للشر كان هذا الصراع قد غدى من المسلمات في الأدبيات الإنسانية فالداعي : هل ينهج الملائكة في صراعهم هذا، نهج الشياطين؟ بمعنى هل الملائكة بحاجة لأن يكونوا شياطين حتى يتمكنوا من القضاء على الروح الشريرة التي بالشياطين؟ و هل يظل الملائكة ملائكة حتى و إن لبسوا رداء الشياطين فقط لإعلاء الخير و القضاء على الشر؟. هذا الإشكال الفلسفي هو جوهر ما سيتم تحليله في هذا الفصل ، و الذي سنتطرق فيه لمفهوم الحرب العادلة – كانعكاس لهذا الإشكال – و نظريتها و موقع هذا المفهوم في تاريخ العلاقات الإنسانية و الدولية.

• نسبة للمانوية و هي عقيدة فارسية الأصل تقوم على فكرة الصراع بين الخير و الشر.

: مفهوم الحرب العا

يقال " أن الشعوب السعيدة لا تاريخ لها " و يقول " " في كتابه " " حتى الآن، إنها الحرب التي ملأت فصول كتب التاريخ، السلام لم يصف هنا وه بعض الهوامش ". من خلال هذه المقولات و التي تدل على أن الحرب شئنا أم أبينا تبقى المحرك الفعلي للتاريخ و من ثم للعلاقات الدولية أيا كانت هذه الحرب و بكل مدلولاتها، ارتأى تسليط الضوء و تحليل ظاهرة الحرب.

أما عن الحرب العادلة و هي محاولة لتغطية الفصول بالهوامش، ارتأينا قبل حصر هذا المفهوم التطرق لمختلف التعاريف التي أعطيت للحرب، ذلك أن الحديث عن الخاص لا يتم إلا بتحديد العام و ما

1- تعريف الحرب:

يذهب الفيلسوف اليوناني " (347-424 .) إلى تعريف الحرب بأنها " الحالة الطبيعية سياسية بجماعة أخرى ".¹ و هو بهذا التعريف لا يعتبر الحرب حدثا يحتاج لتبرير، و إنما هي حالة طبيعية ملازمة للعلاقات الإنسانية و من ثم السياسية بكل جوانبها. أما المفكر السياسي الإيطالي " نيكولا ميكافلي " (1527-1469) في كتابه - - فيقول " جد صلات وثيقة قوية بين هاتين الحالتين أو الحياتين - السياسة و الحرب - و أنهما ليستا فقط تكملان بعضهما البعض بل إنه من الضروري أن ترتبطا وثيقا و أن تتحدا معا اتحادا قويا ".² " " يعتبر الحرب حالة طبيعية، فإن " ميكافلي " يذهب لأبعد من ذلك، فهو لا يراها مجرد مكمل و استمرار للسياسة بوسائل أخرى كما يذهب لذلك " كارل فون كلاوزفيتش " (1831-1780) بل و يعتبرها ضرورة ملحة في الحياة السياسية.

و يرى " فرنسوا فولتير " أن السلام فكرة خيالية مثالية، و أن استخدام القوة أمر طبيعي، و مشروع. أنه يقسم العالم إلى ذئاب و حملان و حسب حسه من المستحيل منع الذئاب من افتراس الحملان. فهو بدوره

يؤكد على مدى طبيعية الحرب و كأن الإنسان حقا كما قال " توماس هوبز " (1679-1588)

لأخيه الإنسان.³

¹ - أحمد سويلم العمري، " أصول العلاقات السياسية الدولية " (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1959) . 117

² - عدنان السيد حسن، " نظرية العلاقات الدولية " (بيروت: دار أمواج للنشر و التوزيع، ط1 2003) . 78

³ - أحمد سويلم ال . 117

و هو ما تؤكدُه النظرية الاجتماعية للحرب المستمدة من أفكار " داروين " المجتمع البشري ينمو و يتطور من خلال الصراع و المنافسة توخيا لبقاء الأقوى، شأنه في ذلك شأن سائر الكائنات الحية، و تقود هذه النظرية إلى اعتبار الحرب ظاهرة طبيعية للتطور الحضاري، حيث يتقدم الأقوى و يتراجع الأضعف المع¹.

كما يقول " " :

الخليقة منذ براها الله، و أصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض و يتعصب لكل منها أهل عصبية² " " ظاهرة أزلية ظهرت بظهور الإنسان، ذلك أن بعض الأنفس البشرية يتغلب عليها الجانب الشرير فتسعى للانتقام من الذات و من الآخرين فتتخذ من الحرب وسيلة لذلك إرادة الانتقام بين البشر و العصبية هي أصل الحرب.

في حين يرى الأستاذ " ريمون آرون " " الحرب هي عمل من أعمال العنف، تستهدف به إكراه الخصم على تنفيذ إرادتنا " ³

و بهذا التعريف يضع الأستاذ " " وجه آخر للحرب، فهو على غرار الباحثين و الفلاسفة الآخرين يجرد الحرب من أي تبريرات و يعتبرها مجرد وسيلة لتحقيق الأهداف و إجبار الآخر على تنفيذ الإرادات الذاتية.

لحرب بأنها " التصادم الفعلي بوسيلة العنف المسلح حسما لتناقضات جذرية لم يعد يجدي معها استخدام الأساليب الأكثر أو الأقل تطرفا، و من هنا فإن الحرب المسلحة تمثل نقطة النهاية في بعض الصراعات الدولية " ⁴

و بهذا التعريف يوضع العنف المسلح كمرادف للحرب، و يعتبرها الحل الأخير الذي لا بد من اللجوء إليه في حالة فشل كل الأساليب الأخرى الأقل دموية و حدة في حل الصراعات الدولية.

" بأنها صراع مسلح بين دولتين أو فريقين من الدول ينشأ لتحقيق مصالح وطنية، و الحرب من حيث الواقع حالة قانونية، معترف بإمكان قيامها. " ⁵

و عليه تخرج الحرب من الحالة الطبيعية إلى الحالة القانونية التي تبرر وقوع الحرب كوسيلة لتحقيق المصلحة الوطنية. و هنا يبرز إشكال آخر حول هوية المصلحة الوطنية، بمعنى هل مصلحة رها، و هنا أيضا يطفو على سطح التحليل قضية شرعية

وجهة تدرس ؟

¹ - عدنان السيد حسن، المرجع السابق، ص 87.

² - " (بيروت:)

³ - محمد طه بدوي، " مدخل إلى علم العلاقات الدولية " (بيروت: الدار المصرية للطباعة و النشر، 1971) 35.

⁴ - إسماعيل صبري مقلد، " نظريات السياسة الدولية " (الكويت: جامعة الكويت، 1982) 213.

⁵ - أحمد عطية الله، " القاموس السياسي " (القاهرة: دار النهضة العربية، ط3 1968) 442.

تعرف الحرب أيضا بأنها " نضال مسلح بين القوات المسلحة لكل من الفريقين المتنازعين، يرمي كل منهما إلى صيانة حقوقه و مصالحه في مواجهة الطرف الآخر." ¹

جاء هذا التعريف ليحصر الحرب في المحاربين بعيدا عن المدنيين إن صح التعبير، فهل هذا الحصر يعطي الحرب ؟ كما و هذا التعريف يحاول الإجابة عن الإشكال الذي يطرحه التعريف الذي يسبقه موضحا أن كلا طرفي النزاع يحاول أن يحارب من أجل حقوقه و مصالحه، حتى و إن أنت هذه الحقوق في نظر الطرف الآخر عتداء و عدوان على حقه، و هو بدوره تسأول آخر عن هوية

مما تقدم يمكن تعريف الحرب على أنها نزاع مسلح بين طرفين يحاول كل منهما إلحاق أكبر خسارة بالآخر من أجل تحقيق مصلحته، سواء تمثلت هذه المصلحة في ا ل تحقيق هدف ما أو من أجل رد هذا . على أنه تبقى الحرب هي الخلية المجددة و الباعثة لدينامكية التاريخ و كذا لتطوير الشعوب و الحضارات، و أيضا هي التعريف الأكثر تدقيقا للسلام من حيث أنه لا بحث عن الأمن و السلام إلا كرد عن ويلات الحرب.

2- تعريف الحرب الـ :

" ألبرت أنشتاين " 1933 " سيغموند فرويد " يجادل بأن كل محاولة لإلغاء الحرب انتهت إلى فشل مؤسف فالإنسان لديه في داخله شهوة للكراهية و الدمار، فوافق " فرويد " و كتب مجيبا أن الناس كالحوانات يحلون مشكلاتهم باستخدام القوة. ²

أصحاب اتجاه مفهوم الحرب العادلة قد اقتنعوا بأن الإنسان حيوان شرير و أن منع الحرب شيء مستحيل، لذلك بدلا من منع الحرب لأبد من تهذيبها و تقنينها. من هنا جاءت فكرة الحرب العادلة و التي يعرفها البعض بأنها " تعبير واضح عن النزعة السلمية الراضية للحرب و الساعية ضوابط أخلاقية صارمة تحول دون استخدام القوة الغاشمة. " ³

هذا التعريف يذهب إلى مجابهة الحرب العادلة للحرب واضعة شروط أخلاقية للحيلولة دون ذلك، و يتنافى و المصطلح ذاته، ذلك أن الحرب العادلة هي حرب لكن بشروط و ليست وسيلة لمنع الحرب، بعبارة أخرى أنه هناك فرق بين أنصار الحرب العادلة المتبنين لفكرة تكبيل الحرب بقيود أخلاقية معيارية، و بين أنصار أو أصحاب فكرة اللاعنف الراضين للحرب في حد ذاتها أي كانت أسبابها أو تبريراتها.

¹ - علي صادق أبو هيف، " (الإسكندرية: 779 (1975

² - " العقل العراقي يفكك العقل الأمريكي " : <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=91575/10/02/2007>

³ - سن أبو هنية، " المسؤولية الأخلاقية و استراتيجية الحرب العادلة " : <http://www.alghad.jo/?news=37416/14/02/2007>

أما في الفكر اليوناني فيذهب " (322-384 .) "

تحفظ السلم حتى يستطيع الإنسان أن يعيش ويتعاون مع الآخرين و أن يطور فكره " ¹
فحسب أرسطو الإنسان من حقه أن يشن حربا تضمن له سلاما دائما، طالما هناك منغصات تحول دون
عيش هذا الإنسان و تطوره. ه طالما هناك ما يمكنه أن يحول بين المرء و الرف بين الم
و التحضر فلا ضرر من وجود حرب بإمكانها توفير كل ذلك.

" جيمس جونسون " فيقول: " إن هذه الحرب وسيلة لتأطير الحروب ضمن رؤية أخلاقية يجب أن
تحكم العلاقات بين الدول " ² طالما كانت الحرب محرك لمكونات الوجود طبقا لهدفية يصعب على
في خضم الأحداث أن يستقرئ مدلولاتها، فلا بد من إقحام المقوم الأخلاقي في إدارة الحروب، من
أجل خلق عالم بعيد عن حياة الغاب يحكم و يهذب العلاقات بين الوحدات السياسية، و من ثم يحافظ على

أما القديس " أوغسطين " (354-413) و هو من الرافضين للحرب و نتائجها فيقول: "
و الغزو ضرورة مؤسفة في عيون أصحاب المبادئ... و مع ذلك فإنها ستكون ضرورية كذلك لسوء
الحظ إذا هيمن الشريرون على الخيرين [...] إذا كان الرجال تواقين للقتال بالسلح فهذا لا يعني أنهم
يحبون السلام أقل من ذلك و لكنهم يحبون السلام الذي يصنعونه هم أكثر " ³

و بهذا يرجعنا " أوغسطين " إلى فكرة ضرورة الحرب و تبريرها من حيث أنها ملزمة في حالة الرغبة
في مشروعها . أما عن مشروعية الحرب فيقول القديس أوغسطين :

المشروعة ه التي تقوم ضد أعداء لهم نوايا خبيثة و قد تؤدي نواياهم هذه إلى إلحاق أذى في الطرف
الذي كان يفترض أن يبدأ بالحرب إذا تأخر في القيام بذلك. " ⁴

و هي نفس فكرة الحرب الاستباقية أي في حالة توخي الدولة " " " "
" " . مثلا في حالة إيران و الولايات المتحدة الأمريكية الآن، نفترض أن إيران تسعى من
خلال برنامجها النووي إلى اكتساب القنبلة النووية، و هذا حسب الولايات المتحدة يهددها في عقر دارها
فتبدأ هي بالهجوم على إيران حتى و إن كانت هذه تسعى لحماية نفسها لا استباق الضرر.

و يعرفها " جيرارد باوزر " : " الحرب هي خيار مأساوي لابد من اللجوء إليه بعد محاولة كل الوسائل
[...] إن كل القيم النبيلة في تحقيق العدالة لا يمكن لها أن تكون جزءا من واقعنا بدون وجود
أناس نبلاء يحملون هذه القيم، و إلا فإننا سنستخدم كل هذه الشعارات لتحقيق غايات غير نبيلة. " ⁵

1- ناصيف يوسف حتي، " النظرية في العلاقات الدولية " (بيروت: 1985) 296.

2- ميشال كيلو، " مريكي " : <http://www.altasamouh.net/Article.asp?id=158/01/03/2007>

3- جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف، " النظريات المتضاربة "، ترجمة وليد عبد الحى، (الكويت: مكتبة كاظمة للنشر و التوزيع، 1985)، ص 151.

4- ناصيف يوسف حتي، المرجع السابق، ص 296.

5- مقال دون مؤلف، " مفهوم الحرب العادلة في الديانات الإبراهيمية "، نقلا عن: <http://www.euit.org/article-read.asp?/10/03/2007>

و عليه ينبغي أن لا ينظر للحرب على أنها شر مطلق فهي حسب " الشر المؤدي للخير، ذلك أن العدالة تحتاج حين تعصب عيناها إلى أناس ذوي مبادئ يتحملون عبء تجريدها من عصابتها، حتى وإن كان العنف هو السبيل إلى ذلك طالما فشلت كل الوسائل الودية.

أما الكتاب السوفييت فيرون أن " **عدالة هي دائما تقديمية في أهدافها، فالمحتوى السياسي للحرب العادلة يتمثل في هدفها الرامي إلى تحرير الشعوب من نير القهر و استغلال الذي يقف عقبة كأداء في طريق تطورها** " ¹ و هذا التعريف في جوهره هو أصل تصنيف

الحروب عند السوفييت حيث تعتبر حروب التحرير و الدفاع عن النفس ضمن الحروب العادلة، و حروب التوسع و الإستعمار ضمن الحروب غير العادلة حتى و إن حاول أصحابها تبريرها بكل المبررات.

و قد جاء في الخطاب الشهير " و الذي ألقاه في 06 يناير 1961م و نشرته صحيفة البرافدا

السوفييتية " **ب التحرير الوطني ستستمر طالما بقي ا . إن حروبا من هذا النوع حتمي و لا سبيل إلى تجنبها. إن الشعوب لا تحصل على حريتها و استقلالها إلا بوسيلة الصراع المسلح ضد السيطرة الإمبريالية إنها حروب مقدسة و نحن نعتز بها. و الشيوعيون يؤيدون هذه الحروب العادلة بكل ما يملكون. فظ لأنهم يقف عوب في مسيرتها العادلة نـ ري**

" ².

و هي نفس فكرة " (1540-1483) الذي يرى أن الحرب العادلة أو المشروعة هي التي تحدث للدفاع عن الذات أو حماية الآخرين، فهذه الحرب تنحصر في الدفاع، أي أن الحرب لا تكون عادلة إلا إذا كانت دفاعية. ³

بمعنى أن مشروعية الحرب تكون إذا اضطرت الدولة إلى الإلتجاء للحرب لدفع اعتداء واقع عليها أو لحماية حق ثابت أغتصب دون وجه حق، فالحرب في حالتها هذه تصبح من قبيل الدفاع عن النفس أولا و من قبيل الجراء الذي يحمي حقوق الدول من أن تنتهك أو يعتدى عليها ثانيا. و ينبغي على ذلك أن الحروب التحريرية التي تخوضها الشعوب المستعمرة لاستعادة حريتها أو لطرد الغزاة الذين ينتهكون سيادتها تتصف بالمشروعية دائما. فهي لا تخرج عن نطاق الدفاع عن النفس و السعي إلى كفالة حق كافة شعوب العالم في الحفاظ على حريتها و كرامتها، و على النقيض من ذلك فإنه إذا كان دافع الدولة إلى الحرب السيطرة و الفتح و الرغبة في فرض سلطاتها على غيرها فإنها تصبح من الأعمال غير

¹ - إسماعيل صبري مقلد، " الإستراتيجية و السياسة الدولية- المفاهيم و الحقائق الأساسية- (لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية، 1979)، ص 129.

² - نفس المرجع، ص129.

³ - ناصيف يوسف حتي، المرجع السابق، ص 297.

المشروعة التي يتعين تحريمها تماما، و هو الفرق بين الحروب العادلة و الحروب العدوانية أو الغير عادلة.¹

أما " هوغو غروتيوس " (1583-1645) فيعيدنا إلى فكرة الصراع بين الخير و الشر الذي تبنيهاها في بداية التحليل، حيث يعتبر الحرب مجرد وسيلة لخدمة قضية مشروعة أو محقة، فمشروعية الحرب لا تتحدد بالإمتثال الشكلي للمدونات القانونية الشكلية و إنما بآثارها الأخلاقية.²

و إذا كان البعض يرى من الحرب الضرورة و الوسيلة و من مدى أخلاقيتها تبرير لذلك، فإن الكثيرين يعدون شروطا يرونها ملزمة لشن حربا عادلة، و يرون أنه طالما توافرت هذه العناصر - و التي سنتطرق لها في نقاط آتية - فيجوز للأفراد المشاركة فيها بنية حسنة، و حسن النية يدخل في الغرض من هذه المشاركة و هي نصره الحق- بل و أكثر من ذلك لابد من إجبارهم على ذلك إن استدعى الأمر.³ و هي فكرة قديمة جاءت على لسان القديس " الذي يرى أنه "

ينة ثمة التزام معنوي بشنها " ⁴

نلاحظ من خلال هذه التصورات تداخل مصطلح الحرب العادلة مع مصطلحات أخرى، كالحرب الإستباقية، الحرب المقدسة، الحرب الدفاعية، الحرب المشروعة... و إذا كانت الحرب الدفاعية كما سبق التطرق إليها تنحصر في حروب التحرير و الدفاع عن الذات و الآخرين، فإن الحروب المشروعة هي في جوهرها حروب عادلة، ذلك أن هذه الحروب تتطلب توافر مجموعة من الشروط حتى نضفي عليها صفة الشرعية. أما عن الحرب المقدسة فهي كما يعرفها أحد الباحثين " حرب يشنها الصالحون نيابة عن الرب ضد الكفار و المهرطقين سياسيا أو دينيا " ⁵

و إن كان هناك جانب أخلاقي في هذه الحرب يأخذ منحى الحرب العادلة، إلا أنها تبقى في مجملها ضمن الحروب الدينية كالحروب الصليبية... إلخ، حيث يعتبر الذين يشنونها مفوضين من الله لإحلال السلام و نصره ديانتهم.

في حين تقوم الحرب الإستباقية على فلسفة سياسية تفترض وجود خطر داهم من عدو مجهول، يتهدد الأمن القومي لوحدة سياسية ما، كما تقوم على افتراض أن لا يكون التهديد بالضرورة، حاصلًا بالفعل من دولة أو من منظمة سياسية، إنما يكفي أن يتم تصوره من جانب مراكز التخطيط لأي دولة للمبادرة إلى تلك الحرب.

¹ - ناجي النبال و آخرون، " _____ " (دون مكان نشر: منشورات قطاع الكتاب و التوزيع و الإعلان، دون سنة طبع)، ص 88.

² - ناصيف يوسف حتي، المرجع السابق، ص 296.

³ - مايكل كوريت، جوليا ميتشل كوريت، " الدين و السياسة في الولايات المتحدة "، ترجمة: عصام فايز، ناهد وصفي (القاهرة: مكتبة الشروق، ج1، 2001)، ص 121.

⁴ - جيمس دورتي، روبرت بالستغراف، المرجع السابق، ص 151.

⁵ - مايكل كوريت، جوليا ميتشل كوريت، " الدين و السياسة في الولايات الـ "، ج1، المرجع السابق، ص 121.

كما يشير البعض إلى وجود علاقة بين مفهوم الحرب العادلة و مفهوم التدخل و الذي يعرفه " وايت" بقوله " التدخل هو... تدخلا مباشرا، قويا و عنيفا لا يصل إلى درجة إعلان الحرب بين وحدة أو أكثر من الدول في شؤون دولة أخرى، و لكن الحرب تبقى دائما هي العملية الأخيرة التي تقوم بها الدولة المتدخلة في حالة ما إذا بادرت بها الدولة المتدخل فيها، في محاولة الرد على هذا التدخل غير (contre intervention) " ¹ و للتدخل شكلين: ²

* (défensive intervention): و يعني سعي الدول لعدم تغيير توازن القوى في اتجاه لا يلائم مصالحها كتدخل بريطانيا في العراق لإحباط ثورة رشيد علي الكيلاني و استعادة حكومة السعيد في 1941.

* التدخل الهجومي (offensive intervention): و يهدف إلى إسقاط حكم معين و تغييره كأداة لتبديل توازن القوى القائم في اتجاه يخدم مصالح الدولة المتدخلة، و ذلك باستعمال المعونات الاقتصادية، الضغوطات الدبلوماسية و العسكرية... إلخ، مثال ذلك التدخل الألماني الإيطالي لقلب نظام الحكم في اسبانيا أثناء الحرب الأهلية.

و من خلال هذا التعريف يتضح تنافي مبدأ الحرب العادلة مع مفهوم التدخل، ذلك أن الحرب العادلة تقوم بالأساس لتحقيق الصالح العام أو تخليص شعب ما من حكم ديكتاتوري بغرض إعلاء الخير و العدالة، في حين يقوم التدخل على تحقيق المصلحة الخاصة للدولة المتدخلة حتى و إن كانت الوسيلة ذاتها و هي إسقاط حكم معين مثلا.

مما سبق نخلص إلى أن الحرب العادلة هي محاولة لإضفاء نوع من الأخلاق و الشرعية للحرب، هي أيضا محاولة لتجنيب و صيانة الأبرياء من الضرر الأكيد، و ذلك باللجوء للمقام الأخلاقي في إدارة الحروب. لتبقى أخلاقية الحرب نسبية في جوهرها حيث أنه لا توجد محددات واضحة و ملزمة لكل أطراف النظام الدولي بإمكانها التحكم في أخلاقية الحرب. فالحرب العادلة تبرير للحرب و تخفيف من ويلاتها لطالما امتثل لشروطها لكنها ليست فكرة معادية للحرب و منددة للعنف لذلك تبقى نسبية، فمفهوم المشروعية و الأخقية غامض فما يراه طرف مشروعاً هو عند الآخر اعتداء لطالما غابت مقاييس عالمية يمتثل لها الجميع، فالمقاومة الفلسطينية عادلة عند الفلسطينيين و الرد الإسرائيلي عليها أيضا عادل عند إسرائيل و الولايات المتحدة الأمريكية.

¹ - Martin Wight, « Power Politics », 2nd edition, Penguin books, London, 1982, p191 -193

² - اسماعيل صبري مقلد، " العلاقات السياسية الدولية-دراسة في الأصول و النظريات-"، (الكويت: دار السلاسل، ط4، 1985)، ص

الخلفيات الفلسفية لمفهوم الحرب العادلة :

من المشاكل الكبرى التي تعاني منها البشرية على مدى العصور و الأجيال هي الحروب، و الصراعات الدموية بين الشعوب و الأمم. و الحرب كيفما وقعت لابد و أن يكون فيها طرف ظالم، أو يتقاسم الظلم طرفا الحرب، و كم عانت البشرية من الحروب الظالمة، فالحرب تبقى أيا كان نوعها و مبررها استهلاكاً، و هدر لطاقات الإنسان و تدميرها.

إن تاريخ البشرية يترك في الحلق شوكة بكل ما يتعلق بالحرب، تلك الظاهرة المنتشرة بكثرة و إن اختلف تواترها و تواجدتها بين الشعوب، و كان لبعضها مثل " الإسكيمو " الإعتزاز بعدم ممارستها، فمن الصعب معرفة كم من الشعوب المسالمة قد أبيدت لأن خيار السلام لم يكن عالمياً و بقي قانون الغاب يعطي الأقوى الحق في البقاء و الهيمنة.

خلصنا في حديثنا السابق إلى أن فكرة الحرب في حد ذاتها أزلية، ذلك أن جوهر الإشكال المعرف للتاريخ الإنساني يكمن في ثنائية الخير و الشر، العنف و العدل. ففي السياق اليوناني - و هو المهاد الأصلي للممارسة الفلسفية - لم يكن أحد من الفلاسفة و المفكرين يزكي فكرة الحرب فلا نرى تمجيد للحرب في الفكر الإغريقي بيد أنها درست من حيث الضرورة لا من حيث الجانب القيمي و الأخلاقي، فقد أقر " " و " " بشرعية الحرب من حيث كونها ضرورية و أحيانا واجبة لا من حيث كونها عادلة أو غير عادلة.¹

فنرى أن " " وبالرغم من الفكرة المثالية التي تتبني عليها جمهوريته من كونها المدينة اليونانية الفاضلة، التي يجب أن تكون عليها أثينا و اسبرطا كنموذج عالمي لفكرة الدولة المدينة، فقد سلم بوجود اعتداءات خارجية تتطلب وجود حراس عسكريين للدفاع عن الدولة، و هذا يتنافى و الفكر اليوتوبي المبني عليه الفكر الأفلاطوني، كما و اعتبر أن طموح الإنسان أكثر من رغبته في العيش في حدود الضرورة.² فحسب نظرية الاحتياجات " " أن ندرة الموارد في العالم، و التي يقابلها كثرة الطلب

و الرغبات الإنسانية، هي الدافع الأساسي للحروب ذلك أن الطبيعة الإنسانية مفطورة على حب الذات و الرغبة في إسعادها، و لطالما كان الآخر سببا في تعطيل الحصول على هذه الضالة الأبدية كان لزاما علينا محاربته.

1- السيد نجم، " الحرب العادلة بين المفهوم و التطبيق "، نقلا عن : <http://www.ofouq.com/today/modules.php? 20/03/2007>

2- جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف، المرجع السابق، ص 148 .

في التعريف الإغريقي للحرب رأينا أنها تعد حالة طبيعية لا حاجة لتبريرها، و بالتالي لا وجود لموقف أخلاقي تجاهها فالحرب في نظر "هيرقليط": " أم جميع الأشياء فهي تجعل من بعضهم آلهة، و من الآخرين عبيدا أو رجالا أحرارا." ¹ فالحرب عنده أما تلد كل الكائنات، الجامدة و الحية، تبعا لقوانين الحركية التي هي أساس الوجود و استمراريته.

و رغم استنكار " و " " للحرب إلا أنهما يقران بوجودها، بل و يعتبرانها وسيلة سواء كانت في صورتها الدفاعية أو الهجومية للدفاع عن المدينة - التي تعتبر في نظرهم كائن عضوي - و بالتالي لا تصبح الحرب شرا من حيث أنها وسيلة للوصول إلى الخير.

و قد خضعت الحرب عند اليونان للعديد من الشروط كباقي الحضارات الأخرى كمحاولة لشرعنة الحرب و إضفاء نوع من الأخلاقيات عليها، حيث في وقت الحرب كانت العلاقات بين المدن اليونانية خاضعة لقواعد منها: ²

- لا تبدأ الحرب إلا بعد إعلانها.

- اعتبار المعابد و الملاعب أماكن مصونة حرمة.

- عدم الإعتداء على الجرحى و الأسرى.

و بالرجوع إلى تعريف "هوغو غرو تيو " للحرب العادلة و الذي سبق التطرق إليه في المبحث الأول من البحث، نجده يضع كل رفض قاطع لمبدأ الحرب في خانة اللاواقعية. فهو لا يسعى إلى ردل الحرب باسم مبادئ إنسانية و أخلاقية، بل إلى شرعنتها بضوابط قانونية تتحكم في اندلاعها عند الضرورة القصوى، بعد سقوط كل الوسائل السلمية، و هذا ما حاول الفكر اليوناني تبنيه في تحليله لفكرة الحرب.

ولعل النزعة التشاؤمية التي طغت على النفس اليونانية كانت دافعا محوريا في اللجوء للحرب كحل لأي مشكل و هو ما أكده " بقوله: " أن الوعي الكاسح بالفناء يشيع العتمة في التيار الرئيسي للفكر الإغريقي بأسره. " و يوافقه " قائلا: " تأثر اليونانيون بعمق بالطابع الزائل للأشياء و في الحقيقة كانت هناك نزعة أساسية نحو التشاؤم في نظرهم للحياة. " ³

أما في الفلسفة الصينية و التي تعد الفلسفة الوحيدة التي نشأت على ذم الحرب، فالصينيون و لزمّن قريب يتفاخرون بضعفهم الحربي كما أن الجندي في تدريجهم التقليدي للمراتب في أحط درجة. ⁴

" ففي الصين القديمة، حذر " يوس " و " مينغ تسي " (الذي شرح مبادئ كونفوشيوس) الحكام من الإقدام على حرب عدوانية، و بشر " بمبدأ المحبة العالمية التي لا ينسجم معها إشعال الحروب بين

¹ - غاستون بوتول، " هذه هي الحرب "، ترجمة مروان القناتوي، (بيروت: منشورات عويدات، 1981)، ص 18 .

² - صلاح أحمد هريدي، " تاريخ العلاقات الدولية و الحضارة الحديثة "، (الإسكندرية: دار الوفاء، 2003)، ص 80 .

³ - جاك شورون، " "، ترجمة كامل يوسف، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، بدون سنة الطبع)، ص 35 .

⁴ - غاستون بوتول، المرجع السابق، ص 18 .

الدول، و طبقاً لـ " ، فإن أي فرد يعيش منسجماً مع [و هو المبدأ الأول الذي ينبثق منه كل وجود وتغير في هذا الكون... و هو إثارة لسبيل الفضيلة] لابد أن يمتنع عن المشاركة في أي عمل لتوكيد الذات بما في ذلك الحرب، و لذا فإنه من منطلق رفض التمتع بقتل الآخرين يرى أن الانتصار العسكري مدعاة للأسف أكثر منه مدعاة للغبطة. " ¹

و عن التصورات الدينية للحرب العادلة، نجد أن اليهود يعتقدون بأن الله هو خالق الخير و الشر معاً، فهم يرون بأنه لا وجود لشر مطلق ذلك أنه قد يكون داعم للخير و جزء منه، حيث يذهبون إلى أنه لابد من وجود الظلام لظهور النور فكذلك لابد من وجود الشر لتبيين حقيقة الخير. ² من هذه الفكرة انبثق الفكر العبري عن الحرب حيث أنه في أسفار التوراة إقرار بشريعة الحرب و القتال بدت على أبشع صور التدمير و التخريب و الهلاك و السبي، حيث جاء في سفر التثنية (الإصحاح العشرين عدد 10) " حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح و فتحت لك، ف الموجد فيها يكون لك بالتسخير، و يستعبد إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، و أما النساء و الأطفال و البهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، و تأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك ... " ³

فالحرب عند اليهود بأمر الله و كل ما يحدث فيها من صنعه، فهي إذن حالة أو ظاهرة طبيعية تأتي بإقرار إلهي، و كل ما هو من الله لا يحتاج للتصنيف و لا للوصف بالعدل أو بغيره.

لقد كان هذا الحكم على الحرب من قبل العبرانيين عندما كانت الحروب مناسبة لهم، أي عندما كانت حروب بسيطة صغيرة تدور رحاها بين القبائل و المدن الصغيرة فكانت في نظرهم تكليف و تشريف من الله، أما حينما واجه العبرانيون جيوش أعجمية كبيرة و قوية انقطعت جاذبية الحرب و أصبحت بالنسبة لهم عذاباً مرسلًا من الله. ⁴

و قد ذهب " الحاخام لويس " ممثل المذهب اليهودي إلى تحليل هذه الفكرة، بأن الفهم البدائي للحروب كان بأنها إرادة الله و بشكل جبري و ليس هناك خيار، و لكنه بين و بصورة عامة أن اليهودية ترى و تقر نوعين من الحروب، حروب مطلوبة أو واجبة فهي ضرورية من حيث أنها تشن للدفاع عن النفس و الأرض. و حروب توسعية و هي حروب اختيارية و تتم من خلال استئذان الملك أو المسؤول من المحكمة العليا لليهود و هي غير مفروضة على كل فرد يهودي. ⁵

¹ - جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف، المرجع السابق، ص 148 .

² - جعفر هادي حسن، " اليهود الحسيديم- نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، تقاليدهم- " (دمشق: دار العلم، 1994)، ص 63 .

³ - السيد نجم، المرجع السابق .

⁴ - غاستون بوتول، المرجع السابق، ص 14 .

⁵ - مقال دون مؤلف، " مفهوم الحرب العادلة في الديانات الإبراهيمية "، نقلًا عن: <http://www.euit.org/article-read.asp?/10/03/2007>

نخلص إلى أن اليهود و بايمانهم لفكرة أنهم شعب الله المختار فقد رأوا أن الحرب تكليف و تشريف من الله، فهي حسبهم وسيلة خلقها الله ليتمكنهم من الإستلاء على العالم و من ثم يسخر لهم كل ما فيه.

من خلال ما سبق في هذا المبحث نستشف أنها محاولة لإيجاد مكان للحرب في تاريخ هذه الحضارات و التصورات السابقة، لا مكان للحرب العادلة حيث أن الحرب لحد هذه الحضارات ظاهرة طبيعية لا تحتاج لغطاء أخلاقي قيمى.

لقد قامت العلاقات الدولية في العصور القديمة على التمييز بين الجماعات و الأجناس، فكانت كل أمة تعتقد أنها متفوقة على كل ما عداها من الأمم جنسا و حضارة و ديانة خاصة عند اليهود، حتى جاء المسيح- عليه السلام - يحمل في يده شعار السلام و يبشر به، لا تفرق بينه الأجناس و لا الحدود و لا تفر بفضل أمة على أمة غيرها، و لا تميز جنس على جنس غيره، فقد طالبت المسيحية بالمساواة التامة بين الأفراد، و إن تعذرت هذه المساواة في العالم الزمنى فهي حقيقة بالنسبة للعالم الإلهي الخالد.¹ هذا الدين الذي جاء لينشر السلام و يشجب كل ما فاتته من حروب، و تدمير، و سبي، و إهدار للكرامة الإنسانية، كان من الصعب قبوله لفكرة الحرب أيا كانت دوافعها و مبرراتها.

لقد كان للمسيحية السلفية الأولى من الحرب موقف معادي و رافض لفكرة الحرب أصلا " ضرب بالسيف سيهلك أو يجن " ، و هذه الفكرة هي أصل فكرة اللاعنفة التي تبناها " فيما بعد، فقد حمل المسيحيون الأوائى لواء رسول السلام فكان شعارهم في علاقاتهم سواء الفردية أو الجماعية مبني على شعار المسيح - عليه السلام- إذا ضربك أحدهم على الخد الأيمن أدر له خدك الأيسر.²

أما مع اعتناق الإمبراطور قسطنطين للدين المسيحي و جعله دين رسمي لروما عام 313م، و التأثير الإجماعى للكنيسة و العلماء المسيحيين في القرنين الرابع و الخامس الميلاديين. و بعدما استمدت المسيحية قوتها من القوة الرومانية، أصبح رجال الدين يبحثون عن تبرير دينى للحرب.

و كانت تلك بداية نظرية الحرب العادلة التي صاغها " القديس أوغسطين " و طورها " القديس الإكويني " و غدت أفكار رواد القانون الدولي الأوروبي مثل "فيتوريا"، و "سواريز"³...

لقد كانت بداية هذا التحول من الفكر اللاعنفي إلى الفكر العنفي المبرر و الضروري و المقدس، مع الحروب الصليبية الأولى لسنة 1095م، فهي المرة الأولى التي تم فيها تعريف العنف من جانب الكنيسة على أنه فعل مقدس. " إنها إرادة الرب " كانت هذه العبارة صيحة المعركة التي شن بها " هذه الحملة الصليبية، معلنا أن كل من يحمل شارة الصليب و هو يحارب ينال الغفران و كل من يقتل فيها يضمن مكانا في السماء.¹

¹ - إسماعيل زروخي، " دراسات في الفلسفة السياسية "، (القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع، 2001)، ص 160.

² - جيمس دورتي، روبرت بالستغراف، المرجع السابق، ص 150-151.

³ - عامر الزمالي، " (تونس: المعهد العربي لحقوق الإنسان، ط2، 1997)، ص 9.

وقد كان لازدياد عدد المسيحيين و ارتفاع شأن الدين المسيحي كدين جديد سببا في هذا التحول، لقد فصلت الكنيسة الدين عن السياسة في بادئ الأمر، لكن و مع تبني الإمبراطورية الرومانية للدين المسيحي دخلت معطيات أخرى، فبعد أن كانت الحرب ضد أخلاقيات المسيح الداعي للسلام و التسامح و المحبة أصبحت فضيلة، حيث يقول " القديس أوغسطين " صاحب فكرة الحرب العادلة " إذا ما أمر الله بالقتل بتنزيل خاص أضحي القتل فضيلة " ¹

لقد اعتبرت الحرب وسيلة للسلام لذلك فإن الحرب تصبح ضرورية من حيث أنها شر يدعو للخير، كما يذهب لذلك " القديس أوغسطين " " لسبب الوحيد لتبرير الحرب هو الرغبة في السلام " ² و عليه يمكن القول أن الفكر المسيحي قد انقسم في موقفه من مسألة استخدام القوة و العنف إلى موقفين:

1 - السعي إلى الشمولية الإنسانية المبنية على تعاليم المسيح اللاعنفة فقد دعت المسيحية إلى العالمية التي أساسها السلام.

2- أما الموقف الثاني فيقوم على فكرة الإستثناء أي أن الحرب مرفوضة في شكلها العام لكنها تصبح ضرورية في حالات استثنائية تعجز فيها تعاليم الحب و التسامح عن حلها.

و في هذا يقول القديس أوغسطين: " ن السلطة الربانية هي ذاتها التي وضعت بعض ا تحريم قتل الإنسان، لكن في بعض الأحيان يجبرنا الله على القتل ليس بصفته قانونا عاما، و لكن كحالة " ³

و جاء الإسلام بقوله تعالى: " ك فإنك بأعيننا و سبح بحمد ربك حين تق " ⁴، و قوله سبحانه و تعالى: " ... فاصفح الصفح الجميل " ⁵ هكذا كانت الدعوة الإسلامية في الفترة الأولى من الرسالة المكية فقد بدأ - صلى الله عليه و سلم - دعوته بالسلم و التأخي و الغفران، تطبيقا لما نزل عليه من الله سبحانه و تعالى. و حين ازداد بطش الأعداء - خاصة قريش - و استبدادهم بالقلة القليلة من المسلمين جاءت الفترة الثانية من الرسالة بالمدينة المنورة، و تحديدا في السنة الثانية من الهجرة يلخصها قوله تعالى: " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و أن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله... " ⁶

¹ - جيمس كارول، " الحرب الصليبية "، ترجمة قاسم عيده قاسم، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ج1، 2005)، ص 36 .
² - د. سعيد الشهابي، " الجدل حول مفهوم الحرب العادلة "، نقلا عن: <http://www.alarabnews.com/alshaab/gif/010/2/2007>
³ - السيد ولد أباه، " 11-2001 الإشكالات الفكرية والاستراتيجية - "، (لبنان: الدار العربية للعلوم، 2004)، ص 69 .
⁴ - القرآن الكريم: سورة الطور، الآية 48 .
⁵ - القرآن الكريم: سورة الحجر، الآية 85 .
⁶ - القرآن الكريم، سورة الحج، الآيات 39، 40 .

هكذا بدأ مفهوم الحرب في الإسلام و التي تأخذ مصطلح آخر يعطي هذا الدين خصوصيته فاللفظ البديل للحرب في الإسلام هو " الجهاد " ، و هو في مضمونه لدى المسلمين يرادف الحرب العادلة و إن كان الجوهر يختلف إلا أنه بهذا المعنى يعطي لكل الحروب التي أعلنت تحت لواء الإستلام الأهمية و المشروعية.

لقد جاء الإسلام بحضارة مختلفة عن الديانات التي سبقته فإذا كانت اليهودية تفر بالتمييز و من ثم الحق في شن الحرب لإعلاء الفرد اليهودي على من سواه، و كانت المسيحية متذبذبة بين أخلاق المسيح السلمية و مطامع روما التوسعية فإن الإسلام جاء كدين و دولة في آن واحد.

جاء الإسلام بحضارة قائمة على النظرية الأخلاقية و الممارسة السياسية، فقد حث -
الله عليه و سلم - على الجهاد كحرب مقدسة، عادلة لنشر الإسلام و دعوة الكفار لاعتناق هذا الدين. لكن الحرب ظلت آخر الحلول ذلك أن مشروعية الحرب لنشر الإسلام مشروطة بالتبليغ المسبق له، فالأصل في الإسلام عدم الرغبة في استخدام القوة لذاتها.¹

لأجل هذه الفكرة ثار جدل كبير في أصل علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول فقد رأى فريق أن الإسلام دين حرب و أن المسلمين لم يعرفوا إلا السيف، أما الفريق الثاني فيرى عكس ذلك فالجهاد حسبهم ليس مفتوحاً أمام المسلمين فهو مقيد بشروط أهمها و أعلاها حماية الدعوة الإسلامية و أنصارها. حيث يرى هذا الفريق أن السلم هو الأصل في علاقة المسلمين بغير المسلمين و أن الحرب هي الاستثناء، فقد حث الله سبحانه و تعالى على نشر الإسلام بالحسنى عكس ما يذهب إليه البعض من أن الإسلام نشر بحد السيف، فقد جاء في القرآن الكريم ما يسمح للإنسان باختيار عقيدته لقوله عز و علا: "

الدين" ² و أيضاً قوله تعالى: " و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " ³ الشيء الذي يدل أن الدعوة الإسلامية جاءت للمحافظة على الكرامة و الحرية الإنسانية في الحياة و من ثم في المعتقد، فالإسلام جاء بوصفه دعوة عالمية لإرساء السلام و هداية الناس لمكارم الأخلاق، و تعد العدالة و المساواة أهم المفاهيم الأساسية في هذه الرسالة.

و الحرب في الإسلام كعنف مرفوضة و مكروهة في أصلها غير أنها قد تكون ضرورية حين تفشل كل الوسائل السلمية الأخرى لقوله سبحانه: " كتب عليكم القتال و هو كره لكم و عسى أن تکرهوا شيئاً و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئاً و هو شر لكم " ⁴ و من هذه الآية نستخلص فكرة الدعوة القرآنية بمدى اعتبار رفع السلاح واجباً دينياً، فالحرب أعلى خضوع لأوامر الله لقوله تعالى: " قاتلوا الذين لا يؤمنون

¹ - حسين حيدري، " استخدام القوة في العلاقات الدولية من منظور القوانين الدولية و الفقه الشيعي - ، (دون مكان و سنة الطبع)، ص148 .

² - القرآن الكريم: سورة البقرة: الآية 256 .

³ - القرآن الكريم: سورة العنكبوت: الآية 46.

⁴ - القرآن الكريم: سورة البقرة: الآية 216 .

بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون " ¹

كما أن جزاء المشاركة في القتال و الاقتتال في سبيل الله جنة الخلد التي وعد بها الله المقاتلين على لسان نبيه - ﷺ - لقوله تعالى: " ول و الذين آمنوا معه جاهم و أنفسهم و أولئك لهم الخيرات و أولئك هم المفلحون، أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم " ²

المتتبع لتاريخ الحضارة الإسلامية يرى أن الحرب كانت دائما الخيار الأخير أمام المسلمين، و ذلك بعد الدعوة السلمية ثم الجزية، فقد قسمت الدولة الإسلامية علاقاتها الخارجية بناء على التقسيم الثلاثي المعروف و المبني على دار السلم و هي الأساس في علاقاتها مع باقي الدول المسلمة، و دار العهد و تخص بها أهل الكتاب الذين تربطهم معاهدات مع المسلمين، أما دار الحرب فيعنى بها المشركون حتى يسلموا لله رب العالمين. و قد فرق الإسلام بين الحرب و العدوان في مواطن كثيرة من القرآن و السنة، بل إن الله سبحانه و تعالى قد حرم العدوان و البغي لقوله تعالى: " و قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. " ³

هذب الدين الإسلامي العلاقات بين المحاربين من المسلمين و غير المسلمين سواء في أحكام الأسر، إجارة المستجير و لو كان مشركا، حيث نهى الرسول - ﷺ - عن قتل الجرحى و الأسرى و مطاردة الفارين. فليس ثمة أخلاق محارب عالية و نبيلة مثلما كانت أخلاق سيد الخلق أثناء فتحه لمكة عندما قال لأهلها " اذهبوا " و أيضا سماحته و نبلة بوصاياه لأصحابه فقد أوصى " زيد بن الحارثة " على الجيش الذي أوفده إلى مؤتة بقوله: " لا تقتلوا وليدا و لا امرأة و لا كبيرا و لا فانيا و لا منعزلا بصومعة و لا تعفروا نخلا و لا تقطعوا شجرة و لا تهدموا " ⁴ بمعنى قاتلوا الذين يقاتلونكم و لا تبغوا عليهم و لا تمثلوا بجثثهم و كان هذا نفس نهج الخلفاء و أمراء الجيوش من بعده.

و من الجدير بالذكر أن الدين الإسلامي يحدد الفرق بين الحرب المشروعة و الحرب غير المشروعة فهذه الأخيرة تدخل في نطاق العدوان في الإسلام، في حين تكون الحرب المشروعة أو العادلة في حالتين: ⁵

أ- الدفاع عن النفس و عن الدعوة الإسلامية و دفع الإعتداء عن البلاد.

ب- الإغاثة الواجبة لأمة إسلامية أو حليف عاجز عن الدفاع عن نفسه.

¹ - القرآن الكريم: سورة التوبة: الآية 29 .

² - القرآن الكريم: سورة التوبة: الآيات 88، 89 .

³ - القرآن الكريم: سورة البقرة: الآية 190 .

⁴ - عامر الزمالي، المرجع السابق، ص ص 10-11 .

⁵ - ناجي النبال و آخرون ، المرجع السابق، ص 88 .

و إن كان الإسلام قد حدد هذه الشروط لتحديد مدى عدالة أي حرب إلا أنه ثمة سؤال يطرح في الدوائر الفكرية حول تحديد طبيعة الجهاد و من ثم مدى مشروعيته من حيث هو دفاعي أو هجومي، ذلك أن الجهاد الدفاعي يدور في حلقة السلام أما الجهاد الهجومي فهو الذي يوضع في دائرة الإتهام، فهو بالنسبة للعديد من المفكرين ينقض دعوى السلام من أساسها لأنه لا يتسق إلا مع العلاقات العدوانية. غير أن الإسلام يرد على هذا الجدل بأن فكرة مشروعية الحرب أيا كان نوعها دفاعية أو هجومية متصلة اتصالاً وثيقاً بفكرة تحريم الحرب التي أنبنى عليها الإسلام، لتبقى الحرب الشاذ الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقاس عليه أخلاقيات الحضارة الإسلامية.¹

ويبقى أن نقول في هذا الجانب كما قال " بيتر بارتندر " صاحب كتاب " إله المعارك- المقدسة بين المسيحية والإسلام " أن نظرة الغربيين لمفهوم الجهاد في الإسلام نظرة سطحية ذلك أن الجهاد ليس مبدءاً إسلامياً لإلغاء الآخر، و أن الإسلام أبداً ما كان ليفرض بحد السيف و عليه ليس لدى المسلمين نسخة من الحرب العادلة على النمط الأوغسطيني.²

و جاء صلح واستفاليا 1648 م الذي أنهى حرباً دموية دينية بين الكاثوليك و البروتستانت دامت ثلاثين عاماً ليساهم في فصل الحرب عن الخطاب الديني و إدراجها في القانون الدولي و الفلسفة، فمؤتمر واستفاليا و الذي يعد محطة تاريخية مهمة في العلاقات الدولية، ذلك أنه ساهم في القضاء على نظام الإمبراطوريات و خلق مفهوم جديد هو مفهوم الدولة/الأمة أو الدولة القومية. هذا التغيير كان له انعكاسه على الحرب أيضاً من حيث أن مفهوم السيادة و المصلحة قد تغير و غير في طابع الدولة الذي أصبح طابع دفاعي صريح يجعل من كل وحدة سياسية مستقلة تهدف لحماية مصالحها وإطارها الجغرافي، من هنا تغير مفهوم الحرب لتجد الحرب العادلة بدورها مسار آخر في ظهورها التاريخي.

خلال القرنين 16 و 17 سعى العديد من الفلاسفة و رجال الدين أمثال " غروتوس " و " جنتليز " إلى العودة بفكرة الحرب العادلة و التأكيد على أن الحرب قضية قانونية من شأنها الدفاع عن الحقوق المعضومة في ظل غياب سلطة دولية تتولى ذلك. من هنا ظهرت المدرسة السلامية التي كانت تدعو إلى اللاحرب و نبذ أي مبرر أخلاقي أو ديني يمكن أن تستند إليه الحروب و قد استند روادها أمثال " و " فولتير " و " إلى أفكار المسيحيين الأوائل الذين دعوا إلى نبذ الحرب و إعلاء مبدأ السلام ذلك أن الحرب في نظرهم أكبر جريمة يقتربها الإنسان، من جهة أخرى تأثر رواد المدرسة السلامية بالأفكار الأوروبية البرجوازية و التي لا تخدم الحرب مصالحها المبنية على الإقتصاد و التبادل التجاري.³

لكن كما تهز الأطماع و الحروب مشاريع السلام فقد تنتج و تخلقه، إنها الحرب العالمية الأولى و ما خلفته من دمار للبشرية كان من نتائجها عصابة الأمم و مبادئ ويلسون 14.

¹ - محمد طلعت الغنيمي، " - (الإسكندرية: منشأة المعارف، دون سنة طبع)، ص 41 .
² - محمد أحمد النابلسي، " سيكولوجيا السياسة العربية - العرب و المستقبلات - "، (بيروت: دار النهضة العربية، 1999)، ص ص 93- 94 .
³ - جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف، المرجع السابق، ص 153 154 .

تعد عصبة الأمم أول منظمة دولية بالمفهوم الفكري و القانوني للمصطلح، و قد جاءت لتحقيق فكرة الأمن الجماعي الذي تبناه رواد النظرية المثالية التي أحيتها الحرب العالمية الأولى. وقد عمل ميثاق عصبة الأمم إلى محاولة التقليل من اللامحدود من احتمالات وقوع الحرب فقد جاء في مواده (11، 12، 13، 16) إلى تحذير أعضاء العصبة من احتمالات الوقوع في الحرب و ذلك باللجوء إلى حل خلافاتهم بعرضها على التحكيم، أو القضاء، أو مجلس العصبة، و في حالة عجز حل أي خلاف و كان لا مناص من الحرب فإنه لا يمكن لها أن تقع إلا بعد انقضاء ثلاثة أشهر على قرار التحكيم أو تقدير مجلس عصبة الأمم، و أي مخالفة تعرض الدولة العضو إلى المحاربة من قبل جميع الأعضاء و الإقصاء من العضوية.

و للأسف فشلت عصبة الأمم و انهارت القيم المثالية بانتهابها فكل هذه المواد لم تمنع من قيام العديد من حروب الثلاثينيات مثل: حروب باراغواي و بوليفيا عام 1933، و اليابان و الصين عام 1931 و 1937 عام و إيطاليا و الحبشة في عام 1935، أما عن عقوبات عصبة الأمم فلم تطبق إلا بصورة جزئية تمثلت في الإجراءات الجماعية الاقتصادية التي تمت ضد إيطاليا، و الطرد من العضوية بحق الاتحاد السوفييتي إثر اجتياحه لفنلندا سنة 1939.¹ هذه الحروب لم يمنعها ميثاق عصبة الأمم و لا حتى ميثاق باريس أو ما عرف بميثاق " بريان كيلوغ " في 1928/08/27، و الذي جاء بتوقيع من وزير خارجية فرنسا " بري " و نظيره الأمريكي " كيل " على إدانة الحرب كوسيلة لحل النزاعات، و بموجبه تعهدت الأطراف المتعاقدة بنزول الحرب كأداة للسياسة الوطنية. و على الرغم من التجاوزات الظاهرة على الميثاق إلا أنه لاقى رواجا و ترحيبا كبيرا بين الدول و قد شكل أساسا لترتيبات إعلان ميثاق الأمم المتحدة فيما بعد.² فكل محاولات عصبة الأمم و كل المواثيق و الإتفاقيات التي ظهرت في كنفها أو تجددت بها من اتفاقية جنيف، ميثاق باريس... لم تمنع من قيام حرب عالمية ثانية.

و فشل السلام من جديد و انتصرت الحرب، لكن الرغبة في السلام و الخوف من ويلات الحرب كانت دافعا لخلق نظام جديد قد ينجح في إرساء قواعد السلام. و جاءت هيئة الأمم المتحدة و التي و إن فشلت في القضاء على الحروب بشكل تام إلا أنها نجحت في تجنب العالم حرب عالمية ثالثة، خاصة و أن الحرب هذه المرة تدمير للبشرية جمعاء بعدما أصبح القطبان الأمريكي و السوفييتي يلحوان بلعب للموت و الدمار تسمى الأسلحة النووية. حيث جاء في المادة الثانية الفقرة الرابعة من ميثاق الأمم المتحدة: " **يمنع أعضاء المنظمة في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ضد سلامة استقلال السياسي لأي دولة أو على وجه آخر لا يتفق و أهداف الأمم المتحدة.** " ³

¹ - حسني محمد جابر، " (القاهرة: دار النهضة العربية، 1973)، ص ص 256-257.

² - Dominique Careau, « **Droit international** » 3ème Edition – Apedone N° 1, 1991. p 23.

³ - عامر الزمالي، المرجع السابق، ص 13

نلاحظ أن ميثاق الأمم المتحدة لم يحرم استخدام القوة بل أكثر من ذلك حتى التهديد باستخدامها غير أن الميثاق ذاته يستثني حالتين من هذه المادة، و هما حالة الدفاع الشرعي الفردي الجماعي طبقا للمادة 51 من الميثاق، و حالة تنفيذ الإجراءات التي يتخذها مجلس الأمن في حالة تهديد الأمن و السلم الدوليين طبقا للمادة 42. و قد حرم ميثاق الأمم المتحدة حرب العدوان و اعتبرها جريمة ضد السلم تترتب عليها المسؤولية الدولية بموجب القانون الدولي، كما و أضاف ميثاق الأمم المتحدة حالة ثالثة أجاز فيها استعمال القوة و هي حروب التحرير الوطني التي تخوضها الشعوب في نطاق حق تقرير المصير، و هو حق تضمنته المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة في فقرتها الثانية.¹

و ظلت المحاولات عبر التاريخ لتهذيب الحرب و تبريرها حتى تضيف عليها صفة الشرعية من كل الذين خاضوا حروبا قد تكون صغيرة مقارنة بالحروب العالمية لكنها أيضا لها ويلات، و بعد أن أقرت الكنيسة أن الحرب لا تملك أن تكون مشروعة إلا من طرف واحد هي الآن تصرح بأن الحرب تملك أن تكون مشروعة من الطرفين ذلك أن كلاهما يغلب عليه الظن بأنه صاحب حق و شرعية.²

لقد أحييت هذه المواثيق فكرة الحرب العادلة و حاولت اتفاقيات جنيف و لاهاي تجنب الأسرى و المدنيين المزيدين من الدمار و استعملت هذا المصطلح و ما عرف بعده بالتدخل الإنساني، و الحرب الوقائية... لتبرير حروب لم تكن انعكاسا للفكر الأوغسطيني أو الإكويني في شرعية و أخلاقية الحرب، و قد لاقى مفهوم الحرب العادلة نوعا من التجاهل و عدم التداول في الساحة الدولية إلى أن فجرته أحداث 11 سبتمبر 2001 التي أصابت صرحا مهولا هو الولايات المتحدة الأمريكية التي استعملت مصطلح الحرب العادلة في حربها ضد الإرهاب و هي الفكرة التي ستكون محور نقاشنا في هذا البحث.

¹ - عامر الزمالي، المرجع السابق، ص 14.

² - غاستون بوتول، المرجع السابق، ص 17.

: نظرية الحرب العادلة

تعرف النظرية بأنها: " مجموعة مترابطة من المفاهيم و التعريفات و القضايا التي تكون رؤية منظمة للظواهر عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسير الظواهر و التنبؤ بها." ¹

من خلال هذا التعريف نحاول في هذا الجزء من البحث وضع رؤية منظمة لظاهرة الحرب العادلة من خلال التطرق لنظرية الحرب العادلة كنظرية جزئية من نظرية الصراع، و التي تبحث في أصل النزاع و كيفية التعامل معه، و إن كانت نظرية الحرب العادلة تبحث عن تبرير للنزاع بغية التقليل من ويلاته.

إذا كانت الحرب العادلة كمفهوم وجدت صداها في الحضارات القديمة خاصة مع اليونان و الصين القديمة و الحضارة الرومانية، فإن نظرية الحرب العادلة كما يرى الأستاذ **جيمس تورنر** نظرية لاهوتية ثوراتية أو من العهد القديم، كان القديس أوغسطين أول من وضع مداميكها ليصار إلى استقلال العناصر الدينية اللاهوتية فيها عن العناصر غير الدينية، و لكن جوهرها دولة عادلة تضمن السلام من حيث لا يضمنه أحد، و الجوهر هنا حماية الضعفاء و تكبيل القوة التي تشن الحرب بالمعايير الأخلاقية. ²

أما "**مايكل نوك**" فيرى أن نظرية الحرب العادلة تنطلق لا من رفض مبدأ الحرب بحد ذاته، بل من ضبطها بمعايير إنسانية تجنب المدنيين و الضعفاء ويلات الحرب، و تستتبع هذه النظرية حسب مفهوم التدخل الإنساني الذي يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً. ³

و إن كان البعض يرى أن نظرية الحرب العادلة لا يمكن أن ترقى إلى مستوى نظرية الجدلية المادية مثلاً و لا حتى لنظرية التواصل "**لجورج هابرماس**" فهي مجرد سرد منتظم للأحكام الأخلاقية التي تنظم للناس قرار خوض الحرب و أيضاً سيرها، إنها محاولة لفهم الحجج و التأكد من مدى اتساقها معاً، فهي نظرية توفر اللغة لتبرير الحرب أو على الأقل بعض الحروب.

و هناك من يقول أن نظرية الحرب العادلة هي انعكاس للحروب المقدسة و الحروب الصليبية، غير أن "**مايكل هارت**" و "**انطونيو ناكري**" يريا أن نظرية الحرب العادلة وضعت فعلاً من الفلاسفة الكاثوليك و لكن وضعت كبديل لانتقاد الحرب المقدسة، و كما يقول "**يسكو دي فيتوريا**" اختلاف الدين ليس فقط سبباً للحرب و حتى الحروب الصليبية كانت سياسية مغطاة بالدين. ⁴

¹ - محمد شلبي، " المنهجية في التحليل السياسي- المفاهيم، المناهج، الاقتراعات، الأدوات "، (الجزائر: ديوان المطبوعات، 1997)، ص 17.

² - محمد جمال باروت، " قصة لقاء مثقفين"، نقلاً عن: <http://www.muslimtoday.com/AR/contents.aspx?4/07/2007>

³ - محمد جمال باروت، " صورة مايكل نوك"، نقلاً عن:

<http://www.alwatan.com.sa/daily/writers/writers08.htm /05/072007>

⁴ - Michael Walzer, " Just war theory in today's world"/institute of strategic and development studies -Andreas Papandreou/www.istame.apapandreou.gr/files/pdf/walzerenglish.pdf

1- مصادر نظرية الحرب العادلة:

من أهم رواد هذه النظرية العديد من الفلاسفة و المفكرين أمثال القديس أوغسطين، شيشرون، توماس الأكويني، هوغو غروتويس، دانيال ويستستر... وكغيرها من النظريات فإن لنظرية الحرب العادلة مصدرين: واحد ديني و الآخر علماني

*** المصادر الدينية:**

أغلب المفكرين الذين تعاطوا مع نظرية الحرب العادلة خلال مختلف العصور عرفوا أنفسهم بانتمائهم للعقيدة المسيحية بشكلياتها الكاثوليكية و البروتستانتية، و اهتم بها علماء العقيدة المسيحية، و كما سبق و أن رأينا فقد كان الموقف المسيحي قديما بدائيا و سلبيا، و ذلك بسبب الاعتقاد السائد آنذاك بأن المسيحيين متميزون عن بقية المجتمع. و مع تحول الدولة الرومانية إلى المسيحية و التأثير الاجتماعي للكنيسة و العلماء المسيحيين خلال القرنين الرابع و الخامس الميلاديين أصبح هناك مجال للتوصل إلى نظرية حول الحرب، فقد قال القديس أوغسطين أن السبب الوحيد لتبرير الحرب هو الرغبة في السلام.¹

و هذا لا يعني أن نظرية الحرب العادلة استخدمت من طرف المسيحيين فقط فقد استخدمها المسيحيين و غير المسيحيين على حد سواء، ذلك أن الهدف واحد و هو تحديد ما إذا كان قرار الذهاب إلى الحرب و الوسائل المستخدمة في تلك الحرب عادلة، و هذا ما ناقشناه من خلال المبحث الثاني حيث رأينا مفهوم الحرب العادلة في الإسلام و الذي يرادف الجهاد. و عليه يمكن القول أن وضع تبريرات لاستخدام القوة شكل عبر الزمن نظرية الحرب العادلة.

*** المصادر العلمانية:**

لقد انعكست المفاهيم المسيحية حول الحرب العادلة على المفاهيم العلمانية حول الحرب، فقد بدأت الأطروحات العلمانية الغربية حول الحرب العادلة منذ قرون و ناقشها عدد من الفلاسفة المرموقين مثل الفيلسوف الروماني "ماركوس توليوس شيشرون" و الذي تأثر به عدد من الفلاسفة اللاحقين من بينهم الفيلسوف البروتستانت الهولندي "غورتويس" الذي عاش في القرن السادس عشر في أعقاب الحرب الأوروبية الشرسة التي امتدت ثلاثين عاما، و تطورت النظرية خلال القرنين التاسع عشر و العشرين، و طرحت مواثيق لاهاي و جنيف التي تنظم سير الحرب، و بعد الحرب العالمية الثانية طرحت وثيقتان أساسيتان ساهمتا في تقنين مفهوم الحرب العادلة على المستوى الدولي، و هما وثيقة نورمبرغ و ميثاق الأمم المتحدة.²

¹ - Mark Edward deforrest, "Just war theory and the recent U.S.air strikes against Iraq"/www.gonzagajil.org/pdf/volume1/Deforrest/Deforrest/pdf.

² - سعيد الشهابي، المرجع السابق .

إن القول بوجود مصدرين لنظرية الحرب العادلة لا يعني انفصالهما، و إنما هما مصدران متكاملان كان من شأن هذا التكامل تطور نظرية الحرب العادلة التي انطوت على العديد من الشروط والعناصر حتى يتسنى لنا تمييز أي حرب ما إذا كانت عادلة أو غير عادلة.

2- عناصر نظرية الحرب الـ :

اختلف المفكرون و الفلاسفة في حصر هذه العناصر و قد تمكنا من انتقاء العناصر المشتركة بين جميع الآراء فكانت كما يلي:

* السلطة الشرعية:

أن تكون الجهة التي تبادر بالحرب تتصف بالشرعية أي لديها حق المبادرة كأن يكون قائد معترف به أو دولة وكلت من بقية الدول.¹

* قضية عادلة:

أن يكون سبب الحرب في حد ذاته عادلا و أن يكون الهدف الذي من أجله تشن الحرب نبيلًا كتحرير شعب من الاستبداد و الديكتاتورية.²

* الحرب هي الملاذ الأخير:

أن تكون الجهة المسؤولة على شن الحرب قد استنفذت كل الوسائل السلمية الأخرى و لم يعد هناك مجال لتفادي الحرب، أي اللجوء إلى الحرب يكون آخر الحلول لأي مشكلة أو قضية.³ و هو ما سبق و أن تناولناه في دراستنا لمفهوم عصابة الأمم للحرب فقد كانت الحرب في بنود العصابة الملاذ الأخير.

* النوايا الأخلاقية:

أن تكون نية اللجوء إلى الحرب حسنة و إن كان في الجملة نوع من التناقض، ذلك أن الحرب في حد ذاتها شر، لكن من شروط الحرب العادلة أن يكون اللجوء إلى الحرب بنية القضاء على شر ما أو تحرير دولة ما أو إعلاء الخير العام و العدالة، أي لا تكون نية الحرب التوسع و البغي و العدوان.⁴ و يدخل هذا الشرط في العنصر الثاني.

¹ - Mark Edward Deforrest, Op,Cit.

² - Scott.c.Lowe, **Terrorism and just war theory**, perspectives on Evil and humain wickedness vol ,1No.2page 46/ copyright@wickedness.net/ejvln2/ejvln2Lowe.pdf.

³ - ibid.

⁴ - Bertrand Lemennicier, **Classical just war theory : a critical view** libertarian international Spring Lemennicier.bwm-mediasoft.com/col docs/doc63Fr.pdf 3convention,Krakow,Poland 2000.

*** تحقيق أكبر قدر من الخير:¹**

أن لا تكون الحرب التي شنت من أجل قضية عادلة لهدف نبيل نتائجها سيئة، أي إذا كانت الحرب مثلاً شنت لتحرير شعب من ظلم ما فلا تكون نتيجة الحرب إبادة هذا الشعب من أجل تحريره، بمعنى آخر أن نقيس عدالة أي حرب بمقارنة نتائجها بعدم خوضها من البداية و أيهما يحقق الربح الأكبر.

*** تجنب الأبرياء ويلات الحرب:**

و هذا الشرط يتوفر أثناء الحرب فإذا ما اندلعت الحرب طبقاً للشروط السابقة فلا بد من أن يتجنب ويلات الحرب المدنيين و لا يطال شرها إلا المشاركين فيها.² و هو ما جاء في اتفاقيتي جنيف و لاهاي.

*** وجود فرصة معقولة للنجاح:**

أن تكون الوسائل المستخدمة متكافئة مع الأضرار التي تواجهها بحيث لا تؤدي إلى ما هو أسوأ منها، و بالتالي تكون نسبة النجاح في هذه الحرب أكبر من نسبة الخسارة و فرص تحقيق هذا النجاح متوفرة.³

¹ - Bertrand Lemennicier, OP, Cit.

² - ياسين السيد صالح، " عن الحرب العادلة و الإرهاب و الدولة "، نقلاً عن: <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=27620>

³ - السيد ولد أباه، المرجع السابق، ص 69.

المبحث الرابع: موقع نظرية الحرب العادلة من نظريات العلاقات الدولية

إن السمة الأساسية للواقع الدولي هي التعقيد والتباين، وقد كان فك هذا التعقيد سببا لبروز العديد من الأدوات، و المناهج العلمية، و النظريات التي سعت إلى تبسيط و تحليل هذا التعقيد، و عملت على وصف و تفسير الواقع الدولي بكل معطياته المختلفة بهدف الوصول إلى قالب نظري يسهل على الباحثين و الدارسين الإلمام بأبعاد الظواهر الدولية.

تنسجم العلاقات الدولية بتعدد نظرياتها- الكلية منها و الجزئية- و مدارسها، و قد احتلت كل من النظرية الواقعية و النظرية الليبرالية مكانة هامة في التنظير للعلاقات الدولية، و سنحاول في هذا الجزء من البحث وضع مفهوم الحرب العادلة في سياق هذين النظريتين كمحاولة للخروج الضمني بالبناء النظري لنظرية الحرب العادلة.

1-

ظهرت النظرية الواقعية في أواخر الثلاثينات على إثر وصول القوى النازية و الفاشية للحكم في ألمانيا و إيطاليا، و فشل الفكر المثالي (خاصة عصبة الأمم) في تجنب العالم حرب عالمية ثانية، و هي أول محاولة تنظيرية في العلاقات الدولية، حيث برزت هذه الدراسات الأكاديمية في الولايات المتحدة الأمريكية كرد فعل على الفكر اليوتوبي المسيطر آنذاك خاصة المبادئ الويلسونية، و النزعة الأخلاقية الإنعزالية للجمهوريين في ظل الحوار الدائر في تلك الفترة حول تنامي القوة الأمريكية و الدور الذي يجب أن تلعبه كانعكاس لذلك.¹

تعتمد الواقعية السياسية في صياغة افتراضاتها على إسهامات المفكرين الواقعيين الأوائل أمثال: ثيوسيديدس من خلال مؤلفه " حول الحرب البولوبونيزية "، و نيكولا ميكيايلي في مؤلفه " الأمير "، و توماس هوبز من خلال مؤلفه " التنين "، و كذا هوغو غر و تيوس في العديد من مؤلفاته.

ينبثق الفكر الواقعي من افتراضات نظرية مبنية على أن الطبيعة الإنسانية شريرة بطبعها، فالإنسان حسب الواقعيون مجبول على حب الذات و ميل إلى الطمع و حب المجد و الإعتداء على الآخرين، هذه الغريزة الشريرة الكامنة في الذات البشرية المجسدة في الرغبة في اكتساب القوة و السيطرة تتجسد في شكل نزاعات أو حروب أو صراعات من أجل السلطة، و يعتقد الواقعيون أن الطبيعة الإنسانية المائلة إلى ارتكاب الشر و الخطيئة و امتلاك القوة طبيعة ثابتة، و عليه فإن العلاقات ما بين الدول لا تخرج عن

¹ - Jean Jacques (Roche), » theories des Relations Internationales », 2ème ed, Paris : Montchrestien, 1997, p.19.

هذا الإطار، فهذه الصفات تبرز من خلال تفاعل الدول من أجل الدفاع عن المصالح الوطنية و تعزيز القوة، و بما أنها أي الطبيعة البشرية ثابتة فإن المعرفة و المبادئ الأخلاقية لا تكفي لتغييرها.¹

تعتبر المصلحة الوطنية واحدة من المفاهيم المركزية في الفكر الواقعي و التي تعتبر كمعيار أساسي في السياسة الخارجية، فحسب الواقعيون العالم يعاني من ندرة الموارد مما يجعل الأفراد يواجهون بعضهم البعض، و الواقع يدل على أن علاقة الأفراد تنشأ عن خلفية الانتماء إلى الجماعة سواء كانت قبيلة، مدينة، دولة... الخ، و عليه فإن مصالح الجماعات المتضاربة تجعل من مصالح الأفراد تتضارب فيما بينها، و بالتالي فالعلاقات الدولية لا تتميز بتجانس المصالح بل بتضاربها و أحيانا قد ينجم عن هذا التضارب الدخول في الحرب أو التهديد بها، و لذلك على الدول مضاعفة حجم قوتها من أجل الدفاع عن مصالحها القومية.²

نلاحظ أن مفهوم المصلحة الوطنية يرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم القوة الذي يعتبر متغيرا أساسيا في فهم السلوكية الدولية، فالقوة كمحدد للعلاقات بين الدول انعكاس لمدى مقدرة كل وحدة على التأثير النسبي الذي تمارسه كل دولة على الدول الأخرى، و القوة لا تعني العنف بل هي نتاج لتفاعل مجموعة من العوامل المادية و الاجتماعية التي تحدد في النهاية مدى قوة أي دولة، و الذي بدوره يحدد مدى تأثير كل دولة على الدول الأخرى بما يحقق مصلحتها الوطنية، و عليه فهناك تلازم و ترابط بين مفهوم القوة كمتغير أساسي يبين مدى نفوذ و حجم الدولة في العلاقات الدولية، فكلما كانت الدولة أقوى كلما كان لصوتها صدى في اتخاذ القرارات المصيرية الدولية، و بين المصلحة الوطنية كهدف سامي تسعى الدول إلى تحقيقه من خلال سياساتها الخارجية.³

و يرى هانس مورغنتو و الذي يعد رائد من رواد المدرسة الواقعية - إلى جانب نيكولاس سبيكمان، ريمون آرون، هنري كيسنجر... إلخ- أن العلاقات السياسية الدولية ما هي إلا صراعا من أجل الحصول على المزيد من القوة، من أجل تحقيق المصلحة الوطنية بغض النظر عن نمطية وسائلها و أساليبها، و هو هنا يلتقي مع ميكافلي الذي يرى أن الغاية تبرر الوسيلة، لذلك فتحقيق المصلحة حسب الواقعيين يحققه التحكم في أكبر نسبة من القوة، و الصراع من أجل القوة بين الدول هو من أهم أسباب نشوب الحروب و النزاعات الدولية.⁴

كما يذهب الواقعيون إلى أن فهم سلوك الدول يجب أن ينطلق من افتراض أن الفوضى هي السمة الأساسية للنظام الدولي، و التي تعني غياب سلطة عليا أو حكومة عالمية تفرض على أعضاء المجتمع

¹ - زايد عبيد الله مصباح، السياسة الدولية- بين النظرية و التطبيق، (طرابلس: دار الرواد، 2002)، ص 32.

² ناصيف يوسف حدي، المرجع السابق، ص 24.

³ - ثامر كامل الخرجي، " العلاقات السياسية الدولية و استراتيجية إدارة الأزمات "، (الأردن: دار محدلاوي للنشر و التوزيع، 2005)، ص 78.

⁴ - عدنان فتحي ثابت عبد الحافظ، " النظرية السياسية المعاصرة: دراسة النماذج و النظريات التي قدمت لفهم و تحليل عالم السياسة "، (الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، 1997)، ص 230.

الدولي الانصياع للقانون الدولي و من ثم حل و تسوية مشكلاتها وفقا لمبادئه. فالنظام الفوضوي يجعل الدولة مسئولة عن تحقيق أمنها القومي بنفسها، و عليه فهو يشجع التنافس و الصراع بين الدول و يمنع أي رغبة في التعاون حتى و إن كانت هناك مصالح مشتركة. ففي بيئة استراتيجية مثل هذه، التهديد أمر معطى خارجي يرتبط بالبيئة الخارجية للدولة، تغذية الأطماع و التنافس و الرغبة في امتلاك المزيد من القوة و لردع هذا الخطر لابد من امتلاك القدرات العسكرية، و بدلا من معرفة نوايا الدول الأخرى التي يصعب معرفتها على الأقل معرفة قدراتهم العسكرية لتفادي أي خسارة.¹ ففوضوية النظام الدولي في الفكر الواقعي تؤدي إلى انتفاء الثقة بين أطراف المجتمع الدولي، حيث أن كل دولة أو جماعة أجنبية تسعى لتطوير قوتها بغرض الحفاظ على الذات و الرغبة في البقاء، أو مجابهة أي خطر خارجي الشيء الذي يدفع إلى تنامي الشعور بالتهديد من قبل الأطراف الأخرى، فتسعى إلى تحصين نفسها بالسعي إلى تعبئة جيوشها و التسلح.. الخ، و إن كانت فكرة فقدان الثقة لا تقتصر على الجانب العسكري فحسب بل تتعداه إلى الجانب الإقتصادي و الثقافي... الخ، أي أن فوضوية النظام الدولي تستلزم انعدام الثقة بين أطرافه مما يؤدي إلى السباق نحو التسلح و بالتالي الحرب و هو ما يعرف بمقاربة المأزق الأمني أو المعضلة الأمنية.

يفترض الواقعيون أن التوازن الإستراتيجي في النظام ما هو إلا مسألة اعتبارية، فالنظام بطبيعته لا يتمتع بثمة توازن حقيقي نظرا لعدم تماثل القوى الثلاثة الفاعلة لكل الدول: " العسكرية، الإقتصادية، السياسية " مما يجعل هذا التوازن افتراضي مما يخلق فرص الصراع و الحرب، فمادام لا يوجد توازن حقيقي فإن المناخ الدولي يظل مهياً تماماً لمحاولات الدول الأقوى الحصول على موارد الدول الأخرى الأقل قوة.²

و بالتالي يرى الواقعيون أن نظام ميزان القوى الذي يعتبرونه الحصن المتين لتجسيد استقرار المجموعة الدولية هو الحل و النهاية لفكرة الهيمنة التي تعد الهدف الأسمى للدول، فعندما تتساوى القوى بين مجموعة من الدول يصعب على إحداها السعي للهيمنة. إذ يعتبر الواقعيون أن التركيز على القوة من خلال عمل الدول على إنشاء تحالفات للتوازن فيما بينها ضد الأطراف التي تشكل تهديدا أوليا لمصالحها خاصة الأطراف الساعية للهيمنة هو ميكانيزم ناجح في القضاء على النزعة السلطوية.³

أما عن الجانب الأخلاقي فالواقعية السياسية تدرك الأهمية الأخلاقية للعمل السياسي، كما تدرك الجدل الواضح بين السلطة الأخلاقية و متطلبات العمل السياسي الناضج، فالواقعيون يدركون مدى أهمية المبادئ الأخلاقية العامة كمقوم للعمل السياسي، غير أن للواقعيين وجهة نظر خاصة فهم يرون أن الحرية

¹ - Hans Morgenthau « politics among nations – the struggle for power and peace “ chapter one. <http://weber.uesd.edu/mhiseox/240htm>

² - جهاد عودة، " النظام الدولي..نظريات وإشكاليات "، (المنيا: دار الهدى للنشر و التوزيع، 2005)، ص 26

³ - Hans Morgenthau. OP.CIT.

مثلا هي مبدأ أخلاقي سامي على كل من الفرد و الدولة التمسك به، لكن إذا كان من حق الفرد التضحية بنفسه دفاعا عن حرية بلده ليس للدولة حق في ترك رفضها الأخلاقي للتعدي على الحرية، و هذا حسبهم يدخل في إطار العمل السياسي الناضج الذي يعتبر في حد ذاته مستوحى و مستلهم من المبدأ الأخلاقي الخاص بالبقاء العام و الوجود الوطني.¹

من خلال هذا الحصر الوجيز لأهم افتراضات النظرية الواقعية أتضح لنا ضمنا موقع نظرية الحرب العادلة من الفكر الواقعي، و للتوضيح أكثر يمكن القول أنه إذا كانت الواقعية السياسية ترى أن الطبيعة الإنسانية الشريرة معطى طبيعي غير قابل للتغيير، حيث أنها تركز على السببية الثابتة التي تصل أحيانا إلى درجة الحتمية، فان نظرية الحرب العادلة تؤمن بوجود جانب شرير في النفس البشرية لكنها تؤمن أيضا بالمقومات الأخلاقية التي من شأنها ضبط هذه النفس.

" الواقعية تحاط بالرأي القائل أن السياسة تتناول القوة و السعي لتحقيق الصالح و لا تتناول القانون و الحقوق و الواجبات. و أن التحليل السياسي ينبغي إجراؤه وفق إيعاز هذه البصيرة. تواجه الواقعية عموما في تحليل العلاقات الدولية حيث قد يشير غياب نظام دولي مستقل إلى أن العوامل القانونية و الأخلاقية لا يمكن إلا أن تؤمن قناعا للمصالح الذاتية." ²

إذا كانت النظرية الواقعية ترى من الواقع و المصلحة و القوة مصادر لمنطلقاتها الفكرية، فان نظرية الحرب العادلة ترى في الأخلاق و المعتقد و مبادئ القانون الدولي أهم مصادر افتراضاتها، كما أن جوهر تحديد هذا الموقع هو التناقض الواضح بين النظريتين، فبسبب نشوب الحرب عند الواقعيين هو تحقيق أكبر قدر من المصلحة و الذي يكون باكتساب أكبر قدر من القوة، وهذا لا يعني أن الواقعية نظرية لأخلاقية فهي فقط لا تبالي بالمعايير الأخلاقية على اختلافها، ذلك أنها تعي التوتر الذي بين المضامين الأخلاقية و بين مقتضيات نجاح العمل السياسي، فهي ترى استحالة تعميم و فرض القيم الأخلاقية على المتطلبات الكونية، في حين تملك فكرة المصلحة الوطنية القدرة على تبوؤ مكانة في القانون الكوني، فتحقيق المصلحة رغبة مشتركة بين كل أفراد المجتمع و تحظى بالإجماع.

في حين يرى أصحاب نظرية الحرب العادلة أن السبب الوحيد لنشوب الحرب هو الرغبة في السلام، و يتضح ذلك من خلال عناصر هذه النظرية، فأساس النظرية الواقعية هي القوة و المصلحة بعيدا عن المبادئ الأخلاقية التي يرى فيها الواقعيون مجرد غطاء إيديولوجي لأعمال غير أخلاقية، عكس نظرية الحرب العادلة التي تقوم على تكبيل الرغبة في السيطرة و الهيمنة بالمعايير الأخلاقية.

فنظرية الحرب العادلة تسعى بشكل تفاؤلي للتقليل من حدة الصراعات و الحروب من خلال تقنين و أخلاقنة الحرب و تكبيلها بشروط تجعل من الشر وسيلة لتحقيق الخير، أما النظرية الواقعية فهي كما

¹ - جهاد عودة، المرجع السابق، ص 27.

² - جورج روبرت، أليستار ادواردز، " المعجم الحديث للتحليل السياسي "، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجليبي، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1999)، ص 386.

يقول **ستيفن والت** " تصور الشؤون الدولية باعتبارها صراعاً من أجل النفوذ بين دول لا تعنيها سوى مصالحها، و هي متشائمة بشكل عام إزاء إمكانية إزالة الصراعات و الحروب.."¹ فالنظرية الواقعية تفسر الصراعات السياسية بصراع القوة و السلطة و المصلحة، و لا تدخل القيم و الأخلاق في العملية السياسية كما تفعل نظرية الحرب العادلة، وكما يقول أحد المنظرين في الفكر الواقعي لا توجد عداوات دائمة و لا صداقات دائمة و لكن توجد مصالح دائمة فصديق اليوم قد يصبح عدو الغد و العكس صحيح فالرابط عندهم ليس الديانة و لا المعتقد و لكنه المصلحة التي هي غاية النفس البشرية، مثال ذلك الاتحاد السوفييتي سابقاً كان صديق الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية ثم أصبح عدوها في فترة الحرب الباردة، و الأسباب واضحة فالصداقة التي بنتها المصلحة الواحدة في إزالة الخطر النازي تحولت إلى عداوة يغذيها التنافس على قيادة العالم، و على العكس من ذلك فإن ألمانيا كانت عدو أمريكا في الحرب العالمية الثانية ثم أصبحت صديقتها بعد الحرب ضد المعسكر الشرقي حتى أطاحت بحائط برلين عام 1989م.

2- الليبرالية :

ترجع الأصول الفكرية الليبرالية إلى الثورة العلمية للقرنين السادس عشر و السابع عشر، و أفكار التنوير بمختلف تياراتها الفكرية، و إلى الثورتين الفرنسية و الأمريكية اللتين أكدتا على مبدأ الحرية و الحقوق الإنسانية و التي يرى أنصار هذه النظرية أنها جوهر فكرهم.² و قد برزت بصورة واضحة بعد الحرب العالمية الأولى على يد الرئيس الأمريكي **وودرو ويلسون** و مبادئ عصبة الأمم، لكنها سرعان ما تراجعت بنشوب الحرب العالمية الثانية حيث سيطرت النظرية الواقعية التي تعد النظرية الليبرالية البديل التاريخي لها. و رغم بعث الفكر الليبرالي مرة أخرى بإنشاء الأمم المتحدة لكن سرعان ما عادت سياسة القوة ببداية الحرب الباردة، لذلك تعد فترة ما بعد الحرب الباردة الأرضية الصلبة التي استطاع من خلالها الليبراليون تطبيق فرضياتهم على أرض الواقع.

بدأ الفكر الليبرالي كفكر اقتصادي فقد كانت الليبرالية الاقتصادية الكلاسيكية مهتمة بتحرير التجارة من أغلال الماركنتيلية، و يعد القرن التاسع عشر بداية تطبيق فرضيات النظرية الليبرالية على الجانب السياسي.³

يعتمد المنظور الليبرالي في صياغة افتراضاته على إسهامات كل من **جيرمي بنتام**، **ريكاردو**، **آدم سميث**، **جون لوك**، **هارولد لاسويل**... الخ. و ينبثق من افتراض أن الخير هو جوهر الطبيعة البشرية فالشعوب قادرة على التعاون، و التاريخ البشري يشهد بإمكانية التعاون العالمي، كما أن تغيير السياسة

¹ - عامر مصباح، " الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية "، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2006)، ص 116 .

² - مقال دون مؤلف، " مفاهيم "، نقلاً عن: <http://www.kfupm.edu.sa/user%5cgs423040/bbdu33.htm>

³ - نفس المرجع.

العالمية شيء متاح بشكل دائم.¹ هذه الطبيعة الخيرة حسب الليبراليين تقلل من النزوع إلى الحرب و ذلك بالرغبة في التعاون و التعايش و نبذ الذات البشرية للدمار و الموت و الصراع.

يعارض الليبراليون الفكر الواقعي الساعي إلى تحقيق و تعظيم الدولة لمصلحتها و زيادة قوتها في أجل قصير، ذلك أنه بإمكانها تحقيق أكبر قدر من القوة و المصلحة على المدى الطويل و ذلك في ظل مجتمع عالمي سلمي.² بمعنى أن المذهب الليبرالي لم يكن منبثقا عن أفكار عاطفية عن أخوة البشر فحسب، بل أيضا عن إيمان بالمصلحة الذاتية الرشيدة و الرشادة هنا تتحقق على المدى الطويل، أي أن قدرة الدولة [أ] على إجبار الدولة [ب] على أن تتصرف بشكل معين هو كسب للقوة من الدولة [أ]، لكن هذه القوة من شأنها تحقيق مصالح الدولة [أ] على المدى القصير، و قد تكون جزء من كل كان بإمكانها أن تكتسبه على المدى الطويل بعيدا عن التنازع على السلطة و الهيمنة.

يتفق الليبراليون مع الواقعيين في فوضوية النظام الدولي غير أنهم يختلفون في عدم جدوى القضاء عليها، فالنظرية الليبرالية لا ترى في الفوضى حتمية تاريخية بل تعتبر أن الإيمان الواقعي بالدولة كفاعل وحدوي عقلاني في العلاقات الدولية هو المغذي الأساسي لزيادة حالة الفوضى في العالم، و ترى أن الفوضى الدولية يمكن أن تقل أو تنعدم تقريبا عن طريق فرض الدول لمجموعة من القيود و التوجهات تعمل جميعا في إطار مؤسسي يتمتع بسلطة فوق قومية، كما ترى أن هناك مجتمع عالمي يجعل من الدول تعمل في شكل سياق يصل الواحدة بالأخرى و يجعل من الشعوب تتصل ببعضها البعض كالتجارة، البعثات الدراسية، المؤسسات الدولية.

فالمجتمع الدولي حسب الليبراليين يخرق الحدود التي تحاول الواقعية فرضها من خلال اعتبار الدول كريات بلياردو تتجنب بعضها البعض في محاولة للحفاظ على توازن القوى، لتبقى المعاملات الدولية بكل جوانبها و الحدود الرابطة بين كل الوحدات السياسية دليل كاف حسب المنظور الليبرالي على إمكانية تقنين فوضى النظام الدولي.³

يفترض مؤيدو الاتجاه الإقتصادي في المدرسة الليبرالية أن فكرة الاعتماد المتبادل هي الوسيلة الأكثر ضمانا لتجنب الدول من استخدام القوة ضد بعضها البعض، ذلك أنه لا يمكن لدولتين توجد بينهما علاقات تجارية و اقتصادية وثيقة أن يتحاربا. فالإعتماد المتبادل حسب هذه النظرية يقود للسلام ذلك أن وجود علاقات تبادلية بين مجموعة من الدول يجعلها تقف في وجه أي تهديد لأية دولة من دول النظام الدولي، لأن هذا التهديد يؤثر على مصالحها بصورة سلبية،⁴ كما أن فكرة الاعتماد المتبادل تخلق نوع من الرفاه لدى الأفراد و الشعوب و ذلك يخلق فرص كبرى للعمل و التبادل التجاري، و التنقل بين مختلف دول

² - جهاد عودة، المرجع السابق، ص 54

³ - Joshua Gold Stein, **International relations** (1996) Harpercollins college , P.104.

⁴ - جوزيف س. ناي الابن، **المنازعات الدولية- مقدمة للنظرية و التاريخ-**، ترجمة أحمد أمين الجمل و مجدي كامل، (القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة و الثقافة العالمية، 1997)، ص 19 .

⁴ - Joshua Gold Stein, Op. Cit, p p. 105-107.

العالم مما يخلق نوع من اكتساب الثقافات، فيجعل هذه الشعوب تنعم بمستويات مادية مرتفعة و يجعل الرغبة لديها في التشبث بالحياة عالية. لذلك يصبح من الصعب التضحية بالأملك و الأرواح و بالتالي تقل الرغبة في الحروب و النزاعات.

كما يرى الليبراليون أن تسيير علاقات الإ اعتماد المتبادل يتم من خلال بناء مجموعة من المنظمات الدولية أو المؤسسات المشتركة تكون قادرة على إدارة التفاعلات في مسائل مختلفة مشكلة بذلك ما يسمى المنظومة الدولية، و هو مصطلح أخذ من السياسة الداخلية يهدف إلى تحقيق درجة من الترتيب و التنظيم في العلاقات الدولية، فمؤسسات مثل وكالة الطاقة الذرية و صندوق النقد الدولي مثلا يمكنها المساعدة للتغلب على النزعة الأنانية للدول عن طريق تشجيعها على ترك المصالح الآنية لصالح فوائد أكبر للتعاون الدائم، و هذا يركز أساسا على مفهوم المصلحة أي أن هذه المنظومات بإمكانها أن تلعب دورا فعليا في مساعدة الدول على تحقيق مصالح مشتركة.¹

يرى الليبراليون أن السلام الديمقراطي و هو قدرة بعض المجتمعات على حل خلافاتها و نزاعاتها بصورة سلمية على الرغم من امتلاكها لوسائل العنف، و تقوم هذه الفكرة على افتراض أن الديمقراطيات يمكن التنبؤ بسلوكها في المجتمع الدولي عكس الدول غير الليبرالية، هذا التنبؤ يجعل من العلاقات بينها تقوم على السلام و التعاون و التكامل، فكلما سهل التنبؤ بقواعد تصرف الدولة في المجتمع الدولي كلما عظمت فرص السلام، و هي خاصية الدول الديمقراطية حسب الليبراليين. هذا السلام الليبرالي يستخدم لتقييم تأثير مجموعة من الروابط السلمية التي توصف ليبراليا بأنها روابط فاعلة كالروابط التجارية التي تسهم في تقليل النزاعات و تحول دون تعاظم فرص المواجهات العسكرية،² و قد لقيت هذه الفكرة العديد من الإ نقادات و أكثر دليل على فشل فكرة السلام الليبرالي و جعله حقيقة منطقية قابلة للتنفيذ، دخول العديد من الديمقراطيات في علاقات صراعية.

كما أشار "راولس" صاحب كتاب "قانون الشعوب" و هو أحد أبرز مفكري المدرسة الليبرالية إلى فكرة مهمة في الفكر الليبرالي و هي فكرة عدالة الحرب، و التي تعني التوافق بين أسباب الحرب المزمع شنها و بين الأسباب الشرعية للحرب و التي تنبني حسب النظرية الليبرالية وفقا للمؤسسات الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة على اعتبار أن وجود مثل هذه المؤسسات كفيل بإحلال السلام.³ هذه الفكرة التي تبناها "راولس" لكن تبقى النظرية الليبرالية نظرية تعنى بالمصلحة الفردية، تنزع للسلام لا إيماننا به و لكن لأنه الوسيلة الأكثر تحقيقا للرفاه.

1- ستيفن وولت، "العلاقات الدولية: عالم واحد، نظريات متعددة"، ترجمة عادل زقاغ، زيدان زباني، نقلا عن: <http://www.geocities.com/adelzeggagh/polreview.html/> 25/08/2007

2- John Makmillan « Liberalism and democratic peace » /www.fff.org/freedom/02/03/2006.

3- جهاد عودة، المرجع السابق، ص 76.

و عليه يمكن القول أن نظرية الحرب العادلة تقع بين النظرية الواقعية و النظرية الليبرالية فهي بين الرغبة في الحرب و منع الحرب، لتقول نظرية الحرب العادلة بوجود الحرب لإحلال السلام، أي أن الوسيلة أداة من الفكر الواقعي و النتيجة هي ركيزة من ركائز الفكر الليبرالي. فالنظرية الواقعية ترى في الحرب التي هي تجسيد منطقي لمفهوم القوة و القدرة على أرض الواقع ظاهرة حتمية تفرضها فوضوية النظام و الأنانية الإنسانية، في حين ترى النظرية الليبرالية أن الحرب حالة استثنائية يمكن الاستغناء عنها بالتعاون و التواصل، لتعتبرها نظرية الحرب العادلة ضرورة توجبها خيرية و عدالة سبب شنها.

أما الدكتورة "**جيم إيشتين**" فتحدد موقع نظرية الحرب العادلة بقولها أن في تاريخ القانون الدولي هناك نظرية الواقعيين و نظرية المثاليين أو الأخلاقيين، و نظرية الحرب العادلة حسبها هي نظرية الأخلاقيين في الظاهر، لكنها في الجوهر كما ناقشتها نظرية أمنية عسكريتارية تضيء الشرعية على سلطات الحرب.¹

¹ - محمد جمال باروت، قصة لقاء بين مثقفين عرب و مثقفين أمريكيين، مرجع سابق.

الخلاصة

الحرب العادلة سواء كمفهوم أو نظرية أو ظاهرة تشتمل على شروط بشأن الحرب، قبل و بعد المعركة لا أثناء المعركة فقط كما هو في العديد من المواثيق الدولية، إنها تتجنب النقاش في قضايا السياسة الكبرى أو القضايا الميثاقية فهي بعيدة كل البعد عن مصطلحات مثل: النظام الدولي، التوازن الدولي، العقلانية السياسية... فهي كنظرية أو مفهوم جاءت لمحاولة إيجاد إطار مشروع لشن الحرب، على أن يكون النزاع بين طرفين يمكن التفاوض بينهما لمحاولة تجنب الحرب، و بالتالي فهي بعيدة أيضا عن احتمال وجود أطراف محاربة دون الدولة أو فوق الدولة و بالتالي هل يمكن استعمال نظرية الحرب العادلة لتطوير مفاهيم أخلاقية لمقاربة الإرهاب؟

الفصل الثاني

المفاهيم الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية

تمهيد

يعد موضوع السياسة الخارجية أحد المواضيع الحديث
و رغم غياب اتفاق و إجماع حول وضع تعريف
التعريفات التي حاولت وضع إطار مفاهيمي للسياسة الخارجية من بينها - على وجه المثال لا الحصر -
ما ذهب إليه " والتر ليبمان": " أن السياسة الخارجية هي العمل على إيجاد توازن بين
الخارجي لدولة ما و القوة التي تلزم لتنفيذ هذا ".¹ يشير مصطلح
الذي ترتبط الدولة بموجبه خارج حدودها الذي يتطلب استعمال القوة لتحقيقه على أنه يذهب إلى لزومية
كبر هذه القوة على ارتباط نفسه.
أما في الموسوعة السياسية فقد جاء أن السياسة الخارجية هي " تنظيم نشاط الدولة و رعاياها
والمؤسسات التابعة لسيادتها مع غيرها من الدول و التجمعات بهدف صياغة است
و حماية مصالحها".²

قد تختلف الدول في مختلف سياساتها و في سياساتها الخارجية على وجه التحديد لكن هذا
لا ينفي حقيقة اشتراكها جميعا في سعيها لتحقيق مطامحها و أهدافها من خلال سياساتها الخارجية
"فالساسة الخارجية ليست مجرد رد فعل آلي للبيئة الخارجية و لكنها بالأساس عملية واعية تنطوي على
محاولة التأثير على البيئة الخارجية أو على الأقل التأقلم مع تلك البيئة لتحقيق مجموعة من الأهداف
ثمة فإنه من العسير تصور وجود سياسة خارجية لا تتضمن مجموعة من الأهداف أو لا تضطلع بوظيفة
د في إطار السياسة العامة للوحدة الدولية".³

لذلك يمكن القول أن الطبيعة الهدفية لعملية السياسة الخارجية هي التي تحدد وظيفة الدولة في المجتمع
الدولي و الصورة المستقبلية التي تسعى للوصول إليها في العلاقات الدولية، على أن هذه الأهداف يتطلب
تحقيقها أسس تنبني عليها السياسة الخارجية لأي وحدة سياسية سواء كانت سياسة خارجية أمريكية أو
سياسة خارجية لأية دولة أخرى، فثمة منطلقات لا بد من توافرها لتحقيق أهداف السياسة الخارجية على أن
هذه المنطلقات في حد ذاتها تختلف من دولة إلى أخرى حسب حجمها و قدراتها و مستواها على ال
الدولية و قناعاتها الفكرية و الحضرية.

محاولتنا لتحديد منطلقات السياسة الخارجية الأمريكية سنحاول التركيز على ثلاث ج :

1- الجانب القيمي أو المعياري

2- ()

¹ - " المدخل في علم السياسة " (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 1982) 309 .

² - عبد الوهاب الكيلاني، " موسوعة السياسة " (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج 3 1993) 96 .

³ - محمد السيد سليم، " تحليل السياسة الخارجية " (القاهرة: مطبعة النهضة المصرية، 1998) 23 .

3- ()

ذلك أن جوهر النظرة الأمريكية للسياسة الخارجية و للعلاقات الدولية يقوم على المصلحة القومية العليا و التي بدورها تقوم على أساسيات في الفكر الأمريكي هي ثلثية الثروة + القيم/الدين + حيث أن تحالف التاجر و العسكري و المبشر في أمريكا هو الذي رسم و يرسم الخلفية الفكرية الأمريكية في تحديد المصلحة القومية العليا و في هذا يقول أحد قادة البحرية الأمريكية " على الولايات المتحدة أن تنشر نفوذها التجاري في أنحاء الأرض كلها.. و التصدي للأهداف الامبريالية الأوروبية..إن مبدأ مونرو يوجب على الولايات المتحدة رفض أي نفوذ آخر.. قومية وحدها، و لا يبدو أن له حدودا فعلى الولايات المتحدة الارتقاء إلى مصاف القوى العظمى.. و تكمن المصلحة القومية، من حيث جوهرها المعلن في طلبها بهيمنة أمريكية ممتدة إلى ما بعد البحار.. " ¹

فالرؤية الأمريكية للعالم منذ خروجها من عزلتها -أثناء الحرب العالمية الثانية- الإمبراطوري الأمريكي لأجل ذلك قامت على جذب العالم إلى مجتمع مثالي يقوم على المبادئ الدينية و القيمة التي يبنني عليها المجتمع الأمريكي و أيضا تراكم الثروة بشتى الطرق سواء تحقق هذا بالتسامح . و هذا هو جوهر ما سيتم التطرق إليه في هذا الفصل.

: القوة العسكرية في السياسة الخارجية الأمريكية

إن المتصفح لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية يقع على حقيقة ثابتة هي " الهجرة " فالجغرافيا الأمريكية لم تنجب شعبا أصيلا حيث أن المجتمع الأمريكي في جوهره مجتمع استيطاني فالأمريكان مستوطنون جاءوا من أصقاع شتى لأسباب شتى ليختاروا هذه الأرض للاستقرار والتي لم تكن مهجورة فقد كان يسكنها "الهنود الحمر"• الذين اضطهدهم السكان الجدد لذلك يمكن القول أن المجتمع الأمريكي بدأ بالهروب من العنف البريطاني من جهة و ممارسة العنف ضد الهنود الحمر من جهة أخرى و عليه فأمریکا بدأت وجودها كمجتمع مضطهد (هاء و كسرهما).

بعد قتل الهنود الحمر شرعت أمريكا خلال الفترة 1801-1845 في بناء قوتها الذاتية فبعد السيطرة على جنوب المحيط الأطلسي (فلوريدا) . 1890-1846 .
بالسيطرة على معظم المناطق من الوسط و الجنوب و الشمال وصولا إلى أقصى الغرب الأمريكي حتى ساحل المحيط الهادي و مفهوم السيطرة هنا لا يقصد به الوجود البشري فقط و إنما ما يحتويه هذا العالم البكر من ثروات و خيرات.¹

من أجل ذلك تأخر بروز الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة العالمية حتى نهاية القرن الثامن و ذلك بعد التخلي عن سياسة العزلة التي فرضتها على نفسها بموجب " كانت أهمها نتيجة لمواجهة الولايات المتحدة تهديدات متعددة من طرف بلدان " كانت أهمها تهديدات روسيا و بريطانيا و بعد إعلان المستعمرات الاسبانية استقلالها عن اسبانيا سعت دول الحلف المقدس لضرب هذا الاستقلال و إعادة السيادة الاسبانية على هذه المستعمرات² و للحيلولة دون ذلك بعث الرئيس الأمريكي " جيمس مونرو " خطابا وجهه للكونغرس الأمريكي في 02 ديسمبر 1823 مبدئين أساسيين هما:³

- مبدأ عدم شرعية الاستعمار و الذي جاء في الفقرة السابعة من التصريح و الذي يقضي بعدم جواز أي احتلال لأي جزء من أراضي القارة الأمريكية.

• هناك من يقول أن الهنود الحمر ليسوا سكان أصليين لأمريكا فهم أيضا من المهاجرين الذين عبروا إلى القارة من مضيق بيرنتج إلى آسيا السيبيرية في أزمنة ما قبل التاريخ.

¹ - أحمد ابراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص 25 .

² - علي صادق أبو هيف، المرجع السابق، ص 227 .

³ - بوكرا ادريس، " : المكتبة الوطنية للكتاب، 1990) (33-35 .

- مبدأ عدم التدخل و الذي ورد ذكره في الفقرتين 48-49 و الذي يقضي بمند
الأوروبية و فرض نظمها على النظام الأمريكي و من جانب آخر امتناع الولايات المتحدة عن
التدخل في شؤون أوروبا هذا المبدأ الذي عبر عنه أيضا بمبدأ الاعتزال.
و بالرغم من تمسك الأمريكيان شعبا و حكومة بسياسة العزلة فقد فرضت عليهم الحرب العالمي
الأولى التخلي عنها خاصة و أن الألمان بحرب الغواصات التي اتبعوها و إغراقهم في أبريل 1917
لخمس سفن أمريكية ردا على الاتفاقية التي أبرمت بين بريطانيا و الولايات المتحدة و التي بموجبها
أصبحت أمريكا المورد الوحيد للطعام و المواد الأولية و الذخيرة اللازمة للجيشين البريطاني و الفرنسي
و أيضا ردا على سماح الولايات المتحدة للحكومات الحليفة باقتراض 2 بليون دولار لتمويل إمدادات
أجبروا الرئيس الأمريكي " وودرو ويلسون " غير أن الشخصية السلمية لويلسون كان
لها أن ساهمت في النهاية المبكرة لمثل هذه الحرب و السعي لمحاولة وضع نهاية لفكرة الحرب في حد
ذاتها " " كمنظمة عالمية من شأنها الحفاظ على السلام العالمي، و
وضع المبادئ الأربعة عشر التي ظلت أساسا للنظرية المثالية التي سادت بقوة في تلك الفترة
مجلس الشيوخ و الرأي العام الأمريكي من دخول الولايات المتحدة في عضوية عصبة الأمم عادت أمريكا
لسياسة العزلة من جديد.¹
لقد احتفظت الولايات المتحدة بعزلتها إلى أن اشتدت شوكة دول المحور في الحرب العالمية الثانية
فأرأت أمريكا أن هزيمة بريطانيا ستمكن دول المحور من فرض حصار عليها دعم الحلفاء ببيع
أسلحة لهم و كذا بقانون الإعارة و التأجير الذي حصلت بموجبه بريطانيا على خمسين مدمرة أمريكية.
هذا و الولايات المتحدة بعيدة ن خط النار حتى جاءت الضربة اليابانية الخاطفة على ميناء " بيرل
هاربر " بجزر هاواي في 07 ديسمبر 1941 لترغم الولايات المتحدة الدخول في الحرب العالمية الثانية.²
و عليه فقد كانت الحرب العالمية الثانية منعطفا هاما في السياسة الخارجية للولايات المتحدة
إلى الدخول في طور جديد هو دور قيادي على المستوى
كان فيه للقوة العسكرية دورا بارزا نتبينه من خلال:

1- تطور القوة العسكرية الأمريكية:

بدأت القوة العسكرية تاريخها في الولايات المتحدة الأمريكية بجدل فقهي بين تيارين يرى أولهما
ضرورة الاهتمام بتوسيع القوة العسكرية حفاظا على الأمن الأمريكي من أي عدوان خارجي في حين
ينادي أصحاب التيار الآخر بضرورة تقليص الاهتمام بهذا المجال إلى أدنى حد ممكن معتمدين في ذلك
على الموقع الجغرافي المحمي لأمريكا و ذلك بابتعادها عن أوروبا- أيضا -

¹ - وود جراي، ريتشارد هوفستدتر، المرجع السابق، ص 118-120

² - " العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر " (بيروت: دار النهضة العربية، 2002) 135-136

اعتبروا أنه في فكرة تضخيم الجهاز العسكري ملامح للسطو على الحريات و هذا ما يناقض أفكار الآباء المؤسسين.¹ نتيجة لهذا الجدل جاء الدستور الأمريكي يعكس الاتفاق بشأن مفهوم القوة العسكرية ينبغي أن تكون للولايات المتحدة الأمريكية حيث نصت الفقرة الثامنة من المادة الأولى على إعطاء سلطة جمع الأموال لإعداد العدة للدفاع و أيضا إعلان

الثانية أن الخيانة ضد الولاي دة تظهر من خلال شن الحرب عليها أو ا مام إلى أعدائها و مساعدتهم و تشجيعهم من أجل ذلك حتمت الحياة الأمريكية على حكومتها تطوير البنية العسكرية مة مؤسسة عسكرية ضخمة في حجمها و ترسانتها و نوعية عناصرها و متركزة في كل أنحاء

2.

لقد كان لدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء سببا كافيا لرجحان كفة الفوز لهم خاصة و أن أمريكا في ضربها لمنطقتي " " " هيروشي " اليابانيتين استعملت نوع جديد من الأسلحة و هو القنبلة الذرية و الذي أنهت به حربا عالمية ضروسا.

و إذا كانت الحرب العالمية الأولى لم تمكن وودر ويلسون من الصمود فعادت أمريكا إلى عزلتها " تيودور روزفلت " عمل بعزم لكي لا تترد أمريكا إل سياسة العز " " تشكيل تحالف من 26 " و قد شجعه الرأي العام و أيده الكونغرس الذي أعلن في خريف 1943 قراره بدخول الولايات المتحدة الأمريكية كعضو في المنظمة العالمية الجديدة بهدف تحقيق العدل و المحافظة على السلام الدائم.³

لم تسفر نهاية الحرب العالمية الثانية عن كسر قيود العزلة و الانضمام لمنظمة جديدة بالنسبة للولايات المتحدة فقط بل الأهم من ذلك هو بروزها كقوة عسكرية هائلة متفردة بالسلح الذري و الذي أدركت منذ البداية أن انتشاره يهدد البشرية بالفناء اتفاقية دولية تفرض رقابة على القنبلة الذرية.

1946 قام مندوب الولايات المتحدة " " بتقديم اقتراح للجنة الطاقة الذرية الدولية يدعو فيه إلى تحريم است خدام الأسلحة الذرية و ف ابة دولية على جم يع المواد الذرية " " كما أصبحت تدعى شرطا واحدا هو أن لا تكون الوكالة الدولية التي ستمارس سلطة التفتيش و التنفيذ خاضعة للفيديو من جانب أية دولة بمفردها و قد أعلنت الولايات المتحدة و هي الدولة الوحيدة آنذاك المالكة للقنبلة الذرية تأييدها لهذا الاقتراح مع تسع دول أخرى لم يكن الاتحاد السوفييتي واحد منهم.⁴

¹ - " الدستور الأمريكي-أفكاره و مثله- ترجمة صادق ابراهيم عودة، () : 108 (1987)

² - Fatima Maamerie, A History of the United States : imprimerie de l'un pp 118-121.

³ - محمد قدرى سعيد و " الامبراطورية الأمريكية " (القاهرة: 35-34 (2001 2

⁴ - وود جراي، ريتشارد هوفستدتر، المرجع السابق، ص 147 .

1947 شهدت أمريكا ميلاد نظام عسكري جديد حيث سن الكونغرس قانون الأمن القومي و الذي تأسست ضمنه المؤسسة العسكرية الجديدة و التي تتألف من:

- _____: يرأسها وزير مدني و تتولى توجيه الخدمات المسلحة و يعتبر الوزير المسئول الإداري المكلف بشؤون الدفاع و يخضع لسلطة رئيس الدولة مباشرة.

- هيئة الأركان العامة المشتركة: و تتولى تقديم المشورة العسكرية لرئيس الدولة كما تشرف على هيئات و قادة جيوش البر و البحر و سلاح الجو.

- القيادات المتمركزة في أنحاء العالم: يشرف عليها قائد القيادات و له صلة إدارية بوزير الدفاع و يخضع لإشراف و اتصال من قبل رئيس هيئة الأركان المشتركة.¹

تشير الدراسات إلى أن ميلاد أي نظام دولي هو بالضرورة ظهور لمجموعة من الدول الأطراف الأكثر فاعلية فيه و هذا ما أفرزه نظام ما بعد الحرب العلمية الثانية و الذي أشار إليه " نماذج الست و هو واحد من النظامين التي استقاهما من الواقع و قد اتسم هذا النظام بتقسيم الدول فيه إلى ثلاث مجموعات (دول كبرى، و أخرى متوسطة، و ثالثة صغرى) و هو نفس التقسيم الذي أشار إليه "سمير أمين" حيث قسم الدول إلى مركز و محيط و تخوم فدول المركز هي الدول المتحكمة في النظام و التي تحدد طبيعته بقراراتها في حين تؤثر دول المحيط في النظام من خلال قوتها لكنها لا تشكل دول التخوم فهي الدول الصغيرة التي فقط تتأثر بالنظام الدولي أيا كانت طبيعته.

و يمكننا حصر مفهوم نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية بأنه نظام ثنائي القطبية يقوم على أساس تدرج هرمي قمته قطبان اثنان متوازنان في القوى فيما بينهما و يقرران بتفوقهما المتوازن صورة النسق العالمي كلها هما الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفيتي.² و القطبية الثنائية في مظهرها التنظيمي هي انقسام الدول ذات الثقل الحضاري و الوزن الاستراتيجي و السياسي إلى معسكرين كبيرين يدور كل منهما في فلك سياسات و مواقف و مصالح قطب ضخم ينفرد بتملك مفاتيح إنتاج و نشر سلاح عالمي المدى و يستأثر بالهيمنة العقائدية و السياسية و الاقتصادية و التنظيمية الدولية على مجموعة الدول المكونة لمعسكره التابع له.³

دخلت الولاية المية الثانية لإنهاء النظام النازي في ألمانيا

و هو ما استدعى مد يد التعاون مع الاتحاد السوفيتي و المشاركة في حرب ساخنة لعالمية الثانية فقد استدعى منطق الهيمنة العالمية و فرض النموذج الصراع بينهما في حرب باردة الذي فرض على الاتحاد السوفيتي مواكبة التطور التكنولوجي العسكري. 1957 أطلق السوفييت

¹ - منصف السليمي، " صناعة القرار السياسي الأمريكي " (باريس: 1997) 213 .

² - محمد طه بـ " مدخل إلى علم العلاقات الدولية " (بيروت: دار النهضة العربية، 1972) 244 .

³ - حسين شريف، " ديد 1981 1995 " (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996)

أول صاروخ نووي و به لم تعد الولايات المتحدة القوة النووية الأولى في بل الأدهى من ذلك فقد أدى تعاظم القوة النووية السوفييتية في الستينات إلى القضاء على التفوق الأمريكي. ففي سبعينيات القرن العشرين ظهر تفوق الاتحاد السوفييتي على الولايات المتحدة في مجال وسائل إطلاق الأسلحة النووية 1972 1800 وسيط في حين احتفظت الولايات المتحدة بتفوق نسبي في مجال امتلاك الرؤوس النووية على الصواريخ العابرة للقارات أما في مجال التكنولوجيا العسكرية فقد احتفظت الولايات المتحدة بالريادة في جميع مراحل الصراع في إطار الحرب الباردة.¹ و على ذلك فقد تميز نظام الثنائية القطبية بتحول جذري في تحقيق ميزان القوى على مستوى النسق إذ ظهرت أدوات جديدة و سياسات حديثة راحت تتبؤ موقع الصدارة في مجال تحقيق توازن القوى العالمي و قد استتبع تراجع أهمية العديد من سياسات ميزان القوى العالمي التقليدي الذي كان في طار التعددية القطبية² فقد ساد في تلك الفترة السباق نحو التسلح بين القطبين العظميين و العمل على تأسيس قواعد عسكرية في مختلف أنحاء العالم و بذلك فقد كانت السمة الأساسية لتلك الفترة هي استخدام القوة في تسيير العلاقات بين القطبين و رفض كل المحاولات الجادة لحل النزاعات الدولية عن طريق³.

و مع كل هذا فقد فرض السلاح الجديد (إستراتيجية عسكرية مختلفة حيث أصبحت القوة لأول مرة أداة ذات قيود ذاتية إذ أصبح الغرض من امتلاك القدرة النووية التهديد باستخدامها و ليس استخدامها الفعلي فقد ظهر في هذا الإطار فكرة " الحرب المستحيلة " النووية تتناقض و حب البقاء الإنساني ساعد على تثبيت فكرة الحرب المستحيلة القدرة على التدمير بالضربة الثانية فقد تأكد كل خصم من أن استخدام السلاح النووي هو من قبيل الانتحار الذاتي. و نظرا لهذه العقيدة التي سادت في تلك الفترة انبثقت نظرية التفاهم السلوكي التي تنطوي على أنه مهما حدث من صراعات يجب ألا تؤدي إلى تصادم بين الجبارين لأن ذلك سوف يؤدي إلى الدمار الشامل و على أسس من الخوف تمت اتفاقيات تمنع انتشار الأسلحة المدمرة.⁴ و هكذا تميزت العلاقات الدولية في تلك الفترة بمد و جزر بين القوتين العظميين اللتان عاشتا حقبة من التصادم اللامباشر كاد في العديد من المواقف أن يوقف العالم على شفا حرب عالمية ثالثة. لكن هذا التصادم لم يؤدي إلى هذه الحرب و إنما أدى إلى تحقيق المعادلة الصعبة بسقوط الاتحاد السوفييتي في 1989 و سقوط المعسكر الشرقي بعده و بذلك بدأ نظام دولي جديد ميزته الوحيدة أنه أمريكي أكثر من

¹ - منصف السليمي، المرجع السابق، ص 214 .

² - " التاريخ - ياسية بين الف - " (القاهرة: الدار الجامعية، 2003)

311-312 .

³ - " العلاقات السياسية الدولية - ول و التاريخ و النظريات - " (ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر، 2000)

61 .

⁴ - حسين كنعان، المرجع السابق، ص 100 .

اللازم نظام قال عنه جورج في خطاباته مع الكونغرس الأمريكي " جديد يصبح أكثر تحررا إزاء التهديد بالإرهاب و أكثر مناعة في إقرارنا أننا نتطلع لعالم جديد يسوده القانون بدلا من شريعة الغاب و تعترف فيه الأمم بمسؤولياتها المشتركة في تحقيق الحرية والعدالة " ¹ و في كلمته التي ألقاها في 13 أبريل 1991 أثناء زيارته لقاعدة عسكرية أمريكية عبر من جديد عن هذا النظام حيث قال: " إن هذا النظام لا يعني التنازل عن سيادتنا الوطنية أو تخليها عن مصالحنا العليا إنه ينم عن مسؤولية أملت علينا نجاحاتنا " ²

لقد استغلت الولايات المتحدة الوضع الدولي الناجم عن فراغ القوة السوفيتية في العالم و ملأته بقوتها العسكرية لتعزيز مركزها و إبراز هيبتها كقوة عظمى و وحيدة في العالم الحرب الباردة لتظهر للعالم على أنها تم لك قوة عسكرية لا يمكن مساواتها مع أية قوة أخرى في سبيل الحفاظ على موقعها المتميز فقد وصل إنفاقها ما قيمته 300 بليون دولار سنويا في العام 1996 عمليات التسليح لفرض نفسها كشرطي عالمي في خدمة السلم الأمريكي. ³

و بالرغم من تراجع دور القوة العسكرية بنهاية المد الشيوعي خاصة بانخفاض حدة السباق نحو التسليح و تقليص الدول لترسانتها النووية فحسب صندوق النقد الدولي انخفض الإنفاق العسكري العالمي 4 بالمئة من الناتج الخام الوطني سنة 1986 3 بالمئة في سنة 1992. ⁴

عالمنا المعاصر يشهد رجحان ميزان القوى العسكرية لصالح أمريكا فلا يوجد منافس اليوم لهذه القوة و لا هي تحتاج لشركاء للقيام بأي عمل عسكري و هي حقيقة لم يشهدها العالم من قبل حتى أن الإمبراطورية البريطانية في أوج قوتها لم ترقى إلى هذا المستوى الرفيع حيث تدل المؤشرات الحالية أن الهوة بين قوة أمريكا العسكرية و قوة دول العالم العسكرية ستتسع على المدى المنظور خاصة و أن الولايات المتحدة ما يزيد عن أربع مرات من استثم

الأبحاث العسكرية و التنمية كما تركز استثماراتها العسكرية في مجال التكنولوجيا الجزيئية و سبر المعلومات مما يضمن لها تفوقا تكنولوجيا على مدى السنوات القادمة. ⁵

¹ - " النظام العالمي الجديد - " (بيروت: دار العلم للملايين، 1992) 65 .
² - عبد القادر رزيق المخادمي، " النظام الدولي الجديد الثابت و المتغير " (ديوان المطبوعات الجامعية، 1999) 17-18 .
³ - " أمريكا و العرب - تصورات مستقبلية في ضوء التحولات الدولية الجديدة - "، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية و العلاقات الدولية، (ديوان المطبوعات الجامعية، 1996) 17 .
⁴ - عبد الله سيد أحمد، طلعت نوري علي، " - تكنولوجيا و أفاق - "، سلسلة العلوم العسكرية، ط4 1988 8 .
⁵ - مارك هيلر و آخرون، " الدور الإسرائيلي - رب الأمريكية على العراق "، ترجمة أحمد أبو هدية، (سوريا: مركز الدراسات الفلسطينية، 2005) 147 .

2- دور القوة العسكرية في صناعة القرار الخارجى الأمريكى:

" تحتل المؤسسة العسكرية مكانة خاصة داخل أجهزة صناعة القرار الأمريكى، سواء باعتبارها هزة التنف يذية أو في علاقتها بالكود باطها بالبنيات الاقتصا ادية و الاجتماعية كالمؤسسات الاقتصادية و جماعات الضغط و وسائل التكنوقراطية و العلمية، فضلا عن مقتضيات تواجدها و تدخلها في مختلف أنحاء العالم. و دستوريا يعتبر الرئيس القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية، و هي سلطة ليست رمزية كما هو الحال في النظم البرلمانية. فالرئيس يتخذ شخصا القرارات الآصرة لكل جندي أو ضابط أو قائد أركان في القوات المسلحة الأمريكية، البحرية و الخطط البعيدة المدى. و يعين الرئيس كبار موظفي وزارة الدفاع و قيادات [...] و يشارك وزير الدفاع و رئيس هيئة الأركان العامة في اجتماعات مجلس الأمن القومي، كما يشارك فيها مساعدوهم في الأقسام المتخصصة بالنسبة لوزارة الدفاع و قيادات الأركان بالنسبة لهيئة الأركان. و يساهم موظفو الدفاع و القوات المسلحة في مناقشة و بلورة الاختيارات و البدائل في مجال السياسة الخارجية.¹

فالقوة العسكرية تعد هدف و وسيلة للسياسة الخارجية الأمريكية في آن واحد فقد اعتبرت هدفا أمريكيا لسياستها الخارجية خاصة بعد الحرب الباردة، حيث سعت لترسيخ سياسة القطب الواحد مستعينة في ذلك بتقوية قوتها العسكرية و هذا ما أبرزته إستراتيجية التفوق المزعومة في أروقة البنتاغون عام 1992 في تقرير سري عنوانه " ترشيد السياسة الدفاعية "، و قد جاء في نص التقرير منع أي قوة عدوة من السيطرة على مناطق ذات موارد قد تساعد في احتلال موقع القوى الكبرى، و بإحباط أي محاولة من الدول الصناعية المتطورة لتحدي زعامتها أو قلب المعادلة السياسية مستقبلا.²

أما من حيث هي وسيلة فقد استعملتها الولايات المتحدة للوصول إلى أهدافها، ففي ظل الثنائية القطبية مثلا استعملت سياسة التدخل العسكري و التي كانت ترى فيها كظاهرة أداة رئيسية لسياستها الخارجية لاسيما تدخلها في مناطق حساسة إستراتيجيا و عسكريا، فبالإضافة إلى اعتمادها على إقامة قواعد و تسهيلات عسكرية لجأت إلى التدخل العسكري المباشر.

و لفهم موقع القوة العسكرية في السياسة الخارجية الأمريكية خاصة بعد الحرب الباردة و بروز الولايات المتحدة كقطب وحيد و أيضا بعد دخول أسلحة الدمار الشامل للميدان، لابد من التطرق إلى إدراك الإدارة الأمريكية للبيئة الدولية في هذه الفترة، فقد صدر عن البيت الأبيض تقرير في فيفري 1996 يتمحور موضوعه حول إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي و ذلك لضرورة يتطلبها الأمن الأمريكي

¹ - منصف السليمي، المرجع السابق، ص 215 .

² - Paul Marie, *Washington et la maitrise de monde*, le monde diplomatique, Avril 1992, pp 6-7.

بشكل أساسي، فاختفاء الاتحاد السوفييتي عن الساحة الدولية كمنافس خطر يداهم القوة الأمريكية لم يبق الساحة فارغة فقد ظهرت أخطار أخرى مختلفة منها انتشار النزاعات، تهديد الاستقرار الإقليمي من قبل الدول العدوانية في أنحاء العالم، التدهور البيئي الواسع و كذا تحدي انتشار أسلحة الدمار الشامل كما تزايد التهديد للمجتمع الأمريكي الحر و المفتوح من قبل قوى الإرهاب و الجريمة المنظمة، و كذلك تجارة المخدرات و أصبحت هذه التهديدات لا تلتزم بها أطراف معينة.

و ببروز المخاطر الجديدة التي تهدد أمريكا و لحماية و تنمية مصالحها رأت من الضروري امتلاك قوات عسكرية مرنة، قوية و قادرة على إنجاز المهام التي تراها موكلة إليها باعتبارها سيدة عالم ما بعد الحرب الباردة أهمها مقاومة انتشار أسلحة الدمار الشامل.¹

و عليه يمكن القول أن عامل التفوق العسكري الأمريكي يساهم بشكل قوي في توجيه القرار السياسي الأمريكي خاصة في مجال السياسة الخارجية، سواء تعلق الأمر بالقرارات العسكرية أو القرارات السياسية ذات الطابع الدبلوماسي أو الاقتصادي، فالهدف الرئيسي من هذه العلاقة هو تحقيق الأمن القومي الأمريكي، و أيضا الأمن العالمي على اعتبار وجود علاقة طردية بينهما و هذا حسب تقدير صناع القرار الأمريكيين.

¹ - مالك العولمي، " الاستراتيجية العسكرية الأمريكية و موقعها من السياسة الخارجية الأمريكية "، السياسة الدولية، العدد 127، جانفي 1997، ص 97 .

في السياسة الخارجية الأمريكية

:

تتفق كل النظريات الاقتصادية على تنوع اتجاهاتها على نقطة واحدة تعكسها أهمية العامل الاقتصادي و اعتباره المحرك الإستراتيجي لحركة المجتمع الدولي عموماً، لقد كان الاقتصاد في الماضي عامل أساسي يوظف لخدمة مجمل المعارك السياسية والعسكرية وحتى الغزو الثقافي، لكن وبعد انتهاء الحرب الباردة تراجعت القوة العسكرية لتتغير المعادلة و من ثم أدوار فاعليها، فقد تحولت المعارك و المواجهات الدولية الساخنة إلى معارك اقتصادية، و بعد أن كان الاقتصاد الخادم الفعال للسياسة و المواجهات العسكرية، أصبحت كل النزاعات و الفعاليات السياسية و الإيديولوجية من أجل الاقتصاد.

هذه الأهمية التي يولها عالم اليوم للاقتصاد غيرت العديد من المفاهيم و القيم لتصب كلها في منحى المصلحة، فمهما كانت قوة العلاقات بين الفواعل و أيا كان نوعها قومية أو عرقية أو جغرافية أو دينية لا مجال لأي ارتباط إلا ارتباط المصلحة، و التي ترتبط بمتغيراتها بالحاجة الاقتصادية و التبادل التجاري و إمكانية بناء جسور التكامل الاقتصادي، ذلك أن الشعوب تبحث بأي شكل من الأشكال عن الرفاه المعيشي.

و من هنا يمكن أن نتبين أهمية الاقتصاد و دوره في السياسات الداخلية و الخارجية و المعايير الإنسانية المختلفة و في اتجاهات السياسة المعاصرة، هذا على الصعيد الدولي بصفة عامة فكيف هو على الصعيد الأمريكي؟

1- دور الاقتصاد في التاريخ الأمريكي:

تقاس قوة الأمم و الدول بمقاييس كثيرة و متعددة تعتبر الثروات واحدة منها إن لم تكن أهمها، فهي تعد إحدى معايير أو عوامل القوة لهذه الدولة كما أن الصراع الدولي يتأثر بشكل كبير من وجود هذه الثروات و طبيعتها و أهميتها، و لاشك أن الجغرافية الأمريكية كانت غنية بثرواتها فالعالم الجديد الذي قصده البيوريتاريين عالم بكر بكل معنى الكلمة، فالوافدين الجدد لهذا العالم اكتشفوا كثافة الغابات المترامية على مدى 2100 كيلومترا تقريبا على طول الساحل الشرقي من الشمال إلى الجنوب فاستغلوه و لم يكتفوا به فراحوا يستعمرون المناطق القريبة منهم و الكثيرة الخيرات، خاصة و أن بريطانيا لم تكن تستعمل أي قوة لحماية مستعمراتها رغم رفضها السيطرة عليها، و لم يصل منتصف القرن التاسع عشر حتى أصبحت الولايات المتحدة المكان الأكثر استقطاباً لأنظار العالم.¹

¹ - وود جراي، ريتشارد هوفستدتر، المرجع السابق، ص 1-7

يذهب الكثير من المحللين إلى أن تحول الولايات المتحدة من جمهورية ريفية إلى دولة مدنية كان في الفترة بين الحرب الأهلية 1871 و الحرب العالمية الأولى، كانت أهم ميزة لهذا التحول هو ظهور الولايات المتحدة كقوة اقتصادية عظمى و رغم تخوف الأمريكيان شعبا و حكومة من اشتعال نيران الحرب في أوروبا في 1914 إلا أن هذه الحرب درت الكثير من الخيرات الاقتصادية عليهم، حيث ازدهرت الصناعات الأمريكية نتيجة للطلبات الواردة من الحلفاء الغربيين على شراء المهمات الحربية.¹

و لأن الولايات المتحدة الأمريكية ظهرت في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى كدولة مهيمنة تؤثر مجرياتها في باقي دول العالم، و لأن العالم اعتاد أن يستورد من أمريكا تكنولوجياها و ثرواتها ها هي عام 1929 تصدر له كسادا اقتصاديا فادحا، بدأ بانكاسة في أسعار الأسهم المالية في الولايات المتحدة الأمريكية، لتصدر آثارها إلى أوروبا و العالم الليبرالي، فتكون بذلك أكبر أزمة اقتصادية عرفتها الدول الليبرالية و التي كانت من أهم نتائجها وصول بعض الأحزاب التوتاليتارية إلى الحكم في أوروبا، لا سيما الحزب الفاشي في إيطاليا و النازي في ألمانيا لتكون الأزمة الاقتصادية لعام 1929 بشكل أو بآخر إحدى شررات الحرب العالمية الثانية و تكون بذلك الولايات المتحدة أهم فاعليها.²

و لأن الحروب تنهك القوى و تدمر الشعوب نفسيا و اقتصاديا و عسكريا فقد فعلت الحرب العالمية الثانية فعلتها في الدول المشاركة فيها، غير أن هذا الدمار لم يشمل الولايات المتحدة و التي خرجت كأكبر دولة اقتصادية، خاصة بعد إنتاجها للقنبلة الذرية و استعمالها للتكنولوجيا الذرية في مجال الصناعة و الزراعة و الطب.

و كما كانت الحرب العالمية الثانية منعطفا في البعد العسكري للسياسة الخارجية للولايات المتحدة كانت أيضا منعطفا في البعد الاقتصادي لسياستها الخارجية .

فخلال الحرب العالمية الثانية و بالتحديد عندما تيقن الحلفاء من النصر راحت مجموعات بحث في كل من كتابة الدولة الخارجية و لجنة العلاقات الخارجية بالولايات المتحدة الأمريكية تضع خطط لعالم ما بعد الحرب كانت خلاصتها فكرة " **ظيم** " و هي فكرة فرضتها متطلبات الاقتصاد الأمريكي و يشمل هذا المجال نصف الكرة الأرضية الغربي، غرب أوروبا، الشرق الأقصى، المستعمرات السابقة للامبراطورية البريطانية (التي تفككت) مصادر الطاقة في الشرق الأوسط (و ذلك بتحويلها تدريجيا من أيدي بريطانيا و فرنسا لأيدي أمريكا) و بقية دول العالم الثالث، و أساس هذا المجال هو جعل الدول الصناعية مثل ألمانيا و اليابان " **ورش عظيمة** " تعمل تحت إشراف الولايات المتحدة، في حين تكون

¹ - وود جراي، ريتشارد هوفستدتر، المرجع السابق، ص 117 .

² - عبد الحميد زوزو، " **تاريخ أوروبا و الولايات المتحدة 1914-1945** - (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1996)، ص 281-283 .

دول العالم الثالث مصدر إمداد المجتمعات الرأسمالية بالخامات و تمثل أيضا أسواقا لبيع المنتجات المصنعة.¹

و انتهت الحرب العالمية الثانية لتبرز الولايات المتحدة كقوة عظمى اقتصاديا حيث تمثل إنتاجها وقتها بأكثر من الإنتاج الوطني الإجمالي للعالم أجمع، فتربعت بذلك على عرش الدولة الأولى في العالم بدون منازع ب 70 بالمئة من أحتياطي العالم من الذهب و إنتاج 50 بالمئة من سلعه و خدماته.²

لقد خرجت معظم القوى الصناعية من الحرب العالمية الثانية منهارة مما جرت به حربين عالميتين متتاليتين من دمار عليها كان هم كل واحدة منها إعادة بناء و هيكلة مؤسساتها و بنياتها التحتية، في هذا الوقت تضاعف إنتاج الولايات المتحدة بثلاث مرات مما كان عليه فقد تسلمت زمام قيادة الدول الصناعية في العالم منذ بداية القرن العشرين، و بنهاية الحرب تمكنت من السيطرة على جانبي المحيطين الأطلسي و الهادي و على 50 بالمئة من ثروات العالم. هذه المكانة و إن كانت أهلتها لقيادة العالم اقتصاديا إلا أنها أيضا حملتها مسؤولية الحفاظ على هذه المرتبة، و في هذا كتب جورج كينان عام 1948 المذكرة رقم 23 لتخطيط السياسة يقول " 50 6.3 بالمئة من سكانه...

هذا الوضع لا يمكننا تجنب حسد و استياء الآخرين مهمتنا الحقيقية في الفترة القادمة هي ترتيب نموذج قات يحاف ... حقيق ذلك سي كون علينا الت

. و تركيز اهتمامنا على أهدافنا القومية المباشرة ... يجب أن نمسك عن كلامنا المبهم للآخرين ... و الأهداف غير الحقيقية مثل حقوق الإنسان، و رفع مستوى المعيشة للديمقراطية. و لن يكون اليوم الذي نضطر فيه للتعامل بمنطق القوة بعيدا. " 3

و لأن أمريكا ليست وحدها الطامحة في قيادة العالم فقد اصطدمت بالاتحاد السوفييتي في حرب باردة كانت لها أيضا خساراتها و هزاتها، فبهذا الصراع توجهت كل الأنظار للقوة العسكرية خاصة في إطار السباق نحو التسليح مما أثر سلبا على باقي الاتجاهات، و مع ذلك فقد كان للاقتصاد دوره في هذه الحرب، ففي عالم أهم ما كان يميزه الصراع من أجل البقاء و الهيمنة سعى كل قطب لإضعاف الآخر من خلال تشجيع الانشقاقات داخل القطب المواجه، مثل إنشاء علاقات اقتصادية تفضيلية مع بعض الدول على حساب الأخرى، أيضا محاولة كل قوة كسب دول خارج إطار محورها عبر سياسة المساعدات المختلفة اقتصاديا و عسكريا.⁴

¹ - نعوم تشومسكي، المرجع السابق، ص ص 14-15 .
² - سمير صارم، " إنه النفط يا (...) - الأبعاد النفطية في الحرب الأمريكية العراقية - " (دمشق: دار الفكر، 2003)، ص 129 .
³ - نعوم تشومسكي، المرجع السابق، ص 13 .
⁴ - مبروك غضبان، " - (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ج1، 1994)، ص 183-187 .

و لأن أمريكا أيضا على عكس معظم دول العالم تقويها الحرب و لا تضعفها فقد انتهى المد الشيوعي ليعترف لها بالريادة فيصبح بذلك عالم ما بعد الحرب الباردة عالم أمريكي و لتتغير أيضا مهمة أمريكا العالمية، فبعد أن كانت مهمتها خلال الثنائية القطبية احتواء الاتحاد السوفييتي أصبحت مهمتها الحفاظ على بيئة أمنية عالمية تناسب المصالح و القيم الأمريكية و ردع أي ظهور لقوة منافسة جديدة، و ذلك بالدفاع على مناطق النفوذ و التفوق الأمريكي مثل أوروبا و شرق آسيا و الشرق الأوسط.¹

فبسقوط الاتحاد السوفييتي سقطت معه الكثير من النظريات و المعتقدات فتراجع أسلوب القوة العسكرية لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية، و ازدياد الاهتمام بالجانب الاقتصادي و الإنساني و الثقافي لتحليل السياسة الخارجية، ساهما في تغيير الفلسفة التي تحكم العلاقات الدولية من تحقيق توازن القوى إلى تحقيق توازن المصالح.²

لقد أيقن الجميع أن حروب ما بعد ظهور القنبلة النووية هي حروب مكلفة و مدمرة، لذلك انصرف الجميع إلى نوع آخر من القوة هي أيضا قوة صلبة و لكنها على عكس القوة العسكرية لا تدر خرابا و دمارا و إنما رفاها و تقدما، لذلك اهتم الجميع بالجانب الاقتصادي الذي اعتبر الميزة الأساسية للنظام الدولي الجديد و الذي تسيره العلاقات التجارية، تدفق المعلومات، رأس المال، التكنولوجيا.. أكثر من تسيير الجيوش له، نظام تميزه العولمة الاقتصادية بما فيها من شركات عابرة للقارات و منظمات اقتصادية تجعل من العالم قرية كونية.

و في الوقت الذي انشغلت فيه الولايات المتحدة بحربها من أجل الهيمنة و الزعامة كانت الدول المهزومة في الحرب العالمية الثانية تعيد بناء ذاتها، فقد أصبحت ألمانيا و اليابان قوتين رئيسيتين منافستين للاقتصاد الأمريكي بما لهما من معدل مرتفع في إجمالي الناتج القومي يفوق نظيره في الولايات المتحدة، و ليست ألمانيا و اليابان وحدهما فوحدة دول أوروبا و الكومنولث الجديد (الذي يضم بلدان الاتحاد السوفييتي سابقا) جميعهم يزيدون من حدة تعقد علاقات أمريكا التجارية.³ من أجل هذا تسعى الولايات المتحدة اليوم للتفرد بثروات العالم الثالث للقضاء على الكتل الاقتصادية المنافسة، و قد شكلت هذه القضية مجال دراسة لصانعي القرار الأمريكيين ذلك أن المصالح الاقتصادية الأمريكية في العالم و في مناطق العالم الثالث بشكل خاص تتسم بالإضطرابات و التغيرات السياسية و من ثم طرحت مشكلة كيفية الاعتماد على المعادن الإستراتيجية كقضية أساسية في سياسة أمريكا الخارجية فقد جاء في تصريح لجون هوايت (لقد وصلنا إلى درجة الشعور بأن لنا الحق في حماية مصالحنا المشروعة في أي مكان من العالم).⁴

¹ - أميمة عبد اللطيف، " المحافظين الجدد - " (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003)، ص 63 .

² - حسين شكري، " عاصفة الجليد- أمريكا و نهاية الاتحاد السوفييتي - " (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992)، ص 68-69 .

³ - لاري اللوبيتز، " نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية "، ترجمة جابر سعيد عوض، (القاهرة: الجمعية المصرية، 1996)، ص 291 .

⁴ - عمار بن سلطان، " العلاقة الجدلية بين المصالح الأمريكية و التسوية للصراع العربي الإسرائيلي 1970-1980 "، رسالة دكتوراه دولة في العلوم السياسية- علاقات دولية- جامعة الجزائر، 1990، ص 40 .

و الجدير بالذكر أن مكانة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الاقتصادي العالمي من المنظور الإستراتيجي تأتي من سيطرتها على طرق التجارة الدولية و أسواقها و مصادر الطاقة في العالم و مراكز البحث و الإبداع، و تعود هذه السيطرة إلى اكتشاف " " " ليحول طرق التجارة الدولية القديمة التي كان يسيطر عليها الشرق أوسطيون إلى طرق بحرية تسودها بريطانيا بعد حروب دموية مع نظيراتها من القوى الإستعمارية، و قد اقتسم التحالف الأنجلوأمريكي النفوذ على هذه الطرق بعدما عجزت بريطانيا عن حمايتها لوحدها، و قد ظلت هذه الطرق تحتل قيمة إستراتيجية في الاقتصاد الدولي. غير أن نهاية الحرب الباردة قلبت الموازين و جعلت اليابسة تنهياً لشق طرق جديدة، و حفاظاً من أمريكا على نفوذها التجاري سعت إلى الحول دون ذلك، و لعل ما يحدث في آسيا من تطور و تنمية هو المترجم الفعلي لذلك و الذي تحاول الولايات المتحدة أن تعرقه بالمعارك أو بالوجود العسكري أو بالحروب الأهلية.¹

كما و تجدر الإشارة إلى أن الاقتصاد الأمريكي يقوم على ركيزة أساسية يصعب التخلي عنها هي " " "، و ليس الاقتصاد الأمريكي وحده فقد أثبت تاريخ الاقتصاد العالمي أن النفط على مدى قرن و نصف من الزمان قدم للحضارة كل ما يمكن أن يقدمها و بينها، و كل ما من شأنه أن يدمرها و يفنيها، فالنفط كما قدم الوقود اللازم لخبزنا ووسائل انتقالنا قدم أيضاً الوقود لحروبنا و صراعاتنا.

و في صدد أهمية النفط في السياسة الأمريكية تقول " كلوديا رايت " أن حماية النفط تقع في مقدمة ثوابت السياسة الأمريكية فهي تسعى إلى الوصول إلى أضخم كمية بأقل سعر، كما تسعى لتجنيب السوق البترولية أي عوائق أو هزات في الأسعار.² فالنفط هو القلب النابض للحياة الاقتصادية سواء عند أمريكا أو الدول الغربية عموماً، و أي سياسة تتعلق بالنفط لا تخدم هذه الدول كتحديد حصص الإنتاج بنسبة لا تتساوى مع احتياجاتها أو الزيادة في الأسعار من شأنه أن يغير بل يقلب نمط الحياة رأساً على عقب، لذلك تعمل الولايات المتحدة بكل قوتها على الحفاظ على استمرار تدفق امدادات النفط.³

و لأن الدول العربية تملك أكبر عائدات النفط العالمي فقد سعت الولايات المتحدة للسيطرة على أهم المراكز العالمية و العربية خاصة المنتجة للنفط، و ذلك على حساب قاعدة أن من يتحكم في استخراج النفط و تكريره و بيعه يملك السيطرة على الآخرين، كما أن الغرب عموماً و الولايات المتحدة على وجه الخصوص ترى أن تعاملها مع الدول العربية في قضية النفط لا يمكن أن يكون تعامل زبون مع صاحب سلعة بل هو تعامل صاحب حق لطالما هو المكتشف و المستخرج.⁴

و رغم كل المقومات التي تجعل من الاقتصاد الأمريكي أكبر اقتصاد عالمي في الوقت الحالي خاصة

¹ - إسماعيل الشطي، " تحديات إستراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول " مجلة المستقبل العربي، العدد 283، سبتمبر 2002، ص 39 .

² - عبد الجليل زيد مرهون، " أمن الخليج بعد الحرب الباردة " (بيروت: دار النهار للنشر، 1997)، ص 347 .

³ - علاء عبد الوهاب، " الشرق الأوسط الجديد-سيناريو الهيمنة الإسرائيلية - " (القاهرة: سينا للنشر، 1995)، ص 180 .

⁴ - محمد عابد الجابري، " مسألة الهوية- ... " (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995)، ص 145 .

و أنه يتحكم أو يشارك في السيطرة بشكل أو بآخر في المنظمات الدولية الاقتصادية المتخصصة، خاصة البنك العالمي و صندوق النقد الدولي و منظمة التغذية و الزراعة، حيث يحتل أكبر حصة مالية فيها تقدر بـ 12 بالمئة من مجموع الحصص هذه النسبة التي تساعده في توجيه القرار السياسي للبلدان النامية من خلال استغلال هذه المنظمات في فرض شروط و خطط تقويمية لاقتصاد هذه الدول.

بالرغم من كل هذا فاهتمام أمريكا بتصدر الرتبة الأولى و الهيمنة على العالم يقمها في الإهتمام بالسيطرة على العديد من المناطق بالقوة، و التي تكبدها الكثير من الخسائر و التنازلات المادية في الوقت الذي تسعى دول مثل اليابان و الصين و مجموعة دول الإتحاد الأوروبي...إلى بناء قوتها الاقتصادية فهل هي بؤادر تراجع الريادة الأمريكية؟

2- دور الإعتبارات الاقتصادية في السياسة الخارجية الأمريكية

ارتكزت السياسة الخارجية الأمريكية منذ بروز الولايات المتحدة على الساحة الدولية على سياسة " " و يعد العامل الإقتصادي أداة من أدوات تطبيق هذه السياسة و ذلك عن طريق اتجاهين:

-**اتجاه إيجابي) :** و يتمثل في تقديم المساعدات بغرض كسب تحالف أو تأييد الدول مما يخدم المصلحة الأمريكية، و قد استعمل الاقتصاد كوسيلة من وسائل تحقيق السياسة الخارجية الأمريكية في أعقاب الحرب العالمية الثانية و ذلك عن طريق سياسة المعونة الخارجية، و رغم حداثة ظاهرة برنامج المساعدات الإنمائية نسبيا إذا ما قورنت بظهور الدولة القومية إلا أنها أثبتت كفاءتها كأداة فعالة لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية خاصة أثناء الحرب الباردة، إذ أنفقت الولايات المتحدة منذ 1947 إلى غاية 1990 نحو 374 مليار دولار من بينها 233 مليار دولار كمعونة اقتصادية لأكثر من 100 دولة نامية.¹ و قد تميز برنامج المعونة الخارجية الأمريكية بأربعة مراحل:

* _____ : و خصت به الدول الأوروبية الحليفة و التي يعد تأييدها للولايات المتحدة كافيا ليرجح كفة الإنتصار على الاتحاد السوفيتي، و قد قدرت المساعدات بـ 7 مليار دولار لمدة أربع سنوات أعلنها وزير الخارجية الأمريكي آنذاك " " .²

* _____ : و تتمثل في رغبة الرئيس " " في توسيع البرنامج في العالم الثالث خاصة الدول النامية، و قد أعلن عنه سنة 1949 و يعد أكثر طموحا من مشروع مارشال إذ يسعى لإحداث التنمية في الدول النامية.

* تعود إلى قصة الرجل الذي كان يمتطي حماره و يستغله في مسافات بعيدة و لكي يتحمل الحمار كان يمسك بعضا معلق عليها حزمة جزر ويضعها صوب عيني الحمار ليحفزه على المشي و إذا ما تراجع الحمار استعمل العصا لضربه.

¹ - محمد جاد، " المعونة الخارجية والأهداف الأمنية "، السياسة الدولية، العدد 127، جانفي 1997، ص 102 .

² - صلاح محمد، " الواضح في التاريخ المعاصر (1939-1991) "، (الجزائر: منشورات القصة، 1996)، ص 80 .

* : كانت في النصف الثاني من الخمسينات طالبت فيها دول أمريكا

اللاتينية الاستثمارات الأمريكية و التركيز على الشق الاقتصادي التنموي من المعونة.¹

* مرحلة الاتجاهات الجديدة: جاءت بعد الحرب الأمريكية الفيتنامية و التي تعد الحرب الوحيدة

التي خسرتها الولايات المتحدة إلى جانب حليفها فيتنام الجنوبية إلى حد الآن، بعد هذه الحرب أصبحت أموال المعونة الخارجية توجه مباشرة لمساندة الجهود العسكرية في فيتنام و ذلك على إثر تولي " جيمي كارتر " الحكم 1977 إذ سعت إلى طي زمن الحرب و تطبيع العلاقات مع فيتنام، فكان هذا البرنامج الاقتصادي الذي بموجبه قدمت المؤسسات المالية الدولية الأمريكية قروضا إلى

فيتنام الشمالية، و التي بموجبها تمنح وضع الدولة الأولى بالرعاية في مجال التجارة.²

لقد استمرت سياسة المعونة الاقتصادية طوال فترات الحرب الباردة لمختلف الدول و كان أساس هذه المعونات هو توفير الأمن و الاستقرار للولايات المتحدة الأمريكية، و معنى هذا أن هذه الظاهرة الأمريكية لا تخضع لدوافع إنسانية منزهة الأغراض، فقد نص الفصل 511 من قانون الأمن المتبادل الأمريكي صراحة في فقرته الثانية " أنه لا يجوز منح أية مساعدة اقتصادية أو فنية لأي بلد من البلاد إذا كانت هذه المساعدة لا تدعم أمن الولايات المتحدة الأمريكية".³

* اتجاه سلبي (العقوبات): و ذلك باستغلال الجانب المالي للتغيير الجذري في علاقات الولايات المتحدة بالدول المناهضة كما حدث في علاقتها بالصين الشعبية عقب أحداث 4 جوان 1989م، و التي قام فيها جيش التحرير الشعبي الصيني بقمع مجموعة من النشطاء في مجال الديمقراطية، و لأن انهيار المعسكر الشيوعي بدا واضحا لم يعد في حاجة أمريكا كسب الصين كحليف استراتيجي ضد الاتحاد السوفييتي، لذلك في أعقاب " تيانانمن " فرضت الولايات المتحدة عقوبات على الصين تمثل جانبها الاقتصادي في:

- تعليق اتفاقيات التجارة و التعاون الدولي التي بينهما.

- سحب المساندة لتقديم قروض جديدة للصين من بنك التنمية متعدد الأطراف في 1990.

- إلغاء أنشطة شركة الاستثمار الخاص فيما وراء البحار ووكالة التجارة و التنمية ابتداء من 1990.

و غيرها من العقوبات التي تكبدتها الصين من الولايات المتحدة، والتي لم تكن دوافعها الحقيقية أحداث يونيو 1989 بل هي رد غير مباشر على سياسة الصين التجارية و فائضها المتنامي في الولايات المتحدة، كما أنها رد على علاقة الولايات المتحدة بتايوان و أيضا نهج الصين إزاء انتشار أسلحة الدمار الشامل.⁴

¹ - محمد جاد، المرجع السابق، ص 106-107 .

² - ريتشارد هاس، ميجان أوسوليفان، " العسل و الخل- الحوافز و العقوبات و السياسة الخارجية -"، ترجمة إسماعيل عبد الحكم، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة و النشر، 2004)، ص 138 .

³ - إكرام لمعي و آخرون، المرجع السابق، ص 257 .

⁴ - ريتشارد هاس، ميجان أوسوليفان، المرجع السابق، ص 13-14 .

تعد فترة ما بعد الحرب الباردة أهم مرحلة في حياة المدرسة الاقتصادية في النظرية الليبرالية و ذلك بطرح بعض الأكاديميين لفكرة عولمة الاقتصادات العالمية و صعود الشبكات غير القومية و المنظمات غير الحكومية و الانتشار السريع للاتصالات الكونية و هو ما انعكس على الولايات المتحدة، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي تزايدت قوة الليبراليين الانعزاليين خاصة بانتصار " بيل كلينتون " في الانتخابات الرئاسية الأمريكية في 1992 و قد كان اهتمام كلينتون متمركز على السياسة الداخلية و انعاش الاقتصاد الأمريكي، و هو ما يعكس أهم مبادئ النظرية الليبرالية و التي ترى في القوى الاقتصادية الفعالة من أهم الأدوات التي تستخدمها السياسات الخارجية بشكل عام في تحقيق مصالحها المشتركة،¹ و هذا شأن تقاليد برامج الحزب الديمقراطي الأمريكي بصفة عامة و هي التركيز على المسائل المتعلقة بقضايا الاقتصاد و الانفتاح الاقتصادي، فقد حاولت الإدارة الأمريكية على مختلف مراحل حكم الحزب الديمقراطي على وجه خاص تعزيز اقتصاد عالمي منتج و مفتوح و هي ترى في ذلك أنه عامل هام لازدهار الاقتصاد الأمريكي. لقد حقق الحكام الديمقراطيون الكثير للنظام الاقتصادي الأمريكي بل إن المحللون السياسيون يعتبرون أن فترة رئاسة " بيل كلينتون " أفضل مرحلة اقتصادية في تاريخ الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تمكن من تحويل العجز الاقتصادي المتوقع سنة 1999 من 400 مليار دولار إلى أكثر من 113 مليار دولار كفائض.²

تجدر الإشارة إلى أنه بخلاف المؤسسات الرسمية التي لها دور تنفيذ و توجيه في السياسة الخارجية الأمريكية (كالكونغرس، الرئاسة، كتابة الدولة الخارجية، مؤسسة الدفاع القومي..) هناك مؤسسات أو دوائر غير رسمية تؤثر و تساهم في صنع السياسة الخارجية الأمريكية كإعلام، الرأي العام و الجماعات الضاغطة هذه التي تعد الجماعة الاقتصادية و اللوبيات غير الأمريكية الأكثر تأثيراً فيها.

و من بين جماعات الضغط المؤثرة في السياسة الخارجية الأمريكية جماعات قطاع الأعمال و التي تشمل العديد من المنظمات الاقتصادية الكبيرة، و التي تدور بداخلها عدة اهتمامات لعدة جماعات ضغط صغيرة لأجل ذلك يطلق عليها اسم " جماعة المظلة " و جميعها تعبر عن المصالح الصناعية و التجارية الخاصة بمجال عملها.

و تعد مؤسسات البترول الأكثر تأثيراً في السياسة الخارجية الأمريكية لما يوجد من صلات وثيقة بين مراكز السلطة السياسية الأمريكية و مالكي شركات النفط الكبرى، و كمثال على هذه العلاقة مستشار الرئيس كارتر في السياسة الخارجية " زبينجو بريجنسكي " تولى رئاسة الهيئة الثلاثية التي أسسها "ديفيد روكفلر" في 1973 و الذي يعد أشهر مالكي شركات النفط الكبرى، كما أن بوش الأب قبل توليه المناصب العامة كان رئيس مجلس شركة " زاباتا أوفشور " النفطية في تكساس و التي أسسها بنفسه و قد

¹ - معتز محمد سلامة، " الصين والولايات المتحدة جوهراً للخلاف "، مجلة السياسة الدولية، العدد 126، أكتوبر 1996، ص 190.
² - Eduate Rhodes, *The imperial logic of Bush's Liberal Agenda*, survival, vol 45.no.1, spring 2003.p 17.

باع مصالحه فيها عندما انتخب عضوا في الكونغرس سنة 1966م، لكنه حافظ على علاقات وطيدة مع ملاكها لذلك قاموا بتمويل حملته الانتخابية في 1988، و بالإضافة إلى مالكي شركات النفط هناك من بين قطاع الأعمال الأسر اليهودية المالكة لكبريات الشركات الصناعية التجارية و التي تعد تدخلاتها نافذة إلى أجهزة صناعة القرار في أمريكا و أشهرها أسرة ادغار برونغمان، آل انبرج، آل كروان، آل لودر... إلخ إضافة إلى قطاع الأعمال نجد اللوبيات الأجنبية و التي تعد من أحدث الجماعات الضاغطة، و يركز اللوبي تحركاته على دراسة نشاط الهيئات الأمريكية و معرفة طبيعة الخريطة الفعلية لدولاب الحياة السياسية و طبيعة عمل المؤسسات القانونية أو التشريعية القائمة في المجتمع الأمريكي، مما يسهل على الحكومة الأجنبية التي يعمل اللوبي لصالحها لتوضيح سياستها للرأي العام الأمريكي و لإقناع الكونغرس لتبني سياسة مؤيدة لها، و عادة ما يعتمد اللوبي على تأثير الجماعات العرقية التي ترجع أصول أعضائها إلى جنسية البلد الأجنبي و أهمها " اللوبي الصهيوني " الذي يساهم في التصويت على الرئيس الأمريكي بنسبة 60 إلى 70 بالمئة من عدد اليهود المتواجدين بأمريكا أي أنه تقريبا هو الذي يحدد هوية الرئيس الأمريكي.¹

اللوبي الإسرائيلي هو ما يتفق كل من " جون ميرشايمر " و " ستيفن والت " بأنه لفظ يستعمل للتعبير عن التحالف الفضفاض بين الأفراد و المنظمات التي تعمل لتشكيل السياسة الخارجية الأمريكية في اتجاه يخدم إسرائيل، و ليس المقصود به حركة موحدة ذات قيادة مركزية أو أن الأفراد بداخله لا يختلفون على قضايا معينة.²

و من أبرز جماعات اللوبي الإسرائيلي " منظمة المجلس اليهودي العالمي " و تبرز قوة و نفوذ اللوبي الإسرائيلي في السياسة الخارجية الأمريكية من خلال قوته و ضخامته داخل الولايات المتحدة، فاللوبي الإسرائيلي قوة مالية ضخمة تمكنه من السيطرة على سوق المال و الأعمال، الشركات العملاقة في ميادين الصناعات الحربية و التكنولوجية و البنوك، مما يمكنه من التأثير في القنوات و الهيئات السياسية كالأحزاب و الجمعيات المهنية و مراكز البحث و الاستشارة، هذه القوة تجعله يختلف عن باقي جماعات الضغط إذ تمتد قوته و عمله إلى نطاق أعلى قمة هرم الدولة (البيت البيض) و مختلف أجهزة صناعة القرار السياسي، و هو ما يمكن ملاحظته من خلال القرار السياسي الأمريكي إزاء قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي أو قضية الشرق الأوسط بشكل عام.

و عليه يمكن القول أن الاقتصاد كما هو أداة من أدوات السياسة الخارجية الأمريكية هو أيضا من أهم أهدافها و توجهاتها، فالولايات المتحدة تعمل على تشجيع اقتصاد السوق و دعم التجارة التنافسية من خلال توسيع الأسواق التجارية في العالم، كما تعمل من خلال الشركات المتعددة الجنسيات و انتشارها في

¹ - اسماعيل الشطي، المرجع السابق، ص 37

² - نفس المرجع، ص 39

مختلف أنحاء العالم بقصد استعمال الاقتصاد كأداة للتأكيد على سيطرتها و نفوذها في العالم و كمتغير فعال في مشروع أمركة العالم.

المبحث الثالث: المنطلق الديني في السياسة الخارجية الأمريكية

لقد ظل الجانب الديني بعيد عن الدراسة و التحليل في الأوساط الفكرية و البحثية لسنوات عدة، غير أن السنوات الأخيرة و خاصة بداية الألفية الثالثة قد شهدت اهتماما ملحوظا بدراسة البعد الديني في تحليل السياسات الخارجية، خاصة و أن أحداث 11 سبتمبر 2001 التي مست الولايات المتحدة الأمريكية قد أعطت لهذا الجانب اهتماما زائدا، لذلك سنحاول في هذا الجزء من البحث إلقاء الضوء على تأثير البعد الديني على اتخاذ القرار في السياسة الخارجية الأمريكية. و قبل التطرق لهذه النقطة ارتأينا تحليل مفهوم و أهمية الدين على حدى.

1- تحديد مفهوم الدين و أهميته:

لما كان الدين ظاهرة هامة على المستوى الفردي و الجماعي عبر مختلف العصور، كان لدراسة مثل هذه الظاهرة نوع من الاختلاف و تعدد الاتجاهات و النظريات و من ثم تنوع التعريفات لظاهرة الدين، من بينها تعريف الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" بأن " الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية سامية".¹

كما ينظر للدين على أنه " نظام فكري و شعوري و عملي مشترك بين مجموعة من الأفراد و الذي يعطي الأعضاء نوعا من الولاء كما أنه يشكل رمزا لسلوك الأفراد على أساسه يقيمون النتائج الشخصية و الإجتماعية لأعمالهم".²

كما يعرف الدين على أنه " الإلتزام بعقيدة معينة و أداء فرائضها و شعائرها و كل ما يتصل بها من العبادات نحو المعبود المعترف به من هذا الدين و هو ظاهرة اجتماعية يتسم بالموضوعية و التلقائية و الإلزام و العمومية و الجاذبية و الترابط".³

أما الشيوعيون فيعتقدون أن الدين أفيون الشعوب، فالدين حسبهم ذا أهمية و قوة تأثير على الشعوب و تحريكها فهو العصا السحرية التي إن اقتنتها جهة حاكمة أمكنها التحكم في شعوبها، فالدين هو أحد أهم المكونات للبعد الحضاري و الثقافي لأي شعب و أي أمة، كما أن تأثير الدين في بناء و تعاقب و استمرارية الحضارات الإنسانية يبرر من خلال كونه يمارس على نطاق شعبي و ليس نخبوي. فالدين هو

¹ - أحمد الخشاب، " الاجتماع الديني- مفاهيمه النظرية و تطبيقاته العملية- "، (مصر: مكتبة القاهرة الحديثة، ط3، 1970)، ص 75 .
² - عصام عبد الشافي، " دور الدين في السياسة الخارجية الأمريكية- الأزمة العراقية نموذجا- "، السياسة الدولية، العدد153، جويلية 2003، ص 130 .

³ - زيدان عبد الباقي، " علم الاجتماع الديني "، (القاهرة: مكتبة غريب، 1981)، ص 54 .

الحد الفاصل بين الإنسان و الحيوان فالأكيد أن قوة الحيوان تزيد على قوة الإنسان و سلوك الإنسان يفوق الحيوان فإذا لم ينضبط سلوك الإنسان بالدين تفوق الحيوان الذي بداخله.

كما تبرز أهمية الدين من التعريف اللغوي للكلمة فالدين لغة من دان القوم له أي انقادوا له و ساسهم و قهرهم و من هنا تظهر قوة الدين في التأثير على الشعوب و انقيادهم له،¹ و هذا الحديث لا تختص به ديانة محددة سماوية كانت أو ميثافيزيقية فكل يعتقد أن إلهه هو الأقدر.

كما تبرز أهمية الدين من خلال حقيقة أن الوحدة و التضامن الإجتماعي و من ثم تكامل المجتمع كنسق متكامل يتضح من خلال الإقتناء المشترك لأفراد المجتمع الواحد لنفس القيم و الغايات، و إن كانت العلاقة بين الدين و التغير الإجتماعي و السياسي تختلف من مجتمع لآخر و حتى في المجتمع الواحد من فترة لأخرى.²

إذا كان الدين عند المسلمين بصفة عامة مصدر من مصادر التشريع لقوانينهم الوضعية فهو عند الغرب و خاصة بعد مؤتمر واستفاليا 1648 مستبعد عن الحياة السياسية، و إن كان هذا ظاهريا فقط حسب ما تتضمنه معظم الدساتير الغربية من فصل الدين عن الدولة، ففي الأصل لا يزال الدين الإطار المرجعي للانتساب الحزبي و التفضيل الانتخابي، كما لا تزال الكنائس عند الغربيين تتمسك بحقها في الممارسة السياسية و التوجه السياسي، فالملاحظ في العالم الغربي المعاصر هو تمتع المؤسسات الدينية بتفويض كامل للعب دور أساسي و مشروع داخل النظم الغربية.³

و إذا كان هذا هو الدين في المجتمعات الغربية بصفة عامة فكيف هو عليه في النظام الأمريكي على وجه الخصوص؟

2- مكانة الدين في الحياة السياسية الأمريكية:

رغم أن دستور الولايات المتحدة الأمريكية يعتبر وثيقة علمانية تبدأ بعبارة " نحن الشعب " و لا يحتوي على أي إشارة لدين معين، بل أكثر من ذلك فقد استخدمت عبارة الدين للتأكيد على عدم التمييز بين المواطنين على الأساس العقائدي، ذلك أن الفقرة السادسة من الدستور تنص على عدم إجراء الاختبار الديني لطالبي الأشغال و الوظائف الحكومية، كما نص التعديل الأول للدستور الأمريكي على استبعاد الأساس الديني في تشريع أي قانون.⁴

و على الرغم أيضا من أن التعديل الأول ضمن التعديلات الدستورية في الولايات المتحدة و الذي تم إقراره في 15 ديسمبر 1791 يقر بعدم إصدار الكونغرس لأي قانون خاص بإقامة دين من الأديان، أو يمنع حرية ممارسته الأمر الذي دعى كتابة الدولة الخارجية الأمريكية إلى الشروع في إنجاز تقرير سنوي

¹ - عبد القادر حسن، " الدين و العلم و الإيمان و الدولة في منظور الإسلام "، (القاهرة: دار الفكر العربي، 2002)، ص 37 .

² - عصام عبد الشافي، المرجع السابق، ص 130 .

³ - محمد بوبوش، " البعد الديني في السياسة الخارجية الأمريكية "، نقلا عن: <http://boubouche.blogs.ma/tg.php?id=2>

⁴ - يحيى عبد المبدئ محمد، " هل يمكن وصف أمريكا بأنها دولة مسيحية "، نقلا عن: <http://www.w3.org/1999/x>

حول الحريات الدينية في العالم منذ عام 1939 بوصفها راعية حرية التدين و حماية حقوق الأقليات بمختلف ألوانها داخل الكرة الأرضية، و هو تقرير يصدر كملحق للتقرير السنوي لحقوق الإنسان حول العالم.¹

و على الرغم كذلك من الوجود الضمني لفكرة فصل الدين عن الدولة المتضمنة لحرية التدين و عدم فرض الدين بالقوة " **دعني أؤمن بما أشاء لكي أدعك تؤمن أنت أيضا بما تشاء و لنختلف بالكلمة بدلا من السيف** " و هو اتفاق ضمني غير مكتوب استمدته الدستور الأمريكي و القادة الأمريكيين من الفيلسوف الإنجليزي "**جون لوك**" (1632-1704)، و الذي يعد المصدر الرئيسي للتفكير السياسي الذي ساد الولايات المتحدة إبان ثورتها، و جوهر أفكار القادة الأمريكيين واضعي الدستور الأمريكي الذي بدوره يعد توراتهم الجديد.²

على الرغم من كل هذا فإن المتصفح لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية يدرك مدى الدور الذي لعبه الدين في هذا العالم الجديد، و الذي بدأ انكليزيا كما يقول آلدن.تي.فون: " في الأساس كان كل شيء تقريبا انكليزيا: أشكال ملكية الأرض و الزراعة و نظام الحكومة و طرق سن القوانين الأساسية و الإجراءات القانونية و خيارات التسالي و نشاطات أوراق الفراغ و مظاهر لا تعد و لا تحصى في الحياة الكولونيالية"³

فالدين بدأ في أمريكا كظاهرة هاربة من الاضطهاد البريطاني إلى العالم الجديد الذي سمي في البداية " **انكلترا الجديدة** "، فقد حمل البيوريتانيين سنة 1620 العقيدة البروتستانتية* (الكالفينية) التي فشلوا في تطبيق تعاليمها في انكلترا فحملوا لوائها إلى القارة الجديدة، و حاولوا موائمة أفكارها مع الطبيعة الجغرافية و الإجتماعية الجديدة. و برغم أن أي فكرة هي وليدة بينتها إلا أن علماء الإجتماع يذهبون إلى أن العقائد الدينية و الكنائس تعكسان المجتمعات التي تهيمن عليها بقدر ما تعكسها هذه المجتمعات بدورها أيضا، و طبقا لهذه الرؤية فإن " **جان بيار فيشو** " يرى أن الدين في الولايات المتحدة الأمريكية ولد مع المجتمع في آن واحد على العكس من باقي الدول.⁴

¹ - ماكس.ج.سكيدمور، مارشال كاتروانك، " **كيف تحكم أمريكا** "، ترجمة: نظمي لوقا، (القاهرة: الدار الدولية للنشر و التوزيع، 1988)، ص 328.

² - زكي نجيب محمود، " **حياة الفكر في العالم الجديد** "، (بيروت: دار الشروق، ط2، 1982)، ص 13-15.

³ - صموئيل ب. هنتغتون، " **من نحن؟- التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية-** "، ترجمة: حسام الدين خضور، (دمشق: دار الرأي للنشر، 2005)، ص 71.

* **البروتستانتية** هي الضرب الثالث من المسيحية بعد الأرثوذكسية و الكاثوليكية نشأت في فترة حركة الإصلاح و للديانة البروتستانتية سماتها النوعية الخاصة، فالبروتستانت لا يعترفون بالمظهر الكاثوليكي و يرفضون القديسين و الملائكة و الفداء عند الأرثوذكسيين و الكاثوليكين و لا يتعبدون سوى للثالوث الإلهي، و الفرق الأساسي بين البروتستانتية من جهة و الكاثوليكية و الأرثوذكسية من جهة أخرى أن البروتستانتية تقول بوجود رابط مباشر بين الله و الإنسان و أن النعمة الإلهية تصل إلى الإنسان من عند الله دون سلطة الكنيسة و الخلاص لا يتحقق بغير إيمان الإنسان الخاص بإرادة الله.

⁴ - سمير مرقص، " **الإمبراطورية الأمريكية- ثلاثية الثروة..الدين..القوة من الحرب الأهلية إلى ما بعد 11 سبتمبر-** "، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003)، ص ص37-38.

لذلك يمكن القول أن الدين يعد أحد الأسس الرئيسية التي قام عليها المجتمع الأمريكي، فالبيوريتانيين عندما عبروا المحيط إلى الأرض الجديدة تمثلوا عبور الشعب اليهودي للبحر الأحمر عند خروجهم من مصر إلى أرض الميعاد - كما سموها -، و اعتبرت أمريكا من وجهة نظر البيوريتانيين المهاجرين الأرض الموعودة من الله لنشر الرسالة المسيحية، و هي الرؤية التي تبناها والتر.أ.مكدوجال في كتابه " أرض الميعاد و الدولة الصليبية " و الذي يبين فيه تأثير الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد على العالم الجديد، من حيث أن على المهاجرين في العهد القديم بناء الشعب و الدولة و اتساعها أما في العهد الجديد فهو تحمل مهمة نشر الرسالة المسيحية إلى جميع الأجناس و الألوان أو ما يسميه ملكوت الله.¹

و لما كانت الفلسفة البروتستانتية تؤمن بأن أصل المسيحية هي اليهودية و أن يسوع ولد يهوديا فالمهاجرين البروتستانت اعتبروا أمريكا " أورشليم الجديدة " أو " كنعان الجديدة " أو الثانية و آمنوا بأن اسرائيل هي أرض الميعاد، و بأن عودة المسيح مشروطة بتمركز يهود العالم في فلسطين ليعود المسيح و يقضي في المعركة النهائية " أرمجدون " أو " هرمجدون " على قوى الشر و هي معركة سيسبقها قتال في وادي الفرات بحسب سفر الرؤيا، و هو ما جاء في كتاب " مارتن لوثر " - الذي يعد زعيم و مؤسس حركة الإصلاح البروتستانتية- " المسيح ولد يهوديا " لعام 1523 و الذي سعى فيه لتحويل اليهود إلى البروتستانتية بحجة أنهم من أصل واحد لكن العكس هو ما حدث فقد سعى اليهود لتهويد المسيحية لذلك عاد " مارتن لوثر " ليكتب عن اليهود و كذبهم عام 1544م.²

وعليه يمكن القول أن الدين كان دائما مصدر القيم الاجتماعية و السياسية التي تحكم المجتمع الأمريكي، أما عن الدور الذي يلعبه الدين اليوم في الحياة العامة الأمريكية فتحكمه عدة اعتبارات أهمها:

- * تزايد قوة المؤسسات الدينية حيث أصبحت ذات نفوذ سياسي و اقتصادي و إعلامي و مالي، كما تتحكم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية من خلال نفوذها و سيطرتها على الكونغرس الأمريكي حيث يشكل الكاثوليك 28.8 بالمئة من الكونغرس بمجلسيه، أما جماعات المسيحية البروتستانتية فإنها تشكل ما تزيد نسبته عن 35 بالمئة كما تشكل الكنيسة الإنجيلية ما يقرب 8 بالمئة من أعضاء الكونغرس، في حين يحتل اليهود 7 بالمئة مع أن نسبة اليهود لا تزيد عن 2 بالمئة من عدد السكان الكلي.³
- * تزايد عدد الأقليات الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية نظرا لهشاشة التيارات الدينية الحديثة السائدة في المجتمع الأمريكي، مما شتت الفرد الأمريكي و جعله خاويا تتقاذفه الأفكار و التيارات أمام غياب نظام متكامل مقنع لجوانب الحياة الروحية و الاقتصادية و السياسية.⁴

¹ - إكرام لمعي و آخرون، " الامبراطورية الأمريكية "، (القاهرة: مكتبة الشروق، ج1، 2001)، ص 203 .

² - نفس المرجع، ص 189-193 .

³ - زياد الهالاية، " فلسطين في السياسة و الإيديولوجية الأمريكية "، نقلا عن: <http://www.qudsnet.com/arabic/news.php?>

⁴ - عصام عبد الشافي، المرجع السابق، ص 132 .

* إحياء الحركات الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية و التي ساهمت خاصة في المجتمع الشبابي في فرض قواعد أخلاقية صارمة تضبط نطاق الحياة الخاصة، و رفض كل ما من شأنه تدمير الهوية الفردية و العائلية و دعوتها إلى الفصل بين التقنيات المتقدمة من ناحية و القواعد الثقافية المسيطرة التي انبثقت عنها هذه التقنيات من ناحية أخرى.¹

* " أن الدين له العديد من التأثيرات على الحياة السياسية في المجتمع الأمريكي، فقد تأثرت الحياة السياسية بالعامل الديني في العديد من الجوانب من بينها سيطرة القيم البروتستانتية و تركيب المجتمع من عدد من الأقليات الدينية و العرقية، و كان لهذين الجانبين العديد من الآثار على الحياة السياسية فقد كان لغلبة القيم البروتستانتية آثارها على ملامح الاتجاهات الرئاسية في وعي الناخب الأمريكي، و انتماء معظم الرؤساء الأمريكيين إلى الحزب الجمهوري الذي يدعمه البروتستانت. كما أن تعدد الأقليات الدينية كان سببا في انتشار الصراع السياسي في المجتمع الأمريكي فكل جماعة دينية تحاول فرض تصور لها عن القيم و الأخلاقيات و الأنماط السلوكية كما تراها على المجتمع و استخدام سلطة الدولة في تحقيق ذلك، و من ناحية أخرى فقد انعكس هذا التعدد على عملية المشاركة السياسية حيث أكدت العديد من الدراسات أن العوامل الدينية من أكثر العوامل المؤثرة في الإختيار السياسي و السلوك الانتخابي، كذلك فإن تزايد دور الدين في الحياة السياسية ترتب عليه تحول الكنائس و رجال الدين إلى جماعة ضغط قادرة على التأثير بفاعلية و مقدرة في عملية صنع القرار السياسي و خاصة ما يتعلق بمصالح رعاياها أو بتصوراتها للمثل و المبادئ و الأخلاقيات المسيحية.²

و بالنظر إلى ما تقدم يمكن القول أنه إذا كان الدين في المجتمع الأمريكي يؤثر بنسبة قليلة في سن القوانين و تشكيل الرأي العام، فإنه الموجه الأساسي لعادات أهم المؤسسات الاجتماعية كالأسرة مثلا، و إذا كان لا يشترك اشتراكا فعليا في حكم الجماعة فإنه يعد في طليعة المؤسسات التي تنظم هذه الجماعة، ذلك أنه إذا لم يساعد في خلق نفس مجبولة على الحرية و المساواة فإنه ييسر استخدامهما، فالدين ضروري حسب رأي الأغلبية في صيانة هذه الجماعات أو المؤسسات. كما يمكن القول أن الدين اليوم في أمريكا لا يأخذ نفس القوة و المكانة التي ترى عند الأمم الأخرى، و لا حتى كما كان عليه في العصور السابقة غير أنه يعد أكثر نفوذا و قوة مما يضمن ازدهاره.³

¹ - عصام عبد الشافي، المرجع السابق، ص 132.

² - نفس المرجع، ص 132.

³ - ألكسيس دي توكفيل، " الديمقراطية في أمريكا "، ترجمة أمين مرسى قنديل، (القاهرة: عالم الكتب، ط3، 1991)، ص 261-272.

3- البعد الديني في السياسة الخارجية الأمريكية:

كثيرا ما يقوم الجدل حول ما مدى أسبقية الدين عن السياسة أو العكس لكن الأهم من ذلك هو طبيعة العلاقة بين الدين و السياسة، و التي تعد علاقة تلازمية وطيدة و ذلك عبر مختلف العصور و إن كان التاريخ الدولي المعاصر يشهد ديناميكية هذه العلاقة. أما في التاريخ الأمريكي فرغم أن عصر التنوير و الثورة الفلسفية التي حدثت في أوروبا في القرن الثامن عشر، و التي أنهت حقبة حكم الملوك بموجب الحق الإلهي كان من نتائجها فكرة فصل الدين عن الدولة التي يتضمنها الدستور الأمريكي، إلا أن الدين لعب و يلعب دورا مهما في السياسة الخارجية الأمريكية.

و هو ما أكدته الأكاديمي الأمريكي من أصل فلسطيني الأستاذ " ادوارد سعيد " في معرض حديثه عن دور الدين في الحياة الأمريكية إذ يقول: " أن الدين يلعب دورا مهما في الحياة السياسية الأمريكية بعكس ما يعتقد كثير من المحللين السياسيين الذين يصرون على اعتبار الولايات المتحدة رمزا للحرية في العالم [...] فالأصولية الأمريكية تجعل ما يسمى بالأصولية الإسلامية شيئا لطيفا جدا عند المقارنة، فهناك على الأقل 200 مليون أمريكي أعضاء في الجماعات الدينية من أصل 620 مليون نسمة هم عدد السكان على أبعد تقدير.¹"

فلما كان هذا هو دور الدين في الولايات المتحدة الأمريكية و أنه و كما سبق القول في أمريكا ولد المجتمع و الدين معا، كان هذا و ذاك الدافع لبعض الجماعات للتكتل على شكل حركة سياسية اجتماعية ذات مرجعية دينية و لتأسيس كيانات و تحالفات عدة في إطار المجتمع المدني، لديها رؤية سياسية و هي ما اصطلح على تسميتها اليمين الديني الجديد أو المحافظين الجدد.²

لقد تأسس المحافظون الجدد فكريا على يد " ليونستراوس " المفكر الألماني الذي هاجر إلى أمريكا عام 1938 و أسس كأستاذ جامعي في جامعة شيكاغو ما عرف فيما بعد "بالستراوسية الليبرالية" التي تمثل الجذور الأولى لفكر المحافظين الجدد الآن، -الذين تم إطلاق هذا اللقب عليهم من قبل الليبراليين الأمريكيين من باب السخرية و الحط من قيمتهم الفكرية و السياسية- و كانت الستراوسية تنادي بالأفكار التالية:

- رفض الحداثة و تفضيل المنطق على التفكير.
- استخدام الدين للسيطرة على الجموع.
- استخدام الكذب و الخداع للمحافظة على السلطة.
- فرض الدين على الجماهير و إبعاده عن الحكام.
- استعمال القوة لكبح العدائية لدى البشر من خلال دولة قوية كابحة.

¹ - محمد رباعة، " أمريكا الوجه..و القناع "، (قسنطينة: مؤسسة القيس للنشر و التوزيع، 2005)، ص 22 .

² - أحمد ابراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص 26 .

-الإيمان بالريادة الأمريكية الخيرة.¹

و في ستينيات القرن العشرين برز تكتل اليمين المحافظ الجديد كرد فعل على السياسات الليبرالية لكل من الرئيسين " جون كينيدي " و " ليندون جونسون "، و في مطلع السبعينيات عارض هذا التيار سياسة الوفاق التي اتبعتها إدارة " ريتشارد نيكسون " مع الإتحاد السوفييتي بسبب رؤيته لمفهوم القوة و الدور الأمريكي على الساحة الدولية، و أيضا لموقفه المغاير للفكر الشيوعي.² و بصعود " رونالد ريغان " إلى سدة السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية (1980-1988) تلقى المحافظون الجدد – الذين كانوا من الحزب الديمقراطي ثم انضموا إلى الحزب الجمهوري – دفعة قوية من خلال اجتياحه لأفغانستان ووصفه بأنه إمبراطورية الشر، كأسلوب لضرب الإتحاد السوفييتي فرضته سياسة الحرب الباردة خاصة و أنه تبنى في مواجهته هذه سياسة حرب النجوم. و على الرغم من أن تيار المحافظين الجدد قد انتشر في عهد " جيمي كارتر " إلا أن ازدهار هذا التيار مرتبط بالإدارة الجمهورية الحالية و تركيبته السياسية.³

الملاحظ على هذه المنظمة الأصولية هو قوة تغلغلها و اختراقها للسياسة الأمريكية، فقد استطاعت مجموعة متضامنة منهم اختراق البيت الأبيض و العمل في مراكز أبحاث و دراسات استراتيجية معتمدة منه، بل إن الجماعة الأكثر نشاطا و ذكاءا و تطرفا منهم استطاعت الانتقال إلى دائرة اتخاذ القرار في الإدارة الأمريكية و منهم: " دونالد رامسفيلد، ديك تشيني، بول ولفوفيترا، كونداليزا رايس، ريتشارد بيرل، دوغلاس فايت، ريتشارد أرميتاج، ديفيد ورمسر) و الذين يعتبرون و غيرهم راسمي الإستراتيجية الأمريكية الحالية، و إذا كان بروز هذا التكتل بشكل واضح كان في عهد " ريغان " و " بوش الأب "، إلا أنه كان بروز صامت حتى أن رفضهم لسياسة الاستيعاب الذي أطلقها " بيل كلينتون " تحت شعار " إنه الاقتصاد " كان صامتا لكن و مع مجيء بوش الابن للحكم علا صوت هذه المنظمة حتى طغى على كل أصوات متخذي القرار الأمريكيين.⁴

و هكذا يمكن القول أن الدين هو أحد الأسس التي تقوم عليها المصلحة الأمريكية، فمن خلال القراءة الدقيقة للخطاب السياسي الأمريكي يتضح دور الدين في المشروع الأمريكي القائم على الهيمنة و الريادة و النموذجية، و التي يتخذ فيها البعد الحضاري الديني جانبا مهما من حيث أن القيادة الأمريكية خاصة الحالية - حيث أصبح المرشحين الرئاسيين سواء كانوا جمهوريين أو ديمقراطيين يعلنون عن انتماءاتهم الدينية و هذا ما لم يكن يحدث قبلا- تسعى إلى جذب العالم إلى مجتمع مثالي يبني على الأرض الأمريكية يتحقق بالتسامح ثم بالقوة إن اقتضى الأمر. فمهمة أمريكا حسبهم أن تكون النور الذي يتبعه باقي دول

¹ - شاكور النابلسي، " المحافظين الجدد و الليبراليون الجدد بين الواقع و مهارات الغوغاء "، نقلا عن:

<http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?>

² - نيفين عبد المنعم و آخرون، " صناعة الكراهية في العلاقات العربية الأمريكية "، (لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص ص 211-212.

³ - جهاد الخزان، " المحافظون الجدد و المسيحيون الصهيونيون "، (لبنان: دار الساقي، 2005)، ص ص 35-36.

⁴ - كمال مساعد، " الحرب الوقائية و منظمة الناعون العسكرية و التكنولوجيا "، (بيروت: معرض الشوق الدائم للكتاب، 2000)، ص 70.

العالم للتوبة و التطهر و الإصلاح الاجتماعي، ذلك أن الرؤية الفكرية الحاكمة تقوم على السيادة الأمريكية للعالم و أن النموذج الأمريكي هو النموذج الذي يجب أن يسود العالم أخلاقيا و دينيا حتى تتبني نظرة أحادية للعالم على أساس أمريكي. كما أنها محاولة لسد فجوة من أخطر ما تكون على مجتمع يتربع الصدارة و يمكن انهياره بتعفن بؤرة الأخلاق كما يرى ذلك " هنري كيسنجر " وزير الخارجية الأمريكية الأسبق.¹

و هي الفكرة التي تترجمها رؤية " أرنولد توينبي " حيث ذهب إلى أن " سبب انهيار الحضارات أنها في نموها و ازدهارها لا تلتفت إلى الأخلاق على المستوى الفردي أو الأسري أو المجتمعي و يحدث نوع من التسبب فيستشري الفساد في الجسد من الداخل و تبقى القشرة الخارجية حيث تنهار فجأة.² و هذا ما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية ففي مجتمع استيطاني تعد الهجرة الثابت الوحيد في تاريخه تبقى الأخلاق و الهوية هي الأزمة الأولى و الأساسية.

¹ - عصام عبد الشافي، المرجع السابق، ص 134-135 .

² - إكرام لمعي، المرجع السابق، ص 236-237 .

المبحث الرابع: المنطلق الديمقراطي في السياسة الخارجية الأمريكية

تعد الديمقراطية واحدة من الظواهر الاجتماعية التي تمتاز عن غيرها من الظواهر الطبيعية و الفيزيائية بامتدادها التاريخي، و إذا كانت جل الظواهر الإنسانية تطفو على الساحة الدولية ثم تخبو لتظهر من جديد بشكل آخر فإن الديمقراطية واحدة من الظواهر التي حافظت على مكانتها ، فتاريخ اليوم شاهد على الانتصار التاريخي الذي حققته الديمقراطية فالجميع حاليا بتعدد اتجاهاتهم الفكرية و طنيين أو قوميين، إسلاميين أو علمانيين يدعون انتماءهم للديمقراطية، كما أن كافة الأنظمة السياسية المعاصرة تضيف على نفسها صفات الديمقراطية.

و عليه فالديمقراطية أصبحت الورقة الراححة أو " الجوكر " في عالم اليوم، و كما أن الديمقراطية تحتل هذه المكانة بين أنظمة الحكم المتعددة فإن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر نفسها الرائدة بين الدول المتبنية لهذا النظام، بل و الأكثر من ذلك فهي تعتبر سياستها حامية حمى الديمقراطية. هذه العلاقة بين الديمقراطية و الولايات المتحدة الأمريكية، هو ما سنقوم بالتطرق إليه من خلال هذا المبحث.

1- ماهية الديمقراطية:

تعتبر منطقة البحر المتوسط المهد الأول لأول ديمقراطية في العالم ذلك أن المدن اليونانية القديمة و لاسيما أثينا أول من استعمل هذا المصطلح و يعد الفيلسوف اليوناني " أرسطو " أول من قسم أنواع الحكم إلى ثلاثة أقسام تكون وسيلة الوصول إلى السلطة معيار التمييز بينهم:¹

- الحكم الملكي (السلطة تقوم على أساس الوراثة).
- الحكم الارستقراطي (السلطة تتمركز في يد طبقة معينة).
- الحكم الديمقراطي.

ما يميز النوع الثالث من أنظمة الحكم الأرستقراطية هو كون الشعب مصدر السلطة فالديمقراطية عموما تعني سيادة الشعب أي أن الشعب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يساهم في خلق و تسيير المؤسسات.² لذلك يمكن القول أن دولة المدينة التي عرفها الإغريق هي التي احتضنت أول فكرة للديمقراطية غير أن المجتمع اليوناني كان مقسم إلى ثلاث طبقات و هي: المواطنون، الأجانب (العبيد)، عمال و حرفيون على أن ممارسة السلطة في المدينة يختص بها المواطنون (طبقة الأحرار) باستثناء النساء و الأطفال لذلك فالملاحظ للديمقراطية اليونانية يجد أنها ديمقراطية القلة.

¹ - محمد محمود ربيع، " الفكر السياسي العربي- فلسفاته و مناهجه من أفلاطون إلى ماركس- "، (الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، 1994)، ص 67

² - Ahmed Aroua, » Islam et démocratie », Alger : Edition maison des livres, 1990 p 40 .

كما يمكن الإشارة إلى أن الديمقراطية اليونانية و التي تعني ببساطة " حكم الشعب للشعب " و ذلك بإتاحة الفرصة لكل المواطنين للمشاركة في القرارات السياسية، لم يكن لها لتنجح و ذلك حسب الدراسات الإمبريقية الطويلة التي أجراها المختصين في هذا المجال إلا إذا كان مجموع المواطنين صغير الحجم و متجانس، بل إن البعض قد حدد خمسين ألف ساكن كحد أقصى لإمكانية نجاح هذا النوع من الأنظمة، و هو ما يستحيل تطبيقه في مجتمعات بالحجم الحالي. لذلك نجد الدول الحالية تعتمد على التمثيل النيابي غير المباشر و ذلك بانتخاب نواب في البرلمان أو الكونغرس لتمثيل الشعب ليصبح البرلمان أو الكونغرس الصورة المصغرة للشعب.¹

لقد تداولت الحضارات و العصور السابقة النظام الديمقراطي كل بطريقته و مفهومه الخاص لتصبح في القرن الواحد و العشرين النظام الأكثر إقبالا عليه من طرف فواعل المجتمع الدولي.

و الديمقراطية كمفهوم - كما سبق الذكر - من أصل يوناني و هي كلمة مركبة من لفظين " ديموس " و تعني الشعب " كراتوس " و تعني الحكم أي حكم الشعب أو سلطة الشعب.² و هذا المعنى ليس تعريفا بقدر ما هو جوهر الديمقراطية فأيا كان التعريف و أيا كانت الوسيلة فالشعب هو السلطان و صاحب القرار سواء كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، و مع ذلك و كغيرها من الظواهر الاجتماعية يصعب تحديد تعريف واحد للديمقراطية لكن يمكن القول أن الديمقراطية في أوسع معانيها تعني نمط من أنماط الحياة الاجتماعية يعيشه مجتمع من الأفراد يتمتع كل منهم بحق ما و للآخرين الحق في المشاركة و بكل حرية في قيم ذلك المجتمع.³ و هناك من يحصر مفهوم الديمقراطية في الحرية، العدالة، حقوق الإنسان..... غير أن هذه كلها مجرد جزئيات تشكل كل اسمه الديمقراطية التي تعد نظام الحياة و آلية من آليات توازنه.

2- الديمقراطية و السياسة الخارجية الأمريكية:

جاء في إعلان الاستقلال الأمريكي 1776 " إننا نؤمن بأن الناس جميعا خلقوا سواسية، و أن خالقهم وهبهم حقوقا لا تقبل المساومة - منها حق الحياة و حق الحرية و السعي لتحقيق السعادة - و أننا نقوم بالحكومات بين الناس لضمان هذه الحقوق و تستمد سلطانتها العادل من رضى المحكومين و من حق الشعب. و أنه إذا ما قوضت الحكومة هدفا من هذه الأهداف أصبح من حق الشعب أن يغيرها أو يلغيها، ثم يقيم بدلا عنها حكومة يضع أسسها على المبادئ و ينظم سلطانتها في الصيغة التي تحقق له الأمن و السعادة.⁴

¹ - فاطمة القليني، " علم الاجتماع الإعلامي "، (مصر: دار القاهرة للنشر و التوزيع، 2001)، ص 399.

² - فيصل دليو و آخرون، " المشاركة الديمقراطية في تسيير الجامعة "، (قسنطينة: مختبر التطبيقات النفسية و التربوية بجامعة منتوري، 2006)، ص 28.

³ - أحمد طلعت، " الوجه الآخر للديمقراطية "، (الجزائر: الطريق للنشر و التوزيع، 1990)، ص 25.

⁴ - وود جري، ريتشارد هوفستدتر، " موجز التاريخ الأمريكي "، (وكالة الإعلام الأمريكية، بدون سنة الطبع)، ص 36.

لقد كانت هذه أهداف و توجهات الثورة الأمريكية 1776 التي تعد في مضمونها جوهر الديمقراطية لذلك تعتبر الثورة الأمريكية و من بعدها الثورة الفرنسية 1789 التجسيد الحديث للجذور الفلسفية الديمقراطية، ذلك أنها أول الثورات الديمقراطية في العصر الحديث حيث قامت لوضع نهاية للاستبداد و للمشاركة في الثروة و السلطة.

و إذا كانت الثورة الأمريكية قد لعبت دورا جوهريا في تدعيم مفهوم الديمقراطية في القرن 18 فإن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول فرض النموذج الديمقراطي الأمريكي، و ذلك من خلال فكرة عولمة الديمقراطية أو ديمقراطية العالم.

و هو ما تطرق إليه المفكر الأمريكي ذو الأصل الياباني " فوكوياما " في كتابه " نهاية التاريخ " حيث اعتبر أن التحولات التي طرأت على العالم بعد نهاية الحرب الباردة تلتقي في نقطتين أساسيتين:

أولاهما: تدور حول الخروج من مرحلة و الدخول في مرحلة جديدة أهم سماتها تفوق الثقافة الغربية. و **ثانيهما:** ما وصفه بنهاية التاريخ أي أنه نقطة النهاية لخط التطور الأيديولوجي و نقطة تعميم الديمقراطية الغربية بمعنى أن النموذج الديمقراطي الليبرالي أصبح حتمية تاريخية.¹

لذلك يعد دعم الديمقراطية و حقوق الإنسان واحد من أهم أهداف السياسة الخارجية الأمريكية على اعتبار أن تشجيع الديمقراطية يوسع نفوذ و مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية عالميا، حيث أن مصالحها تكون أكثر في العالم الذي يحترم حقوق الإنسان.²

و غير بعيد عن المصلحة الوطنية فإن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أن الديمقراطية مبدأ متأصل في الفرد الأمريكي البروتستانتي الذي هاجر من انكلترا رفضا للطغيان و الاستبداد كما أنها ترى أن جذور القيم الديمقراطية موجودة في القيم الدينية اليهودية المسيحية، حيث يعتبر أحد المحافظين المسيحيين الجدد " ريتشارد جون نيوهاوس " أن التراث اليهودي المسيحي و خاصة المسيحي هو الشكل الفعلي للمنظومة الأصلية و اللازمة لخلق قيم ديمقراطية فعالة و أن التوجهات الثقافية أو العادات التي تحفظ استمرار الديمقراطية مستمدة من الإيمان الديني الذي يعطيها سمة التوجهات المطلقة التي ترقى لحد الضرورة لبقاء الديمقراطية و يسجل "نيوهاوس" و "أرنست جريفيث" سبعة توجهات من الديمقراطية في اعتقادهم مؤسسة على الدين المسيحي هي:³

- * حب الحرية و الإيمان بها تؤيده العقيدة اليهودية المسيحية في قدسية كل فرد باعتباره ابن الله.
- * يقوم الالتزام بالمشاركة الفعالة في حياة المجتمع على الإيمان بوجوب قبول مسؤولية الإنسان عن العمل.

¹ - علي غربي و آخرون، " العرب و أمريكا بين التطوير و التطويع "، (قسنطينة: مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، 2004)، ص 66 .
² - أمين شلبي، " سياسة إدارة كلينتون الخارجية في إنجاز أم فراغ استراتيجي "، مجلة السياسة الدولية، العدد 144، أبريل 2001، ص 69 .
³ - مايكل كوريت، جوليا ميتشل كوريت، " الدين و السياسة في الولايات المتحدة "، ترجمة زين نجاتي، نشأت جعفر، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ج2، 2002)، ص 222-225 .

- * التعاون مع جميع الجنس البشري.
- * يمكن أن تقوم المصادقية في الحديث على الإيمان بالصدق على أنه نور داخلي ينبعث من أن الله على صراط مستقيم.
- * إلزام الجماعات الاقتصادية بخدمة المجتمع، هو نتاج الرؤية المسيحية أن المجتمع ككل موحد، والذي يكون فيه لكل فرد مسؤولية عن جميع بقية الأفراد.
- * ترى القيادات و مسؤولية المنصب العام على أنها انتماينات عامة تعكس الأمثلة الإنجيلية للممارسة النبوية.
- * تؤدى العقائد الدينية إلى توجهات تعزز الاتحاد بين الفردية و المسؤولية.
- * ينمو التعاون و إرادة الخير بين الأمم من خلال منظور للعالم يقول بأن الناس جميعا أبناء لأب واحد هو الله.

لقد كان لانهايار الاتحاد السوفييتي فجأة و دونما حرب رغم الإمكانيات العسكرية و النووية التي كانت في حوزته إشعار بتراجع الجانب العسكري كمحدد أول بل وحيد للقوة كما ذهبت لذلك النظرية الواقعية حيث اقتنعت جل الشعوب بأن القوة العسكرية وحدها مهما كان حجمها أو نوعها لا تكفي لحماية أي نظام و بأن مشاركة الشعب في مصير الأمة أي أمة هو الطريق السليم لتحقيق العدالة و الاستقرار بوجه عام.¹ و هو ما اقتنعت به السياسة الأمريكية حيث اعتبرت أن نشر الديمقراطية و تعميمها بديلا أهم عن مواجهة التوسع الشيوعي و السباق نحو التسلح، و في ما مدى أهمية الديمقراطية في تحقيق الاستقرار يقول " هاملتون " (من مجلس النواب) منتقدا سياسة بوش الأب " ركز كثيرا على الاستقرار بدلا من متابعة قضايا الحرية و تقرير المصير و العدالة و ليس هناك تعارض لأن تعزيز الديمقراطية يؤسس لاستقرار بعيد المدى و علينا أن نقدم استثمارات سياسية و اقتصادية متماسكة، و كذلك مساعدات للديمقراطيات الجديدة، إننا بحاجة إلى أن نحفظ القيم الأمريكية و نوطنها في قلب سياستنا الخارجية. " ²

حيث تعتبر الديمقراطية عنصرا مهما من عناصر حماية المصلحة الوطنية الأمريكية، و مصدر من مصادر القوة الناعمة الطرية، فلولايات المتحدة الأمريكية مصلحة عقائدية إيديولوجية و نفعية عملية في تعزيز الديمقراطية، و رغم أن السلام الديمقراطي كعنصر من عناصر النظرية الليبرالية - التي تعد واحدة من أهم النظريات التي يستند إليها الفكر السياسي الأمريكي- يؤكد صعوبة نشوب حرب بين الديمقراطيات الليبرالية، و رغم اعتبار الكثيرين أن هذه حجة مبسطة إلا أن الكل يؤكد أن انغماس مثل هذه البلدان في العمليات الإرهابية أقل احتمالا.³ فالأنظمة الديمقراطية حسب علماء الأنظمة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية أمثال " دافيد إيستون "، و " كارل دويتش " و غيرهما أكثر مرونة من باقي الأنظمة فبإمكانها

¹ - صلاح الدين إبراهيم، " نحن و أمريكا بين الحضارة و الهيمنة "، (القاهرة: مكتبة الأدب، 2006)، ص 128 .
² - وحيد عبد المجيد، " الإرهاب و أمريكا و الإسلام من يطفئ النار؟ "، (القاهرة: دار مصر المحروسة، 2002)، ص 128 .
³ - جوزيف س. ناي (الابن)، " مفارقة القوة الأمريكية "، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2003)، ص 271 .

تلقي الصدمات و تحملها دون أن تترك أثر عليها تماما مثل البالون المرن الذي يعود على شكله الطبيعي بعد كل ضربة، على عكس الأنظمة الديكتاتورية فهي تشبه البالون غير المرن الذي ينفجر على نفسه و غيره من الضربة الأولى.¹

لأجل كل هذا عمدت الولايات المتحدة الأمريكية على حمل لواء ديمقراطية العالم خاصة بعد الحرب الباردة، فالولايات المتحدة كانت تشن حربا عسكرية مع الجيش الأحمر من جهة و تحاول هزيمته و القضاء عليه اقتصاديا و إيديولوجيا من جهة أخرى.

و رغم أن الولايات المتحدة عند بداية القرن العشرين كانت واحدة من بين حفنة من الديمقراطيات إلا أنها و خاصة منذ إدارتي " ريغان " و " كلينتون " عمدت إلى تقديم المساعدة لنشر القيم الديمقراطية بل و اعتبار مثل هذا العمل أداة متعمدة للسياسة، و مع بداية تسعينيات القرن العشرين قامت وكالات أمريكية كثيرة (كتابة الدولة الخارجية، وزارة الدفاع، وكالة التنمية الدولية) بإنفاق أكثر من 700 مليون دولار على مثل هذا العمل.²

أما في عهد الرئيس " بوش الابن " و خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 فقد تضاعفت الميزانية الأمريكية المخصصة لتعزيز الديمقراطية بهدف دعم إستراتيجية ليبرالية و انفتاح سياسي، حيث أعلن أنه سيطلب من الكونغرس مضاعفة الميزانية المخصصة للديمقراطية ما سيرفعها من 42 إلى 84 مليون دولار. فقد أطلقت الإدارة الأمريكية بهذا الصدد مشروعا سمي بـ " ديمقراطية العالم العربي " و هو مشروع يرمي حسب أهدافه المعلنة إلى تحديث و ديمقراطية هذه المنطقة على اعتبار ربط الولايات المتحدة بين الإرهاب و الصراع القائم بين الشعوب العربية و حكامها، حيث اعتبرت دائرة صناعة القرار الأمريكية أن الشباب العربي المحبط لجأ إلى العمليات الإرهابية كمحاولة عاجزة لتغيير الوضع، و بالتالي فلا حل في نظرها إلا من خلال عملية ديمقراطية و تحديث كبرى في المنطقة من شأنها إعادة الثقة للفرد العربي في حكامه، و ذلك ما لم يتم حسبها إلا بضغط هائل و مستمر من طرفها.³

و عليه يمكن الإشارة إلى أنه قد جاء في الدستور الأمريكي، المادة الأولى الفقرة الثانية التي تحدد طريقة الانتخاب لمجلس النواب و دفع الضرائب " يتحدد عدد النواب و قيمة الضرائب المباشرة بين الولايات التي قد تدخل ضمن هذا الاتحاد حسب نسبة عدد سكان كل ولاية الذي يتحدد بدوره بإضافة نسبة ثلاثة أخماس عدد جميع السكان إلى العدد الإجمالي للأشخاص الأحرار بما في ذلك الأشخاص المرتبطون بتأدية خدمة ستستغرق عدد معين من السنين و ذلك بعد استثناء الهنود الحمر الذين لا

¹ - حسين كنعان، " مستقبل العلاقات العربية- الأمريكية- هل تستطيع USA أن تضمن السلام العالمي؟- " (لبنان: دار الخيال، 2005)، ص ص 129-130.

² - جوزيف س. ناي (الابن)، " مفارقة القوة الأمريكية "، المرجع السابق، ص 272.

³ - حسن نافعة، " المثقف العربي و الأمير الأمريكي "، مجلة المستقبل العربي، العدد 289، مارس 2003، ص 78.

تفرض عليهم أي ضرائب...¹ و هذا يعني حرمان الزوج و الهنود من حق الانتخاب مع إضافتهم للرجل الأبيض لأغراض تعداد الولاية.

مع العلم أن الانتخاب مظهر من مظاهر النظام الديمقراطي و أن هذه الظاهرة حديثة العهد نسبيا فالانتخابات بمشاركة جماهيرية واسعة ظهرت بقوة في الأنظمة الديمقراطية من شاكلة الولايات المتحدة و أوروبا الغربية.²

كما جاء في الفقرة التاسعة " (لن يحظر الكونغرس قبل عام 1808 جلب و إحضار أولئك الأشخاص الذين تعتقد أي ولاية من الولايات القائمة الآن أنه من المناسب دخولهم إليها غير أنه بإمكانه فرض ضريبة على مثل هذا النوع من الاستيراد لا تزيد على عشرة دولارات لكل شخص) و شرح هذه الفقرة يوجزه القاضي " تيني " بقوله: (إن مبدأ المساواة الذي جاء في إعلان الاستقلال لجميع الناس يولدون متساوين لا يشمل الزوج فهم كائنات دنيا)³

و هذا التناقض بين ما جاء في وثيقة استقلال الولايات المتحدة من مساواة في الحقوق بين جميع الناس و بين الواقع العملي للسياسة الأمريكية حقيقة تاريخية لا يمكن تجاهلها، فقد أبقت بعد هذا الإعلان الرسمي الرق طوال أكثر من قرن كما و أبقت التمييز إزاء الزوج حتى أيامنا.⁴

كما نشير إلى أن المخابرات الأمريكية قد استخدمت كل أساليب الرشوة و الخداع و الوعيد و التهديد لإعادة شاه إيران للحكم، و الذي وصل إليه بعد القيام بانقلاب على أبيه بمساعدة الإنجليز في أربعينيات القرن العشرين، و بعد رفض الشعب الإيراني له و القيام بتظاهرات متوالية ضده في الخمسينيات اضطر للهرب لتساعده الولايات المتحدة في استئناف حكمه ليغتال الآلاف من الإيرانيين و يملأ السجون بعشرات الآلاف.⁵

و بعد هذه الحقائق يبقى أن نقول أن الديمقراطية التي يشيد بها العالم اليوم قد ولدت في أثينا مدينة المواطنين الأحرار و ترعرعت في مهد الولايات المتحدة الأمريكية فهل أمريكا ديمقراطية بمعنى الديمقراطية الحقة أم تراها أثينا الحديثة؟

¹ - نعوم تشومسكي، " ماذا يريد العم سام؟"، ترجمة عادل المعلم، (القاهرة: دار الشروق، 1998)، ص 92 .

² - مورييس ديفرجيه، " الأحزاب السياسية"، ترجمة اسماعيل علي مقلد، عبد الحسن سعد، (بيروت: دار النهار، ط3، 1980)، ص 6 .

³ - نعوم تشومسكي، المرجع السابق، ص 93 .

⁴ - روجيه غارودي، " الولايات المتحدة طليعة الانحطاط"، ترجمة صباح الجهيم، و ميشيل خوري، (الجزائر: منشورات ANEP ، 2003)، ص 137 .

⁵ - نعوم تشومسكي، المرجع السابق، ص 137 .

الخلاصة

من خلال التتبع الوجيز لمسيرة السياسة الخارجية الأمريكية و إستراتيجياتها المتعاقبة منذ نهاية القرن التاسع عشر و حتى إدارة بوش الابن، نخلص إلى أنها سياسة تحكمها ثنائيات متناقضة تربطها أهداف تتحدد من خلال نقطتين هما، تنامي القوة الأمريكية، و تحقيق المصالح التوسعية الإمبراطورية. و قد تراوحت السياسة الخارجية الأمريكية بين ثنائيات نوجزها فيما يلي:

*** ثنائية الانعزال / :** و قد فرضت كل منهما ظروف دولية معينة، على أن هذين السياستين يلتقيان عند تحقيق المصلحة الأمريكية، فالعزلة كانت بهدف تنامي القوة الأمريكية باطراد من خلال البناء الذاتي، أما التدخل فمن أجل قيادة العالم على اعتبار أن أمريكا دولة رسالية تحمل عبء الارتقاء بدول العالم. و الواضح أن هذه الثنائية متداخلة فيما بينها فالعزلة لم تخلو من التدخل، فرغم رفض الولايات المتحدة التصديق على معاهدة الصلح عقب الحرب العالمية الأولى، إلا أنها ساهمت في مساعدة ألمانيا و تسوية مسألة التعويضات.

*** ثنائية الواقعية / المثالية:** أو القوة و الأخلاق و التي تتراوح بين الروزفلتية و الويلسونية، فروزفلت يرى تحقيق المصلحة الوطنية و هو الهدف الأسمى، لا يكون إلا بالقوة و فرض الهيمنة الأمريكية، في حين يرى ويلسون أن تحقيق نفس الهدف لا يكون إلا من خلال الأخلاق و الاعتبارات القانونية. كما أن السياسة الخارجية الأمريكية و خاصة منذ الأربعينات عرفت بتبني إستراتيجيتين كبيرتين، و التي يبنى النظام الدولي الحديث على وقعهما:

- إستراتيجية واقعية تدور حول الاحتواء و الردع و الحفاظ على ميزان القوة الدولي.
- إستراتيجية ليبرالية تسعى لبناء نظام دولي يقوم على العلاقات السياسية المتأسسة على اقتصاديات السوق المتكاملة عن طريق دعم فتح الأسواق بعضها على بعض.

نخلص مما تقدم أن السياسة الخارجية الأمريكية التي انبنت على تحالف المبشر و التاجر و العسكري سياسة ثابتة بثنائيات متناقضة، أي أن تعاقب الإدارات أدى إلى تغير أساليب تحقيق الأهداف و المصالح و ليس تغير المصلحة في حد ذاتها، فرغم وجود تناقض فلا يوجد خلاف على الهدف الإستراتيجي البعيد، ألا و هو السيادة الأمريكية الكونية. فالسيطرة على العقول التي هي ميزة عالم ما بعد الحرب الباردة، لا تتحقق حسب صناع القرار الأمريكيين إلا من خلال القوة و التي لا تتضخم إلا من خلال المال، على أن المحافظة على الثروة تؤدي إلى فرض النموذج القيمي و الديني و الذي يتحقق بالحوافز و العقوبات.

إذن هذا التداخل بين المتغيرات الثلاث هو جوهر الإستراتيجية الأمريكية التي تتبناها السياسة الخارجية الأمريكية والتي تقوم على أربع ركائز:

- * **المركزية العالمية:** استخدام القوة العسكرية تحقيقاً للمصلحة الوطنية.
 - * **السيطرة العالمية:** أي تمركز قواتها في أي مكان و زمان في العالم.
 - * **التفوق الدائم:** استعمال العلم و التكنولوجيا و الموارد الاقتصادية للوصول للريادة و الغلبة الدائمة.
 - * **النموذجية:** فرض نموذج عالمي يحتذى به.
- و عليه فأمريكا تسعى من خلال سياستها الخارجية لا لأن تكون الفاعل الوحيد في النظام الدولي بل لتكون النظام الدولي ذاته و ربما ساعدها أكثر في هذا التفوق الإحساس الدائم بالأمان لكن و بعد 11 سبتمبر 2001 هل مازالت أمريكا قبلة الأمان؟

الفصل الثالث

الحرب العادلة في الخطاب السياسي الأمريكي

تمهيد

إذا كانت نهاية الحرب الباردة قد خلفت فراغا استراتيجيا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ، فقد خلفت بالمقابل فراغا في المنظومة التشريعية والقانونية للنظام الدولي، هذا الفراغ الذي حاولت الإيديولوجيا الليبرالية سده بفرض شرعية القانون الدولي على الجوانب التي كان مغيبا عنها، الأمر الذي تبنته الدوائر الفكرية والسياسية في الإدارة الأمريكية بحزبها الديمقراطي والجمهوري فقد سعت ومعها العالم الغربي إلى تعميم القانون الدولي على الخصوصيات الحضارية والثقافية للأمم والشعوب مثل: ... وهي جوانب لم تكن حاضرة في أجندة الحرب الباردة ولا حتى ما

قبلها.

لقد اعتبرت الشرعية الدولية بعاملها تطبيق النموذج الليبرالي الديمقراطي من جهة، والقضاء على بؤر التوتر التي خلفتها الحرب الباردة من جهة أخرى، قادرة على تحقيق السلم والأمن الدوليين. غير أن النظام الدولي الجديد خلق مفهوم آخر للنزاع، حيث برزت بقوة العديد من النزاعات الداخلية والصراعات الإثنية في مناطق عديدة من العالم، الأمر الذي خلق انطباع مفاده أن عالم ما بعد الحرب الباردة سيكون

غير أن هذه المنظومة القانونية الدولية بدت عاجزة عن احتواء هذه التحديات الجديدة، وعلى اثر هذا العجز ظهرت أطروحتان:¹

1- _____: يميل إلى إطلاق يد القوة العظمى والوحيدة (الولايات المتحدة الأمريكية) بتحويلها مسؤولية حفظ الأمن والسلم الدوليين، على أن يتم وضع هذه المسؤولية في إطار من التشريعات الدولية التي ساهمت الولايات المتحدة مساهمة كبرى في صياغتها وبلورتها كما احتضنت منظومتها المؤسسية.

2- _____: يميل إلى تقييد مفهوم السيادة القومية وإخضاعها إلى مرجعية القيمية الإنسانية الشاملة التي هي منبع ومصدر مشروعية القانون الدولي ذاته - وإن كان هذا الطرح يتناقض ومعايير السيادة - هذه الفكرة هي فحوى مفهوم حق التدخل الإنساني، والذي وإن عمل على تجاوز بعض تقييدات ومحددات القانون الدولي المعاصر، إلا أنه يظل صادرا عن منطق هذا القانون ومرجعياته القيمية، كما سعى إلى توطيد القانون الدولي وتفعيله في مواجهة مخاطر وتحديات جديدة لم تراعيها المنظومة الشرعية الدولية.

لذلك سعت الولايات المتحدة إلى تجاوز مقاربة حق التدخل الإنساني وتبني فكرة الحرب العادلة وبعثها من جديد، بحكم أنهما يختلفان من حيث الخلفية المنهجية والمنظور القيمي. على العموم يمكن القول أن هذه الفترة تميزت بثلاث ديناميكيات:

1- ديناميكية الشكل الهلامي الناتج عن انهيار نظام القطبية الثنائية، فقد بدا واضحاً بعد ذاك الإنهيار أن خريطة العلاقات الدولية تبدو أكثر ضبابية وتباين، فمن جانب ظهرت قوة أحادية (الولايات المتحدة) لآليات الهيمنة الفعلية على باقي مناطق العالم ومن جهة أخرى إخفاق الأمم المتحدة في تفعيل الشرعية الدولية.

2- ديناميكية العولمة وإسقاطاتها المختلفة على دور الدولة الوطنية والقومية.

3- الديناميكية الثقافية المتعلقة بغياب أرضية ثقافية من شأنها توفير مضمون لإيديولوجيا النظام الدولي الجديد، والتي انبثقت عنها فكرة صراع الحضارات والتي عكست أزمة عالمية ذات بعد قيمي – ثقافي بين

وعليه هل كانت أحداث 11 2001 بمثابة الواقع المعبر عن مأزق هذه الديناميكيات وهل كان لتوظيف مفهوم الحرب العادلة بديل عن عقم الشرعية الدولية من وجهة النظر الأمريكية؟

: 11 2001 – الحدث والتداعيات-

بدا هناك يقين لا متناهي راسخ في الذات الأمريكية وإدارتها وحكومتها ومؤسساتها السياسية بأن أمريكا – خاصة بعد انتصار الفكر الليبرالي على المد الشيوعي –

زمام أمور العالم بأيديها، حتى استيقظت صبيحة الثلاثاء 11 2001 على تعرض أهم رموزها الاقتصادية والعسكرية والسياسية لهجوم خاطف، أسفر على تدمير مادي ومعنوي للإمبراطورية الأمريكية.

لقد أثبتت مجموعة من الأشخاص قدرتها على اختراق جميع الحواجز والترتيبات الأمنية، وإلحاق الأذى الشديد بالقطب الأول والأقوى في العالم، ففي صباح ذلك الثلاثاء فوجئ العالم بهجوم جوي على 08:46 بتوقيت نيويورك بارطام طائرة ركاب تجارية من طراز بوينغ الرحلة رقم: 11

التابعة لشركة أمريكان إيرلاينز (American Airlines) 07:59 متجهة إلى لوس أنجلوس، بالجزء العلوي من البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي في نيويورك بعد أن قام المختطفون بتحويلها عن مسارها ، أما الرحلة رقم: 175 لشركة يونايتد إيرلاين (United Air Line) 08:14 من بوسطن متجهة إلى لوس أنجلوس فقد اصطدمت في تمام 09:03

الجنوبي للمركز التجاري، وخلال دقائق اشتعلت النيران بالمركز التجاري والتي أدت إلى الانهيار التام للبرجين، وبينما عيون العالم تنرقب هذا الحدث قام مختطفو الطائرة 757 لجوية

الأمريكية رحلة رقم: 77 08:10 (Dulles) متجهة إلى لوس أنجلوس بتفجيرها في واجهة مبنى وزارة الدفاع الأمريكية " في واشنطن دي سي محدثة فيه فتحة واسعة عرضها 100 64 هم كل ركاب الطائرة 125

العاملين بالبنتاغون. 93 UAL المقلعة من نيويورك باتجاه سان فرانسيسكو في 08:01 10:10 في شانكفيل في ولاية بنسلفانيا والتي حسب تصريحات المسؤولين الأمريكيين كان هدفها تفجير البيت الأبيض أو مبنى الكابيتول أو منتجع كامب ديفيد أو الاصطدام بطائرة الرئيس بوش الابن التي كانت تحلق في طريقها لفلوريدا أثناء الانفجار.¹

نتيجة لهذه الأحداث أصيبت الولايات المتحدة بشلل مؤقت لكن هذا الذهول والرعب سرعان ما تبخر حيث أعلنت حالة الطوارئ وبدأت إدارة الأزمة بتأمين حياة الرئيس الأمريكي ونقله إلى قاعدة

-1 □ " 2001 وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن □ (القاهرة: الدار المصرية، 2002) □ 45.

" " الجوية ونقل نائب الرئيس وأعضاء الكونغرس إلى أماكن غير معلومة، وبدأ المسؤولون الأمريكيون في إخلاء الأماكن الفيديرالية كالبيت الأبيض والك... وغيرها من المباني الرسمية المهمة، ووضعت القوات الأمريكية في حالة تأهب قصوى، وتم إغلاق المجال الجوي الأمريكي، وأخلي الجزء الجنوبي من جزيرة "منهاتن" كما أغلقت جميع الجسور والأنفاق التي تربطها بباقي نيويورك ونيوجرسي، وتوقف العمل في بورصة "وول ستريت" وطالبت الولايات المتحدة الأمريكية بعثاتها الدبلوماسية باتخاذ إجراءات قصوى للأمن، كما أخلت الأمم المتحدة مقرها الرئيسي في نيويورك وتم تأجيل افتتاح الجمعية العامة للمرة الأولى في تاريخها.¹

فور هذه الأحداث سارعت وسائل الإعلام الأمريكية وأبواق الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة إلى نسب هذه العملية للمنشق السعودي " " تنظيم القاعدة في حين سارعت بعض المنظمات الإرهابية الدولية مثل "الجيش الأحمر" اليابانية لتعلن مسؤوليتها على هذا الاعتداء كما أوردت وكالة رويترز للأنباء نقلا عن تلفزيون أبو ظبي أن جماعة تطلق على نفسها اسم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في الخارج نسبت لنفسها المسؤولية عن الحادث .

وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة لم تكن غريبة عن الإعتداءات الإرهابية فليس بعيدا عن هذا اليوم تعرضت للهجوم على مركز التجارة العالمي بنيويورك في 1993، ثم تدمير مبنى الاتحاد في أوكلاهوما سيتي في أبريل 1995 بعد تفجير السفارتين الأمريكيتين في كل من كينيا وتنزانيا في 1998 ثم تفجير المدمرة " " في ميناء عدن اليمنية عام 2000² وبالرغم أيضا من أن المصالح الأمريكية ظلت مستهدفة خاصة بعد نهاية الحرب الباردة، إلا أن أحداث 11 سبتمبر مثلت منعطفًا هامًا في التاريخ الأمريكي حيث أن الهجمات السابقة كانت تقليدية ومعظمها خارج التراب الأمريكي أما ضرب أمريكا في عقر دارها وجرح كرامتها وهيبته في قمة عنفوانها وانتشائها بانتصارها وهيمنتها على العالم هو الجديد على التاريخ الأمريكي والعالمي أيضا.

وعلى الرغم من أن دموية وبشاعة أحداث سبتمبر قد تبدو الأقل بالنسبة لأحداث أخرى في تاريخ العالم المليء بالمجازر، فصبرا وشتيلا ودير ياسين وروندا وسارييفو، و طريق الموت من الكويت إلى العراق كلها مآسي إنسانية لم يتوقف عندها التاريخ، بالرغم من أنها قد تساوي أو تفوق مقدار ما حصل في الولايات المتحدة، ومع ذلك فهي لم ترقى للوصف بأنها تاريخ فاصل ومحدد ومنعطف في العلاقات

¹ - "أمريكا والإرهاب - الحدث والتداعيات -" مجلة السياسة الدولية العدد 148، أبريل 2002. 99.
² - Jean-Luc Maret « le 11 septembre 2001 ou le terrorisme entre XX^e et XXI^e siècle », annuaire français de relations internationales 2002, la documentation française, Brylant, Bruxe lles PP72-73.

الدولية وأنها بداية لتحولات جيواستراتيجية وزمن سياسي دولي جديد، كما وصفت أحداث سبتمبر ولعل الفارق في وقع الحدث في حد ذاته، فكل تلك الوقائع لم تقع بنفس الدراماتيكية والصحبة الإعلامي الذي عرفته انفجارات 11 كما أنها وعلى خلاف كل الأحداث نفذت ضد أقوى قوة عسكرية عرفها التاريخ المعاصر.

1- نقد الرواية الرسمية للأحداث:

نتيجة لأهمية الولايات المتحدة داخل المجتمع الدولي كان للأحداث أيضا أهميتها وتصدرها لأقلام الباحثين والمحللين السياسيين، وبالرغم من أن وكالات الأنباء الأمريكية والعالمية قامت بنقل تصريحات المخابرات والمسؤولين الأمريكيين عن طبيعة الحدث ومرتكبيه، إلا أن العديد من الباحثين تسالت أقلامهم من الثغرات التي تخللت الرواية الرسمية الأمريكية عن الحدث بالتشكيك فيها وتوجيه أصابع الاتهام للمسؤولين الأمريكيين بالتواطؤ. وأهم الدراسات التي اهتمت بدراسة حثيات وشواهد أحداث 11 "الخديعة المربعة" "تيري ميسان" أيضا كتاب "شبهات 11" "لدافيد راي غريفيين" وكلها قدمت روايات ناقدة ومشككة في مصداقية الرواية الرسمية الأمريكية، 11 سبتمبر وفي ما يلي إيجاز لتلك الشواهد والحثيات.

- 1- حسب الرواية الرسمية حصل ارتطام الطائرة الأولى بالبرج الشمالي من مركز التجارة الدولي بعد 25 32 د من معرفة حقيقة اختطافها. يؤكد منتقدو الرواية الرسمية بأن النقطة الأساسية تكمن في أن هناك إجراءات محددة في ظروف كهذه إذا ما اتبعت لكانت 11 قد تم اعتراضها بواسطة طائرات مقاتلة في غضون 10 د منذ اللحظة الأولى التي تصدر فيها أي إشارة تنبئ بأنها يمكن أن تكون قد اختطفت، وإذا لم تطع الطائرة إلى مطار أرضي فإنها ستقصف وتدمر وذلك كان سيحصل حوالي 08:24 08:30 175 فإنها لم تعترض من قبل الطائرات المقاتلة الأمريكية بعد العلم بأنها مختطفة وبعد إسقاطها تركت ترتطم بالبرج الثاني للمركز مع العلم أنه 7 بعد اختطاف الرحلة 11 يفترض أن كل التقنيين في قطاع الدفاع الجنوبي الشمالي الشرقي التابعين لـ NORAD يضعون سماعاتهم الرأسية في اتصال مباشر مع إدارة الطيران الفيدرالية في بوسطن من 11 NORAD ينبغي أن تكون قد أصبحت مدركة تماما خطورة الوضع.¹

¹ - الشيخ غازي "شبهات حول 11" : <http://al-amma.org/v2/web/index.php/13/04/2008>

2- نشرت قيادة الدفاع الجوي الأمريكي بياناً بتاريخ 14 سبتمبر 2001 ذكرت فيه أنها لم تتلقى أي خبر عن اختطاف الرحلة 77 إلا في الساعة 09:24 وأكدت أنها أعطت على الفور الأمر لمطارة من طراز أف 16 (F16) من قاعدة (فرجينيا) لاعتراض البوينغ، غير أن سلاح الجو جهلاً منه لمكان وجود الطائرة المخطوفة وظناً منه بأنها ستنفذ اعتداءً جديد على نيويورك أرسل المطاردات باتجاه الشمال، وبالصدفة وجدت طائرة نقل عسكرية إلتقت البوينغ المختطفة وحددت هويتها لكن بعد فوات الأوان. يتساءل "تيري ميسان" هل يعقل أن نظام الرادار الأمريكي يعجز عن تحديد مكان وجود طائرة بوينغ في دائرة لا يتجاوز قطرها عشرات من الكيلومترات؟ وهل يصدق أن طائرات قوية مثل F16 بإمكان طائرة ركاب كبرى أن تضللها وإذا حدث هذا فكيف أفلتت من جهاز الأمن المنسوب لحماية وزارة الدفاع؟¹

3- حسب الرواية الرسمية تم ضرب المبنى الأول للمركز الساعة 08:46 صباحاً وتداعى بعد ساعة و 42 د من إصابته أي في الساعة 10:28، فيما ضرب المبنى الثاني في 09:03 وتداعى بعد 56 د أي في الساعة 09:59، أما المبنى السابع الذي لم يضرب والذي يقع على بعد مجموعتين منفصلتين من المباني فقد انهار في الساعة الخامسة وعشرون دقيقة بعد الظهر. والسؤال الذي يطرحه الأستاذ "غريفين" لماذا انهار المبنى الثاني قبل 29 د من انهيار البرج الأول مع أنه ضرب بعد 17 د؟ ولماذا انهار المبنى السابع إذا كان لم يضرب أصلاً؟²

4- المعروف حسب "تيري ميسان" أن مركز التجارة العالمي يتكون من برجين ارتفاع كل منهما 417 متر تمثل مائة وخمسة طوابق، أما مبنى البنتاغون فتبلغ مساحته المبنية ثلاثين فدانا بارتفاع 24 متراً، يتساءل الكاتب كيف يمكن لطائرات بوينغ الاصطدام ببنائات عالية مثل توأم المركز التجاري ويقع الاصطدام في المنتصف بالضبط؟ وكيف يمكن للإرهابيين أن يختاروا الاصطدام بواجهة البنتاغون رغم أنه لو تم ارتطام الطائرة بسطح المبنى لكانت العملية أسهل والخسائر أكبر؟ ثم كيف لطائرة ركاب بحجم البوينغ أن تطير على ارتفاع منخفض (على اعتبار ارتفاع البنتاغون) دون أن تتلف أي منشآت في طريقها؟ لذلك يرجع الكاتب انفجار البنتاغون إلى الداخل وليس الخارج وهو ما تؤكد الصورة الأولى التي بثت للحدث.³ ولكن يبقى السؤال مطروحاً، ما مصير الرحلة 77 التابعة لشركة أمريكان إيرلاينز (AA) وما مصير ركبائها؟

¹ - تيري ميسان □ "التضليل الشيطاني - 11 أيلول 2001 هجوم إرهابي أم انقلاب"، تر: زهير طالب (دمشق: الدار الوطنية الجديدة، 2002) ص ص 11-12.

² - الشيخ غازي التوبة، المرجع السابق.

³ - محمد سيد أحمد المسيل □ "2001 وتوابعه الفكرية" (القاهرة: دار نهضة مصر، 2003)، ص ص 10-11.

5- أعاز المسؤولون الأمريكيون انهيار أعمدة برجى المركز التجاري إلى درجة الحرارة العالية التي تمكنت من إذابة الفولاذ وإضعاف البنية الحديدية للمركز، وهو ما تضمنه تقرير تمهيدي صادر عن الجمعية الأمريكية للمهندسين المدنيين (ASCF) مع أن رابطات رجال الإطفاء في نيويورك فندت هذه النظرية وأكد رجال الإطفاء سماعهم لانفجارات في قاعدة الأبنية وهو ما أكدته "فان روميرو" وهو خبير مشهور من معهد مكسيكو الجديد للتعددين والتكنولوجيا « **New Mexico of Rining and technology** » بحيث قال أن المتفجرات هي الوحيدة القادرة على إحداث الانفجار، ثم إزاء التأثير العام يرجع عما صدر عنه.¹

6- من خلال المؤتمرات الصحفيين الذين عقدهما البنتاغون من 12 إلى 15 سبتمبر 2001 يتضح أنه لم يعثر على أية قطعة هامة من طائرة البوينغ 757 - 200 الرحلة 77، ووفقا لوزارة الدفاع فإن العناصر الوحيدة التي وجدت هي الصندوقان الأسودان ونظرا لتعرضهما الشديد للحرارة لم يعودا يصلحان للاستعمال، بالإضافة إلى مصباح وكان ذلك في 14 سبتمبر 2001 وهو ما أكدته "إديلوفر" رئيس الإطفائيين في " " غير أن صحيفة **Le Monde** الفرنسية قامت في 21 مارس 2002 بنشر صورة ألتقطها " " -مراسل ومصور في وكالة **CNA**- وتمثل الصورة قطعة صفيح ملتوية بيضاء وحمراء تشبه حطام الطائرة وقد أكدت وكالة "أسوشيتد برس" أنها صورة لحطام الرحلة 77. وعليه يتساءل "تيري ميسان" إذا كانت هذه القطعة من حطام الطائرة فماذا عن غياب الجناحين؟ فتجيبه صحيفة ماريان **Marianne** أن الجناحان مصنوعان من الألمنيوم وقد انصهرا ببساطة في الحريق، يسلم "ميسان" بهذه الفرضية غير أنه يتساءل عن مصير حوالي مائة طن من المعدن المنصهر لتؤكد له صحيفة **Enterview** أن الألمنيوم تحت درجة حرارة 3000 درجة مئوية يتحول إلى غاز ويتبخر، يسلم "ميسان" بهذه الفرضية أيضا لكنه يتساءل في شدة حرارة قد تبخر الألمنيوم كيف يمكن للسلطات الأمريكية التعرف على الضحايا الذين زعموا العثور عليهم؟ وكيف لصحيفة **Libération** أن تؤكد لقرائها بأنه قد تم التعرف على مسافرة بفضل بصماتها؟!²

7- في 21 سبتمبر 2001 قال جورج بوش الابن (لم تكن أمريكا تتوقع أبدا حتى في الحلم قبل 11 ن بوسع أحد أن يهاجمها) وفي ديسمبر 2001 أصدر "ديك تشيني" **Dick Cheney** نائب الرئيس بوش في مقابلة له مع برنامج واجهة الصحافة **Meet the Press** على أنه لم تكن هناك أي تحذيرات معينة حول عملية داخل الولايات المتحدة، أما "كونداليزا رايس" فقد صرحت في 16 ماي 2008)

¹ - تيري ميسان، "11 يلول الخديعة المرعبة" ترجمة سوزان فازان، مايا سليمان، (دمشق: دار كنعان، 2002)، ص ص 27-28.
² - تيري ميسان، "الفضيحة: 77 يوم 11 أيلول؟ تحقيق" مارسه [] ترجمة: روز مخلوف [] (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2003) ص ص 9-11.

عتقد أنه كان بمقدور أحد التنبؤ بأن هؤلاء الأشخاص يمكن أن يستقلوا طائرة ويرتطموا بها بعنف في (و هكذا يتضح أن معظم المسؤولين الأمريكيين يؤكدون على قيام عنصر المفاجأة بالنسبة للإدارة الأمريكية ولوكالاتها الإستخباراتية، فيما حدث في 11/09 غير أن مصادر عدة أكدت على تحذير الولايات المتحدة من احتمال الهجوم، فقد صرح الرئيس المصري " أن المخابرات المصرية قد حذرت الولايات المتحدة من أن متطرفين قد يقدمون على تحطيم طائرة في إحدى المباني وكان ذلك في منتصف أوت 2001، كما أن الرئيس الروسي " ين " أكد على تحذيره لبوش في أوت 2001 بأشد التعابير إنذارا من أن 25 إرهابيا كانوا يستعدون للهجوم على الولايات المتحدة ومن بين الأماكن المستهدفة أبنية رسمية مثل البنتاغون، كما قدمت بريطانيا مذكرة استخبارية في 06 أوت حذرت فيها من تخطيط القاعدة لهجوم على الولايات المتحدة يتعلق بخطف عدة طائرات. ¹ وغيرها من التحذيرات التي تلقتها الإدارة الأمريكية ومع ذلك بدا واضحا أنها لم تجري أية احتياطات لتجنب تلك الانفجارات.

8- ساعات بعد هجمات 11 سبتمبر أعلن المسؤولون الأمريكيون أن 19 من الإرهابيين 15 منهم حاملي لجوازات سفر سعودية وأربعة من دول عربية أخرى كلبنان هم المسؤولون عن هذه الأحداث، كما أفادت **Boston Globe** أنه قد تم العثور على نسخة من القرآن الكريم وتعليمات لقيادة الطائرات التجارية وآلة حاسبة لمعرفة استهلاك الوقود وجدت بحقيبة تخص أحد المهاجمين وجدت في سيارة **Logan** ، كذلك استلم المسؤولون خيطا آخر عن سيارة مشبوهة تركت خلف مطار بوسطن لوجان وبها كتاب تعليمات باللغة العربية، كما عثر على جواز سفر " على بعد خطوات من مبنى التجارة العالمي. السؤال الذي يطرح نفسه كيف يمكن لتنظيم أن ينفذ عملية بكل هذه الدقة والتكنولوجيا والجرأة ويترك أدلة ساذجة وراءه مثل هذه؟ ثم كيف لحريق ممكن أن يجعل الألمنيوم ينصهر وينجو منه جواز سفر من ورق؟ كما أن الخاطفين والذين ادعت السلطات الأمريكية أن معظمهم من أصل سعودي وذلك لتوريط " أكثر، الشيء الذي أثار احتجاج وزارة الخارجية السعودية لاحقا. وقد أكدت أن خمسة ممن زعم تورطهم في العملية لم يكونوا على متن أي من الطائرات التي نفذت الهجمات، وسادس مقيم في تونس للتدريب على قيادة الطائرات المدنية التونسية، الأمر الذي أدى بمدير **FBI** " إلى تبرير ذلك بأن بعض الهوايات قد سرقت لتنفيذ بها عملية هجوم 09/11.²

¹ - عبد الحي يحي زلوم، "إمبراطورية الشر الجديدة"، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003) ص ص 26-27.

² - محمد قذري سعيد [11] - 2001 - [] (القاهرة: مطبوعات مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية [2002]) ص 50 .

9- صرحت الإدارة الأمريكية بعد دقائق من الهجوم لوسائل الإعلام العالمي أن الانفجار من تدبير " " وطالبت حكومة طالبان بتسليمه وإلا قابلت هجوما منها، وقد ردت حكومة طالبان باستعدادها تسليم بن لادن لأية جهة محايدة بشرط أن تقدم الولايات المتحدة ما يفيد إدانته في كل من الحادثين حادث السفارات (نيروبي، دار السلام) وهجوم سبتمبر 2001، وبالرغم من أن " " قد أخبر مذيعا تلفزيونيا كان يجري معه مقابلة في 2001/09/23 أنه سيضع كل المعلومات التي توصل إليها مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI ووكالات قانونية أخرى أمام الشعب العالمي والأمريكي وهي معلومات تفيد بتورط بن لادن في الهجوم إلا أنه لم يفعل.¹ كل ما ظهر بعدها هو شريط فيديو ألنقطه شخص هاوي يعلن فيه " " مسؤوليته عن الهجوم رغم أن لغة الشريط لم تكن واضحة، وقد اعتمد الجميع حتى العرب على ترجمة البنتاغون باللغة الإنجليزية التي ظهرت أسفل الصورة، وحتى أنه بالتدقيق لصورة في الشريط المعروض يتضح الكثير من الفرق بينها وبين صورته السابقة.

10- تعد اتصالات مقاتلو بن لادن طويلة فمن عدن 1992 إلى مقاديشو 1993 إلى الرياض 1995 إلى الظهران 1996 إلى نيروبي- دار السلام في 1998 ثم عدن مرة أخرى في 2000، هذه الاعتداءات تؤكد خطورة بن لادن ومن معه كما تؤكد تمركزه وتنظيمه في أفغانستان منذ 1996. وبالرغم من أن الإدارة الأمريكية تؤكد أن بن لادن بعد عملية عدن في عام 2000 أعلن نيته في ضرب الولايات المتحدة في أراضيها و في الخارج متوعدا بأن كل هجوم سيكون أقوى من سابقه.² فقد ترك بن لادن ينفذ تهديده في 09/11 دون اتخاذ أي إجراءات وقائية من أكبر دولة في العالم، مع أنه من المفترض أن بن لادن وخاصة بعد عملية عدن 2000 يكون في عداد الموتى الآن، وإذا كان فكيف لشخص بإمكانيات محدودة مثله بتمويل عملية بكل هذا التنظيم خاصة وأن كل حساباته مجمدة بعد عملية نيروبي - دار السلام 1998.

11- تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية أكثر أنواع الاستخبارات تعقيدا في العالم إلى جانب قدراتها الفائقة على المستوى التقني وتعددتها، فهي تمتلك عدة وكالات للمخابرات على المستويين المحلي والدولي. فقد تمكنت من إفشال وكشف العديد من العمليات الإرهابية حيث أفشل FBI محاولة لقصف مقر السوفييت في "غلين كوف" glen gove ولاغتيال السفير السوفييتي "أناتولي دوبرنين" وقد قامت NSA بتحذير كلينتون من أن سفارة دولة أجنبية معينة كانت تتصنت على مكالماته مع "مونیکا لوينسكي" Monika

¹ -سيمور هيرش " يادة الأمريكية العمياء -الطريق 11 أيلول غريب- تر: مركز التعريب والترجمة، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2005) ص 78.

² - مايكل شوبل "الفوقية الاميريالية الأمريكية - الإرهاب؟"- تر: سمة محمد ربه (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2005) ص 56.

Lewinsky وعندما أنكر الإتحاد السوفيتي إعطائه الأوامر لإسقاط الطائرة الكورية المدنية التي كانت تحلق فوق منطقة روسية، قامت **NSA** بعرض شريط صوتي كامل يحتوي على خيوط تلك المؤامرة.¹ فكيف لجهاز ضخّم مثل هذا يعد أقوى جهازا استخباراتي في العالم أن يباغته رجل يقطن في كهف في منطقة تبعد بنصف محيط الكرة الأرضية عن أمريكا ويقوم بتقجيرات 09/11؟!

12- كما يرى الأستاذ "تيري ميسان" أن عملية بهذه الضخامة والدقة والتكنولوجيا العالية لا يمكن لشخص مثل " " ولا حتى لتنظيم مثل القاعدة أن يقوم بها، فقد أجمع 200 قائد طائرة مدنية وعسكرية أمريكيين أن عملية بهذه الضخامة لا يمكن أن يقوم بها إلا قادة مختصون ذوو كفاءة عالية جدا حتى يستطيعوا متابعة مسار محدد وصعب بسرعة 1000 كلم في الساعة والاصطدام بدقة متناهية لهدف يبدو في العلو العادي للطائرة المدنية الكبيرة بحجم قلم الرصاص.²

13- حسب الرواية الرسمية أثناء عملية الاختطاف قام الركاب بإجراء اتصالات بالهاتف النقال وجاء في اتصالاتهم أن المختطفين مسلحين بالسلاح الأبيض فقط، وقد أكد مسؤولو **FBI** أنهم إثر عمليات التفتيش لكل الطائرات التي كانت بالجو تم العثور على سكاكين تحت مقاعد الركاب، كما اكتشفت وكالة المخابرات الأمريكية **CIA** فيما بعد أكياس من السكاكين في منزل في أفغانستان كان أسامة بن لادن يقيم فيه. وطبعا الربط بين كل هذه الحقائق وبين اتهام بن لادن منطقي بالنسبة للغرب فالمعروف عندهم أن المسلمين يحبذون الذبح كما أنهم متعصبون لا يميلون لكل ما هو تكنولوجي، مثل المسدس والكمبيوتر . . لكن كيف سهل تمرير هذه السكاكين مع أن المسدسات أسهل وأسرع، ومن السهل تمريرها على رقابة الطائرات.

مجل الحديث هناك ثلاث اتجاهات رئيسية تفسر ما حدث صبيحة الثلاثاء 2001/09/11:

❖ : تبنته الإدارة الأمريكية إثر الأحداث مباشرة وهو إصاق هذه العمليات الإرهابية بتنظيم القاعدة وبأسامة بن لادن بحجة أنه قام بعمليات أخرى مشابهة كلها ضد الولايات المتحدة، وأيضا بحجة أن تنظيم القاعدة تنظم متعصب تزعه مدنية وحضارة الولايات المتحدة، مع العلم أن المخابرات المركزية الأمريكية **CIA** هي التي جندت بن لادن الملياردير ليهجر الدنيا ويشن حربا مقدسة ضد احتلال الإتحاد السوفيتي للدولة المسلمة في أفغانستان أي أن الأسطورة البنلادنية صنع أمريكي!³

¹ - عبد الحي يحي زلوم، المرجع السابق ص 18-21.

² - Roger Garaudy, « le terrorisme occidental » (Alger : Edition Dar El Ouma, 1^{ere} édition, Septembre 2002 p 06).

³ - الفاتح كامل، "الحروب الأمريكية الجديدة"، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2005)، ص 44.

2- آثار أحداث 11 :2001

* الآثار الاجتماعية:

2- سید احمد المسیر، المرجع السابق، ص ص 12-13.

كما أثرت أحداث سبتمبر على حقوق الأقليات بل والمواطنين الأمريكيين أيضا فقد أصدر الكونغرس الأمريكي قانون الأدلة السرية الذي يتيح للولايات المتحدة القبض على المشتبه فيهم بغير تهمة، وعلى الرغم من محاولات إعادة النظر في القانون باعتباره صورة تخدش الوجه الأمريكي إلا أن أحداث 09/11 جاءت لتحول الاتجاه نحو مزيد من تقييد الحريات خاصة للعرب والمسلمين، و ترجمت هذه التقييدات بإصدار تدابير جديدة تقيد من حريات الأقليات في الولايات المتحدة مثل: قوانين الطوارئ، والتحقيق مع أكثر من 5 آلاف شخص، وتشكيل محاكمة عسكرية لمحاكمة متهمين بأعمال إرهابية وإصدار تشريعات تجيز التفتيش والإحتجاز والتصنت على الهواتف والبريد الإلكتروني وغيرها.³

وهو ما تضمنه مشروع قانون مكافحة الإرهاب الذي وافق عليه الكونغرس والذي وصفه المدعي العام الأمريكي "جون أشكروفت" بأنه يزيد من قدرة الولايات المتحدة على ملاحقة ومنع الأعمال

.24

.3

الإرهابية، وتبعا لهذا القانون وضعت قائمة بأسماء الشركات والمنظمات والأشخاص الذين جمدت أموالهم، كما مورست ضغوط كبيرة على المواطنين الأمريكيين والرعايا الأجانب وهو انعكاس لبند المشروع التي جاء فيها:¹

- (1) السماح بتسجيل الاتصالات الهاتفية من أجل تقديم أدلة على الأنشطة الإرهابية الداخلية والخارجية.
 - (2) تحريم إيواء الإرهابيين وزيادة العقوبات على عدد من أعمال الإرهاب.
 - (3) تسهيل عمل المحققين الجنائيين وضباط المخابرات لتبادل المعلومات الاستخباراتية.
 - (4) مراقبة مصادر التمويل بالإطلاع على الحسابات البنكية والتحويلات المالية للأفراد والجماعات.
 - (5) التحقيق في النشاطات الإرهابية داخل وخارج الولايات المتحدة وتنقل أفرادها وجماعاتها وانتماءاتهم ومرجعياتهم والأطراف الداعمة لهذه النشاطات بالأموال والأسلحة والتدريبات والتوجيهات.
- وعليه يمكن إيجاز وصف تأثير أحداث 11 سبتمبر 2001 على المجتمع الأمريكي بأن الإمبراطورية الأسطورة التي ظلت عاقلة في ذهن الفرد الأمريكي قد اندثرت مع أول هجوم على أراضيها، وأن الإحساس بالخوف واللامن هو الإحساس المسيطر على أمريكي ما بعد 11 سبتمبر 2001.

* الآثار الاقتصادية:

كان الاقتصاد الأمريكي يمر بمرحلة تباطؤ واضحة منذ نهاية عام 2000 وكانت التوقعات كبيرة على أن فترة الربع الأخير من عام 2001 ربما تشهد بعض التعافي من هذا التباطؤ تمهيدا لدخول الاقتصاد الأمريكي في موجة نمو معتدلة بدءا من عام 2002، إلا أنه قبل هجمات 11 سبتمبر بأيام قليلة تم الإعلان عن الأرقام الخاصة بمعدلات البطالة الأمريكية خلال شهر أغسطس وأوضحت هذه الأرقام معدلات البطالة الأمريكية في هذا الشهر بمعدل 0,4% مقارنة بشهر جويلية، حيث بلغ معدل البطالة فيه نحو 4,9% مقابل 4,5% مما أدى إلى مزيد من تدهور الاقتصاد.²

وجاءت أحداث 11 سبتمبر 2001 لتؤكد أن الحصانة التي يتميز بها الاقتصاد الأمريكي ضد الأزمات لم تعد في الصلابة المتوقعة، فقد جاءت انفجارات سبتمبر لتحديث آثار اقتصادية مباشرة وغير مباشرة على الاقتصاد الأمريكي حيث قدرت تكلفة رفع أنقاض برج التجارة العالمي وإعادة بنائهما بحوالي 40 مليار دولار، كما قدرت تكلفة إعادة بناء مبنى وزارة الدفاع "البنتاغون" ما يزيد على 100 مليون دولار، علاوة على قيمة الطائرات التي سقطت والبنية التحتية التي تضررت كما فقد العديد من

¹ - Malley Simon : « Qui ? Pourquoi ? », Afrique Asie, N° 145, Octobre 2001, p 07.

² - أيمن محروس، "الآثار الاقتصادية لهجمات سبتمبر" نقلا عن:

<http://www.islamtoday.net/september11/ecal.html...12/02/2007>

الخبراء الاقتصاديين، ودمرت الأصول العقارية بالإضافة إلى دفع مبالغ كبيرة للتأمين، وخفض عدد الرحلات الجوية، هذا إلى جانب تأثيراتها السلبية على السياحة والاستثمارات الأجنبية، بالإضافة إلى الانخفاض الهائل للبورصة الأمريكية بسبب قلة الثقة بين المتعاملين، هذا بخلاف تكلفة تمويل الحشد الأمريكي المشارك في الحرب ضد الإرهاب.¹

وبالرغم من كل الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الأمريكية لمواجهة التأثيرات السلبية لأحداث 11 سبتمبر كإضافة سيولة نقدية، وخفض سعر الفائدة عدة مرات وخفض الضرائب على الأفراد والشركات بجانب إصدار سندات الحرب إلا أنه يبقى التأثير الأكبر لأحداث 11 سبتمبر على الاقتصاد الأمريكي يتمثل في طغيان الطابع الفاشي على الاقتصاد الأمريكي، وذلك من خلال إصدار قانون مكافحة الإرهاب الذي يعطي صلاحيات للأجهزة الأمنية والقيام بعمليات اغتيال سرية، وتشكيل محاكم عسكرية هذا إلى جانب التوسع الكبير في دور المجتمع الصناعي العسكري الأمريكي من خلال اتجاه الولايات المتحدة لتصنيع 6 آلاف طائرة شبح، بالإضافة إلى استغلال الظروف الطارئة لامتلاك سلطات اقتصادية مثل طرح مشروع المسار السريع الذي يعطي للرئيس سلطة التفاوض على اتفاقيات تجارية لا يمكن للكونغرس تعديلها.²

*** المواقف الدولية من انفجارات 11 :**

لأن أمريكا لم تكن الإمبراطورية الأسطورية بالنسبة لشعبها فقد أثارت أحداث 2001/09/11 إحساس بالرعب والدهشة والترقب أيضا بالنسبة لكل دول العالم. فقد شاهد الجميع صور انهيار الإمبراطورية الأمريكية ولأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية، استنفرت الدول الكبرى ووضعت جيوشها وأجهزتها الأمنية في حالة تأهب قصوى لمواجهة حرب من نوع جديد مع خصم هولامي لم يعتد العالم محاربته.³

وقد تتابعت ردود الأفعال على الساحة الدولية وكلها أعربت عن إدانتها لهذه الأعمال الإرهابية التي راح ضحيتها مدنيون أبرياء، وعن تضامنها مع الولايات المتحدة واستعدادها لتقديم المساعدة اللازمة لها. وقد بادرت دول الحلف الأطلسي بالتصريح أن المساس بأي دولة من دول الحلف هو المساس بالدول 19 ككل، كما أطلق الأوروبيون على لسان مسؤوليهم صرخة واحدة تقول "كلنا أمريكيون" تعبيراً منهم على التضامن الصادق مع الشعب الأمريكي. كما عقد الإتحاد الأوروبي اجتماعاً استثنائياً على مستوى وزراء

¹ - أحمد النجار، "آثار أحداث 11 سبتمبر على الاقتصاد الأمريكي وآلية مواجهته لها" مجلة الديمقراطية، السنة 2، العدد 7، جويلية 2002، ص 253.

² - نفس المرجع، ص 253.

³ - Todd Emmanuel , « Après l'empire », Edition Gallimard, France 2003, P 11.

الخارجية لبحث كيفية مساعدة الولايات المتحدة في محنتها هذه، وقد عبر رئيس وزراء بريطانيا "توني بلير" إدانته لهذه الاعتداءات واعتبرها لا تمس أمريكا بوجه خاص بل هي مساس أو حرب على الديمقراطية والحرية في العالم. أما الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" فقد اعتبرها أحداث مروعة وبادر إلى إعلان تضامن الفرنسيين مع الشعب الأمريكي مشددا على أنه لا يمكن محاربة الإرهاب بفعالية إلا بموقف مسبق وحازم. وكان هذا هو موقف بقية الدول الغربية، أما الدول الآسيوية ف بجانب إدانتها للإعتداءات وتأثيرها الشديد للكارثة الأمريكية إلا أنها لم تفوت فرصة الإشارة إلى أن محاولات الهيمنة الأمريكية على العالم ساهمت في هذه المأساة. أما الحكومة التركية فقد شاركت في موجة التنديد تلك كما أعلن رئيس وزراءها استعداد بلده لتقديم كل العون اللازم للولايات المتحدة من أجل محاربة الإرهاب، مشيرا إلى أنه من الظلم الربط بين الإرهاب والعالم الإسلامي فكل دين أتباع متطرفون ومتعصبون ومن غير المنطقي جمع الجميع في كيس واحد، وهذا ردا على اتهام الإسلام الذي بدا واضحا فور حدوث الانفجارات.¹

أما إسرائيل الإبن المدلل لأمريكا فقد سارعت لإلقاء المسؤولية على عاتق جماعات عربية وإسلامية، ففي الوقت الذي كانت فيه عيون العالم مشدودة أمام شاشات التلفزيون تشاهد هول الكارثة الأمريكية، كانت معظم الشبكات التلفزيونية الأمريكية وعلى رأسها CNN و FOX NEWS تستضيف كبار المسؤولين الإسرائيليين والذين أفاضوا في الحديث عن خطورة الإرهاب - العربي طبعاً - وأنهم هم أولى ضحاياه.²

أما الدول العربية فقد أجمعت على إدانتها للحوادث الأليمة التي تعرضت لها الولايات المتحدة خاصة أنها مست بشكل مباشر المواطنين الأبرياء والمدنيين، وقد اعتبروها أعمالاً إرهابية وحشية تستهدف الحياة الإنسانية بشكل عام ولا علاقة لها بأي دين أو عرف ولا يمكن تبريرها بأي شكل من الأشكال، وقد سارع رؤساء ومسؤولوا الدول العربية والإسلامية إلى إعلان تنديدهم هذا في كل القنوات الإعلامية. غير أن الشارع العربي تخللته بعض مظاهر الفرح والغبطة و التشفي في عدوهم الذي يدعم إسرائيل وكل السياسات الظالمة، وعن هذه المظاهر يعلق "قصي صالح الدرويش" في مقالة نشرت في مجلة الحدث العربي والدولي بعنوان "العرب والحرب الأمريكية" فيقول: "إنه من الظلم وصف تلك المظاهر التي كانت جد قليلة ومحدودة بأنها مشاعر فرح لأن العرب ليسوا أقل من غيرهم حساسية للحياة الإنسانية ولمقتل آلاف الأبرياء الذين لم يفعلوا شيئا سوى تواجدهم في تلك المواقع التي تم تفجيرها، وحتى التبريرات التي يسوقها البعض بأن أحداث نيويورك وواشنطن مهمة لأنها أشعرت أمريكا أن ما يحدث

¹ - أبو بكر الدسوقي، المرجع السابق، ص 100.

² - سليمان إبراهيم العسكري، "أيلول الأسود الأمريكي" مجلة العربي، العدد 516، نوفمبر 2001، ص 9.

بعيدا يمكن أن يحدث أيضا داخل أراضيها وأنه لا وجود للقوة المطلقة التي تحقق الحماية الكاملة في أي بلد من البلدان، فأصحاب هذا الرأي يشيرون وبشماتة إلى موقف أمريكا (إدارة الرئيس بوش السلبية) إزاء سياسة الاعتداءات الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني، والتصريحات التي صدرت متلاحقة من المسؤولين الأمريكيين حول تأييدهم لسياسة أرييل شارون. فعلى الرغم حتما مما في هذه الملاحظة من دقة إلا أنها لا تكفي لتبرير أي مشاعر فرح إزاء أحداث 11 سبتمبر في الشارع العربي".¹

وعليه فإن موقف الدول العربية لم يكن أقل شأنا مما كان عليه في الدول الغربية لأن الأحداث بغض النظر عن الدولة التي ارتكبت فيها وعلاقتها بهم، فهي تبقى أحداثا مست أرواح بشرية بريئة ومست الضمير الإنساني في كل مكان.

ومن ثم يمكن القول أن أحداث 11 سبتمبر بكل ما فيها من عنصر المفاجأة والدهشة والغرابة بكل ما فيها أيضا من الكتمان والتضليل، تظل أحداث حدثت وتحدث في كل زمان ومكان لكنه لأسباب ما أخذت أبعاد أكبر من حجمها، فهل يمكن اعتبار أحداث 11 سبتمبر 2001 سببا للتغيير في السياسة الخارجية والإستراتيجية الأمريكية؟ أم تراها ذريعة لكشف جوهر السياسة الخارجية الأمريكية؟!

المبحث الثاني: الحرب العادلة في مقاربة إدارة بوش الابن للسياسة الخارجية

¹ - قصي صالح الدرويش، "العرب والحرب الأمريكية" مجلة الحدث العربي والدولي، العدد 14، أكتوبر 2001، ص 6.

يذهب المؤرخ الفرنسي "فرناند بروديل" Fernand Braudel إلى التمييز بين التاريخ الحداثي ذي الإيقاع السريع، أي التحليل الظاهري للحدث في إطاره الزمني وآثاره المباشرة، وبين التاريخ اللاحداثي ذي الإيقاع البطيء أي زمن البنيات العميقة والتحويلات الهيكلية غير الظاهرة.¹ ولأن وضع أحداث 11 سبتمبر 2001 في مخبر تحليل الصنف الثاني يحتاج إلى مرور العديد من السنوات فقد استنفرت هذه الوقائع أقلام الباحثين في تاريخها الحداثي ذي الإيقاع السريع، خاصة وأن الحدث قد قلب معايير عدة سواء في المنظومة الدولية أو السياسة الخارجية الأمريكية، وعلى إثر هذا التأثير برز اتجاهان:

الاتجاه الأول: يرى أنها لحظة فارقة أدت إلى تشكيل سياسة خارجية أمريكية جديدة ذات معالم مختلفة عن تلك التي كانت من قبل.

الاتجاه الثاني: يرى هذا الاتجاه أن أحداث 11 سبتمبر لحظة كاشفة لواقع السياسة الخارجية الأمريكية أي أن السياسة الخارجية الأمريكية التي بدأت تتشكل عقب تلك الاعتداءات لم تكن في الواقع جديدة، وأن كل ما فعلته تلك الأحداث أنها عرت وقائع تلك السياسة.

وأياً كان حجم تأثير هذه الأحداث على السياسة الخارجية الأمريكية فقد اعتبرت "بيرل هاربر" جديدة في التاريخ الأمريكي، ولما كان الهجوم الياباني بمثابة الهدية للرئيس الأمريكي "فرانكلين روزفلت" الذي استطاع فك جدار الحياد الذي فرضه عليه الكونغرس الأمريكي. هل ستستقبل إدارة بوش الابن أحداث 11 سبتمبر بذكاء إدارة روزفلت؟ وما هي المعايير التي اعتمدت عليها في إرساء السياسة الخارجية لما بعد 11 سبتمبر؟

1- مقارنة المحافظين الجدد للسياسة الخارجية:

بدأ الرئيس الأمريكي الثالث والأربعين "جورج والكر بوش" حياته الرئاسية بنقطة ضعف إحداها نجاحه عن طريق سلسلة من الإجراءات البيروقراطية والأحكام القضائية و تدخلات الكونغرس، بعد أن تفوق بالكاد على منافسه "آل غور" بـ 537 صوت في ولاية فلوريدا التي حسمت المعركة الانتخابية وهذا ما جعله أسير فكرة ضعف شرعيته السياسية، أما الثانية فالخبرة السياسية - وخاصة في السياسة الخارجية- الضعيفة لبوش الابن وذلك بحكم أنه شخصية اقتصادية نفطية بحتة. نقاط الضعف هذه هي التي دفعته للاستعانة بفريق محنك أطلق عليهم اسم "فريق الأحلام" أهمهم ومعظمهم من المحافظين الجدد.² وبالرغم من أنهم استطاعوا الوصول إلى سدة الحكم في الولايات المتحدة على إثر

¹ - السيد ولد أباه، المرجع السابق، ص 11.

² - منار، "انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2000" السياسة الدولية، 143، جانفي 2000، ص 8-19.

انتخابات شابها الكثير من الشكوك، إلا أنهم استطاعوا في فترة قصيرة الوصول إلى المراكز الحساسة والفاعلة في إدارة بوش الابن.

لقد تنازعت السياسة الأمريكية ثلاث مدارس طوال القرن العشرين في تعاملها مع العالم الخارجي سواء كانوا خصوماً أو حلفاء، كلها تعمل من أجل تحقيق المصلحة القومية الأمريكية وإن كانت تختلف في توجهاتها.

(1) مدرسة تعددية الأطراف (Multilateralism): وتسعى إلى تحقيق المصلحة القومية الأمريكية عن طريق التعاون مع الدول والنقاش والتشاور مع الحلفاء لبناء جماعات دولية في الأمم المتحدة وبقية المنظمات الدولية، وآخر تغييرات هذه المدرسة إدارة الرئيس "بيل كلينتون" التي اشتركت بفعالية في السياسة الدولية.¹

(2) المدرسة الإنعزالية (Isolationism): وترى أن تحقيق المصلحة القومية الأمريكية يكون بعدم التورط في الشؤون الدولية وكذا بالإنكفاء على الذات والإهتمام بالداخل الأمريكي وتطويره.

(3) المدرسة الإنفرادية (Unilateralism): وتجمع بين المدرستين السابقتين فهي ترى في ضرورة الإنخراط في السياسة الدولية بقوة واتساع من أجل تحقيق المصالح القومية الأمريكية ومن جانب آخر رفض الإنعزال ولكن بتعويضه بفرض رأيها وإدارتها سواء على منافسيها أو حلفائها، وذلك بإخضاعهم لقراراتها عن طريق الإقناع أو القوة وهو ما يتجلى بوضوح في إدارة بوش الابن.² وقد طغت هذه المدرسة على توجهات الإدارة الأمريكية الحالية في الشهر الأول لحكمها حيث تبنت مقاربة أكثر تشدد وعدوانية قائمة على ركيزتين هما غطرسة القوة والهيمنة الأحادية على العالم من دون أي مهادنة للخصوم وأي مراعاة للحلفاء والأصدقاء.³ وتتضح هذه المدرسة في إدارة بوش الابن من خلال عدة نقاط أهمها:

❖ إقرار مشروع الدرع الصاروخي والذي بموجبه يحمي فضاء الولايات المتحدة من أي هجوم صاروخي كما يوفر لها أفضلية القيام بهجوم ضد أي بلد في العالم، هذا الإقرار الذي ترتب عنه الإنسحاب الكلي من معاهدة الصواريخ الباليستية التي كانت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في عام 1972 وقد أثار

¹ - الفضل شلق، "العدوان على العراق - إدارة بوش والمحافظون الجدد -"، شؤون الأوسط، العدد 111، ص 24.
² - خالد الحروب، "الولايات المتحدة وأوروبا بعد 11 سبتمبر - تعزيز الانفرادية الأمريكية والتهميش الأوروبي -"، شؤون عربية، العدد 111، خريف 2002، ص 44.
³ - هيثم مزاحم، "السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 أيلول" مجلة شؤون الأوسط، العدد 107، صيف 2002، ص 173.

هذا الإقرار إحتجاج روسيا والصين. كما أثار حفيظة الحلفاء الأوروبيين الذين اعتبروه انفرادا أمريكيا وابتعاد عن مفهوم الأمن المشترك عبر الأطلسي (المتجسد في حلف الناتو).¹

❖ تحلل الولايات المتحدة من مجموعة من الإتفاقيات الدولية التي صادقت عليها من قبل مثل بروتوكول كيوتو للطاقة والذي يقضي بالحد من تلوث البيئة، هذا التحلل الذي أثار موجة من الإحتجاجات خاصة من أوروبا والصين بحكم أن إنتاج نحو ربع الغازات المتسببة في التلوث من صنع أمريكي، كما أن هذا التحلل يسمح بإطلاق يد الشركات الأمريكية لتلويث الجو بمعدلات غير منطقية وغير خاضعة للرقابة.²

❖ عدم المصادقة على عدد من المعاهدات الخاصة بحظر الحرب الكيميائية والبيولوجية وكذا رفض الإنضمام للمحكمة الجنائية الدولية وذلك بالإعتراض على الإتجاه المرن الذي سلكته إدارة كلينتون بموافقتها على نظام روما الأساسي فقد اشترطت إدارة بوش الإبن عدم إخضاع أفراد قواتها المسلحة بحال من الأحوال لإختصاص المحكمة الجنائية الدولية، وفي 06 ماي 2002 أخطرت الأمين العام للأمم المتحدة أنه نظرا لأن الولايات المتحدة لا تلتزم بنظام روما الأساسي كطرف فيه، فإنها تعتبر غير ملزمة بأي أثر قانوني لتوقيعها على النظام الأساسي في 31 ديسمبر 2000 وطلبت أن يعبر عن هذا المعنى في وثائق الأمم المتحدة الخاصة بحالة التوقيع والتصديق على نظام روما الأساسي.³

❖ القيام بسياسات حمائية أخرى فرض رسوم على وارداتها من الصلب وزيادة دعم مزارعيها وهو تجاوز لشروط منظمة التجارة العالمية التي تعد الولايات المتحدة من أهم من وقفوا وراء تأسيسها، وأيضا من أهم من رفضوا وأدانوا السياسات الحمائية المماثلة لعدة دول أكثرها اليابان.⁴

لقد أدت السياسة الإنفرادية التي تبنتها إدارة بوش الإبن إلى استنفار واسع من دول العالم خاصة الدول الكبرى وإن كان الأمر لا يتوقف على النفور المعتاد من موسكو وبكين وباريس، بل تعدى إلى أقرب المقربين الكلاسيكيين لواشنطن خاصة منهم لندن.

انعكس النفور الدولي من السياسة الأمريكية سلبا عليها حيث ضرب سور من العزلة وصلت به السياسة الأمريكية قبيل أحداث 11 سبتمبر إلى أقصى نقطة انعزالية لها بعد انتهاء الحرب الباردة، ومن

¹ - Camille Grand, *la défense antimissile : un nouveau paradigme stratégique*, politique étrangère, paris institut français des relations internationales (IFRI), Octobre, Décembre 2001, P 812 -813.

² - إدريس لكريني، "الزعامة الأمريكية - مقومات الريادة وإكراهات التراجع"، المستقبل العربي، العدد 291، ماي 2003، ص 23.

³ - محمد بوبوش، "الموقف الأمريكي من القانون الدولي"، نقلا عن: <http://boubouche.maktoobblog.com/10/12/2007>

⁴ - نيفين عبد المنعم وآخرون، المرجع السابق، ص 214.

⁵ - سعيد اللاوندي، "أمريكا في مواجهة العالم - حرب باردة جديدة"، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع، 2003)، ص ص 240-245.

جانب آخر طرحت فكرة علاقة النزعة الإنفرادية الأمريكية بالقانون الدولي والتي تصب في نقطة في غاية الأهمية تثيرها فكرة تقويض الشرعية الدولية وهو ما يمكن استخلاصه من سياسة الهيمنة والإنفراد الذين تبنتهما إدارة المحافظين الجدد، والتي ترى أنه من غير المنطقي الاعتقاد في مصدر للشرعية أعلى قدرا من الدولة القومية، ذلك أن المؤسسات الدولية تتمتع بقدر من الشرعية مساو تماما لما تخوله لها أغليات منتخبة ديمقراطيا من خلال عملية تعاقدية متفق عليها. ويمكن لهذه الأغليات المنتخبة سحب هذه الشرعية متى رأت ذلك ضروريا.¹ وهذا بدوره يصب في إعادة إحياء فكرة الدولة القومية وسيادتها وهو ما يناقض أهم أطروحة للعولمة التي تقضي بإضعاف دور الدولة وتسييل الحدود بين الكيانات السياسية.

وللإشارة فالمنهج الأحادي الجانب ليس جديدا في السياسة الخارجية الأمريكية فقد اعتمدته الإدارات السابقة، حيث ظهر في عهد **كلينتون** في العديد من المواقف مثل الموقف الأمريكي من التجديد للدكتور بطرس غالي كأمين عام للأمم المتحدة، كما رفضت إدارة كلينتون المصادقة على معاهدة الألغام وأيضا قيامها بحملات عسكرية في العراق وكوسوفو دون الرجوع إلى الأمم المتحدة وكذا قصف أفغانستان والسودان دون حتى السعي لاتلاف دولي، ومع ذلك فقد ظل التوجه الأحادي بالنسبة للإدارات السابقة وخاصة إدارة **كلينتون** انتقائي يتم اللجوء إليه عند اللزوم، غير أنه في إدارة **بوش الابن** يأخذ شكل آخر، وذلك راجع لفكر الجمهوريين الذي يعد مسؤول عن الاندفاع نحو الأحادية في العمل الدولي، أيضا غياب الرادع فاختفاء الإتحاد السوفيتي كان يعني بالنسبة للجمهوريين المؤمنين بالليبرالية الدولية بل وحتى الديمقراطيين أن الولايات المتحدة تملك رفاهية اتخاذ مواقف منفردة أحيانا وفق مصالحها. على العموم فإن إدارة **بوش الابن** لم تختزع الأحادية أو الإنفرادية وإنما قامت بتحويلها من الإستثناء والإنتقاء إلى القاعدة وذلك بناء على فكر المحافظين الجدد المهيمنين على صنع السياسة الخارجية الأمريكية في عهد **بوش الابن** المبني على مناهضة العمل الجماعي، فهو تيار يرفض الإنعزالية وفي نفس الوقت لا يثق في إمكانية تحقيق المصلحة الأمريكية عبر العمل الدولي متعدد الأطراف فهم من المعادين لليبرالية الدولية من حيث المبدأ حيث يعتبرونها تناقض حقيقة العلاقات الدولية التي تقوم عندهم على القوة وليس على المساواة بين الدول ومن ثم وجدوا فيها إهدار للمصالح الأمريكية.²

على العموم يمكن القول بأن السياسة التي اتبعتها إدارة **بوش الابن** قبيل أحداث 11 سبتمبر 2001 كانت تنم عن انفراج دولي من القبضة الأمريكية التي ظلت مسيطرة على الساحة الدولية منذ نهاية الحرب الباردة، وبروز قوى دولية أخرى تعزز التوجهات الدولية التعاونية، بمعنى آخر أن سياسة إدارة **بوش**

¹ - السيد ولد أباه، المرجع السابق، ص 78.

² - منار، "الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية" السياسة الدولية، العدد 161، جويلية 2005، ص 212.

كانت ستقضي على نظام القطب الواحد وتخلق نظام متعدد الأقطاب لولا أحداث 11 سبتمبر 2001. فما الذي صنعتته هذه الأحداث بإدارة المحافظين الجدد؟

أبرزت هجمات 11 سبتمبر تطورات جوهرية ومهمة في المقاربة الأمريكية للسياسة الخارجية أهمها إنهاء ما عرف **بنظرية الإستثناء الأمريكي**، فطوال التاريخ كانت الولايات المتحدة مجتمعا محصنا ضد الاعتداءات الخارجية التي تمس مصالحها، أما وبعد 11 سبتمبر فقد أيقن الساسة الأمريكيين أن أمريكا لم تعد بمنى عن الاستهداف والهجوم فقد اتضح أنه ثمة تهديدات فعلية تهدد الأمن القومي الأمريكي تتجاوز الدول المارقة **Rogues States** أو الخارجة عن القانون **Out Law State** لتشمل التنظيمات الإرهابية، وذلك على اعتبار أن هذه التنظيمات بإمكانها الحصول على أسلحة الدمار الشامل كما أدركت الولايات المتحدة تراجع هيبتها وقوتها كقوة عظمى أحادية، من أجل ذلك عمدت الولايات المتحدة إلى إعلان الحرب على الإرهاب وذلك بالقضاء على التنظيمات الإرهابية وإضعاف الدول الداعمة لها.

وفي ذلك أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في 15/03/2002 مقولته " **على العالم المتحضر أن يأخذ على محمل الجد التهديد الإرهابي المتزايد على مستوى كارثي، علينا أن نمنع انتشار أسلحة الدمار الشامل [...] لن ندع الأنظمة الأخطر في العالم تتعاون مع قتلة لمحاصرة الأمة الأمريكية العظيمة** " كما أكد وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد في 21 ماي 2002 إمكانية امتلاك التنظيمات الإرهابية لأسلحة الدمار الشامل حيث قال " **علينا الاعتراف بأن الشبكات الإرهابية تقيم علاقات مع دول إرهابية تملك أسلحة دمار شامل ومن المؤكد أنهم سيصلون إليها ولن يترددوا دقيقة في استخدامها**"¹.

على إثر أحداث 11 سبتمبر أعلنت الحرب على الإرهاب الذي أصبح يشكل بؤرة اهتمام السياسة الخارجية الأمريكية في إدارة بوش الابن، تماما كما كانت العولمة هي المبدأ المبالغ في غاياته لسياسة إدارة كلينتون والخارجية وكما كانت حرب الخليج هي الحد الفاصل لإدارة بوش الأب،² فقد خلقت هذه الأحداث سياسة خارجية أمريكية مهووسة بمحاربة ما يسمى بالإرهاب الذي انفردت الولايات المتحدة بمفهومه وآلية مواجهته والنطاقين الجغرافي والزمني لهذه المواجهة.

و عليه فإن السياسة الخارجية الأمريكية لما بعد 2001/09/11 تميزت بالعديد من المعايير التي يمكن إجمالها في مايلي:

(1) الميل إلى القوة واعتبارها الحل الأسلم لمواجهة الأنظمة الإرهابية والدول الداعمة لها وأيضا إعلاء الهيمنة الأمريكية على كل الدول والمنظمات العالمية، وفي هذا صرح "ريتشارد بيرل" أحد القادة

¹ - هيثم مزاحم، المرجع السابق، ص 175

² - نصير عاروري وآخرون، " **العرب والعالم بعد 11 سبتمبر** " (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية) 2001، ص 230.

(3) عرت أحداث سبتمبر مرحلة الغموض الذي عايشته الساحة الدولية عقب سقوط الإتحاد السوفيتي حول هوية وطبيعة النظام الدولي، فبالرغم من أنه كان يوحي بأنه نظام أحادي القطبية إلا أنه لم يكن بالأمر المؤكد حتى جاءت اعتداءات سبتمبر لتحديث تغيرات وتحولات تؤكد أحادية النظام الدولي، وذلك على ضوء السلوك الخارجي للولايات المتحدة بصفة عامة، وتجاه المنطقة العربية بصفة خاصة، فقد استقرت الولايات المتحدة بقيادة العالم على ضوء حربها المزعومة على الإرهاب.

(4) وجود شبه من التوحيد وراء بوش الابن رغم ظهور استثناءات، هذا التوحيد أو التداخل الذي قضى على الفارق المعروف بين الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي الذين يختلفان في الإدارة وإن كان الجوهر هو دائما المصلحة العليا الأمريكية. لذلك فبعد 11 سبتمبر غدى التداخل من بين السمات الكبرى لتقاليد كل منهما في إدارة السياسة الخارجية، بمعنى أصبح هناك تداخل بين استعمال الأداة العسكرية لحماية المصالح الأمريكية المادية المباشرة (الجمهوريين)، والاهتمام بالقيم الأمريكية مثل نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان ومن ثمة عدم الإفراط في اللجوء للقوة العسكرية كسبيل للتغيير (الديمقراطيين)،¹ فالحرب الأمريكية ضد الإرهاب ليست فقط انعكاسا للتقاليد الجمهورية بل إنها مختلطة بالبعد القيمي وفقا للمفهوم الأمريكي، أي مقاومة قوى الإرهاب (قوى الشر) فالإرهاب هدد ويهدد المصالح الأمريكية والمنظومة القيمية للعالم الحر بقيادة أمريكا.

(5) بروز تقسيم جديد للعالم بمعايير جديدة مبنية على أبعاد حضارية ثقافية وذلك بعد تراجع المعايير الإيديولوجية ومعايير توازن القوى، فقد قسم العالم إلى قوى خير وقوى شر ووضع الإسلام والمسلمين في كفة قوى الشر والقوى الغير المتحضرة. هذا التقسيم الذي يتأثر باعتبارات ثقافية حضارية يقرها اليمين الديني الأمريكي يلعب دورا سياسيا ومحوريا في الإدارة الأمريكية الحالية، بمعنى أن الرداء الإيديولوجي الذي كانت ترتديه الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة قد استبدل برداء حضاري يوحى فكرة الحروب الصليبية أو حرب الأخيار ضد الأشرار.²

(6) من الوهلة الأولى لأحداث 11 سبتمبر توجهت أصابع الاتهام للإسلام بشكل مباشر أو غير مباشر وهذا ما يجسد أطروحة صراع الحضارات التي قال بها "صامويل هانتغتون"، فهذه الأحداث وضعت العالم الإسلامي المقترن بالتطرف والعنف في خانة العدو البديل للإتحاد السوفيتي حتى وإن كانت أمريكا تقسم الإسلام ذاته إلى إسلام معتدل وإسلام متطرف -هنا تكمن الخطورة في إحداث فجوة في الإسلام و بين المسلمين-، هذا العدو البديل الذي استغلته الولايات المتحدة لإبراز العديد من المصطلحات التي تخدمها

¹ - محمد رباعة المرجع السابق، □ 12.

² - نادية محمود مصطفى، "11 سبتمبر والتحولات في السياسة الأمريكية"، نقلا عن: www.islamonline.net/arabic/politics/2002/09/article17.shtml/

وعلى رأسها الحرب الإستباقية التي تبرر استخدام القوة العسكرية لإزالة تهديد متخيل أو ملفق كما جرى في العراق.¹

هذه بعض النقاط التي يمكن الاستعانة بها لوصف السياسة الخارجية الأمريكية لما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وكلها تنم عن إنفرادية الولايات المتحدة الأمريكية بصنع الأحداث الدولية وتقرير مصير لابعيها متغاضية بذلك عن الشرعية الدولية المتمثلة في الأمم المتحدة.

2- الحرب العادلة في فكر المحافظين الجدد:

كشف عالم ما بعد الحرب الباردة بما فيه من نزاعات وتجاوزات وانتهاكات لحقوق الإنسان عن وجود خلل واضطراب في مسار العلاقات الدولية، انعكس بدوره على القانون الدولي الذي يفترض أن يحكم هذه العلاقات، غير أن الأحادية القطبية وضعت القانون الدولي في مأزق عدم الجدوى خاصة مع تزايد الاستهتار الأمريكي بالشرعية الدولية.

يعتبر القانون الدولي عند دول العالم أداة لتغيير الواقع ومعالجة الخلل الذي ينتابه كما له دورا وقائيا يتمثل في معالجة الأزمات الدولية قبل استفحالها، غير أنه عند الولايات المتحدة على وجه خاص ليس فاعلا بل مفعولا به فهي ترى أن الواقع هو المؤدي إلى تغيير القانون، وأن القاعدة القانونية ينبغي أن تعكس حقائق الواقع المتغير ومن هنا فقواعد القانون الدولي في حاجة إلى التغيير والتطوير خاصة وأن الحروب لم تعد هي وحدها المصدر الأساسي لتهديد السلم والأمن الدوليين، فقد ظهرت مصادر جديدة غير تقليدية مثل الحروب الأهلية وامتلاك أسلحة الدمار الشامل وانتهاك حقوق الإنسان وقضايا البيئة والإرهاب الدولي، وهو ما ظهر جليا في أحداث 11 سبتمبر 2001 التي تراها الولايات المتحدة سببا كافيا لمراجعة القواعد القانونية الدولية.²

وعلى إثر هذه الدعوة للتغيير والتطوير تحفظت الولايات المتحدة من الإطار المالي لتحريم استخدام القوة في العلاقات الدولية (الفقرة 04 المادة 02)، كذلك المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة وأيضا سلطة مجلس الأمن إضفاء الشرعية على أي استخدام للقوة المسلحة، معتبرة أنه لم يعد ملائما للتطورات الراهنة في عالم الألفية الثالثة. خاصة وبعد 11 سبتمبر مما يدعو إلى إقامة إطار قانوني جديد ينظم استخدام القوة في عالم اليوم، وتتذرع الولايات المتحدة على ذلك بأن النظام القانوني الدولي في مجال تحريم استخدام القوة في العلاقات الدولية والإستثناءات الواردة عليه لم تعد له الفاعلية في التصدي للدول المارقة والداعمة

¹ - غازي حسين □□□□□□ "الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية" (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005)، ص 92 - 94.

² - أحمد سيد أحمد □□□□□□ "الأزمة العراقية ودور مجلس الأمن في حفظ السلم والأمن الدوليين"، السياسة الدولية □□□□□□ 135، جويلية 2003، ص 125.

للإرهاب والتي ترتكب انتهاكات فظيعة لحقوق الإنسان ضد شعوبها، وترى الولايات المتحدة أن تعمل الأمم المتحدة على تجاوز الإطار القانوني القائم حالياً على النحو الذي يطلق يدها في التعاون مع هذه الدول من خلال استخدام للقوة المسلحة لا تحده القيود التي ينطوي عليها ميثاق الأمم المتحدة.¹

ولما كان تدخل الأمم المتحدة بما يتمشى وأهواء الولايات المتحدة صعباً خاصة وأن حق الفيتو ليس حكراً عليها، رأت الدوائر الفكرية والسياسية الأمريكية أن مسألة المشروعية تستوجب العودة إلى تراث الحرب العادلة الذي تم بعثه من السجل اللاهوتي الوسيط، والذي لا يعد جديداً على صانعي القرار الأمريكي فقد ألفته أقسام العلاقات الدولية بالجامعات الأمريكية منذ سبعينات القرن العشرين، وقد تجدد الإهتمام به لدى بعض الدوائر الأكاديمية والدينية في اتجاه معاكس للنزوع الحربي الراهن وذلك بدعوة أخلقته الحرب وتقييد استخدام القوة في عالم بلغ فيه العنف و السباق النووي وأسلحة الدمار الشامل أوجه.

ويعد كتاب الفيلسوف "مايكل والزر" **Michael Walzer** الصادر عام 1977 بعنوان "الحرب العادلة والحرب الغير العادلة" (**Just and Unjust War**) المرجع الأساسي لهذا الاتجاه الأخلاقي الذي عمل على إعادة بناء النظرية الدينية الوسيطة على أسس ليبرالية جديدة، وقد ظلت هذه المقاربة مرفوضة في الدوائر القانونية والدبلوماسية إلى أن جاءت أحداث 11 سبتمبر والتي سمحت لأول مرة بتبني معايير ومقاييس الحرب العادلة ولو ضمن منظور لا يزال يجد حرجاً في التوصل النهائي من مرجعية الشرعية الدولية.²

وقد ساهمت الإدارة الحاكمة التي يهيمن عليها المحافظون الجدد والإنجيليون الأصوليون في تثبيت هذا المفهوم في الفكر الإستراتيجي الأمريكي لما بعد 11 سبتمبر، ذلك أن الحرب العادلة تعد واحدة من المبادئ التي تقوم عليها الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد. فبالإضافة للقوة التي تعتبر لديهم أقصر الطرق لتحقيق الأهداف الأمريكية، وأيضاً الجمهورية الإلهية التي تتبنى بالنسبة لهم وفقاً للاعتقاد الديني القاضي بأن المجتمع الأمريكي مجتمع متفوق وتميز على كل مجتمعات العالم ويحق له ما لا يحق لغيره بحكم أنه قد تم اختياره إلهياً، تأتي الحرب العادلة في المرتبة الثالثة للمبادئ الأساسية للمحافظين الجدد وينبني هذا المبدأ على أن الآباء المؤسسين للولايات المتحدة وضعوا نظرية تقنن نزاعاتهم تقوم على فكرة عدالة أي حرب تدخلها الولايات المتحدة، ما دامت تلك الحرب تحقق الأهداف الإستراتيجية الأمريكية، وهو ما عبر عنه البروفيسور "روبرت تكرر" أستاذ في جامعة جون هوبكنز بقوله: "يمكن اعتبار استخدام العنف

¹ - لواء محمد حسام سويلم، "الضربات الوقائية في الإستراتيجية الأمنية الأمريكية الجديدة"، السياسة الدولية، العدد 150، أكتوبر 2002، ص ص 290-297.

² - Bertrand Lemenier, « la notion de guerre juste », revue et corrigée par le libéralisme, le québécois libre, 12/04/2003, N° 523.p 10.

والوحشية في أي حرب ندخلها حرباً عادلة " وهو المبرر الذي تشبثت به الولايات المتحدة حيث اعتبرت كل حرب تدخلها ضد أي دولة تعمل بعيداً عن مصالحها حرب تحرير، وهو ما أكدته روزفلت في شرحه لمبدأ مونرو بقوله " إن الولايات المتحدة هي صاحبة الحق المطلق في تحديد شرعية أو لا شرعية أي سلوك تقوم به دولة أخرى"¹ وهي الفكرة التي انبنت عليها مشروعية الحرب على الإرهاب التي أعلنتها إدارة بوش الابن بعد 11 سبتمبر طالما كانت موافقة الأمم المتحدة على وضع معظم دول العالم إن لم تكن كلها في خانة الاتهام والمواجهة، ولطالما أصبحت قاعدة التقسيم لدى إدارة المحافظين الجدد "من ليس معنا فهو ضدنا".

فقد اتفقت الولايات المتحدة الأمريكية مع "جيمس روزنو" على أن مقياس الشرعية التقليدي قد تراجع تاركا مكانه إلى مقياس شرعية الانجازات المتعلقة بتحقيق الأهداف وتوفير الاستقرار،² فالإدارة الأمريكية الحالية ترى أن مشروعية أي حرب لا تقاس بالجانب القانوني وإنما الأخلاقي والذي يتحدد لا بما تحققه هذه الحرب وإنما بما يتيح تجنبها.

وعليه يمكن القول أن السياسة الخارجية الأمريكية لما بعد 11 سبتمبر قد أحييت فكرة الحرب العادلة كبديل للشرعية الدولية التي تعتبرها حائلاً والفكر الإمبراطوري الأمريكي، وأن المؤسسات فوق وطنية كمنظمة الأمم المتحدة، والإتحاد الأوروبي ومحكمة العدل الدولية وغيرها ليست مصدر للتشريع بحسب الرؤية الأمريكية فالدولة الوطنية وحدها مصدر للقوانين والتشريعات وأن عالم الإرهاب من وجهة النظر الأمريكية الذي أفرزته أحداث 11 سبتمبر يخول لها كل الممنوعات لتصبح كل التجاوزات مباحة وممكنة باسم الحرب العادلة، فالولايات المتحدة الأمريكية التي لم يغيب الدين عنها منذ نشأتها استطاعت أن تجد فيه ثغرة لتبرير حربها على الإرهاب مادامت في النهاية تسعى لتحقيق السلم والأمن الدوليين وما دامت معايير الحرب العادلة تنبني على ما ذهب إليه القديس أوغسطين من نسبية وتبرير الشر الذي يتجنب شراً أكبر.

¹ - مقال بدون مؤلف "الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد وآثارها على العالمية"، نقلاً عن:

<http://furat.alwehda.gov.sy/archive.asp?filename=3327404502007/14/03/2008>

² - James N. Rasenau : « the united nations in a turbulent world », international peace academy, occasional paper series, London, Lynne Rienner, Publishers, 1992. PP: 16 -17.

المبحث الثالث: الحرب العادلة في مذهب بوش الابن

لما كانت أسباب معظم الحروب إن لم تكن كلها أقل شئنا من أن تقوم لأجلها حربا خاصة وإن كانت عالمية، فاغتيال الأرشدوق النمساوي "فرديناند" وزوجته (1914) أقل من أن تقام لأجله حربا عالمية أولى وتجرب نتائجها حربا عالمية ثانية، كما أن ضربة بيرل هاربور 1941 أقل من أن تفرض على الولايات المتحدة أن تخرج من جحر عزلتها لينتهي بها الأمر للمشاركة في الحرب العالمية الثانية ومن ثم تغيير المعالم الجيوسياسية العالمية إلى الأبد، كانت أيضا أسباب الحرب العالمية الثالثة أو الحرب ضد الإرهاب التي تعلنها أمريكا وحلفائها أقل مما جرت به وتجربه سواء على الولايات المتحدة ذاتها أو على دول العالم.

ولما كان الرجال صنفان، رجال يصنعون التاريخ وآخرون يصنعهم التاريخ، فقد صنع التاريخ أو ربما الصدفة "جورج والكر بوش" ليصنع هو تاريخ بمفهوم جديد، تعد الحرب ضد الإرهاب أو الحرب الطويلة كما يحلو للكثيرين تسميتها محورا مركزيا في سياسته على الصعيدين الداخلي والعالمي، وبالرغم من كونها حربا غير واضحة المعالم وتختلف عن الحروب التقليدية بكونها متعددة الأبعاد والأهداف إلا أنها شكلت انعطافة وصفها العديد من الباحثين والمحللين السياسيين بالخطيرة و غير المسبوقة في التاريخ. وبالرغم من أن نموذج جيمس روزنو للدراسة المقارنة للسياسة الخارجية والذي يهدف إلى تقديم إطار نظري عام لترتيب وتصنيف عوامل التأثير في السياسة الخارجية للدول حسب درجة هذا التأثير ووزن هذه العوامل يضع تأثير المتغيرات الفردية والتي تتعلق بالصفات والخصائص الشخصية لصانع القرار (الخبرة، الولاء، القيم، الإيديولوجيا، الفكرة، ...) على الدول الكبرى المتقدمة ذات النظام المفتوح في المرتبة الرابعة بعد المتغيرات الحكومية والمجتمعية ومتغيرات الدور، إلا أن أحداث 11 سبتمبر والحرب الأمريكية ضد الإرهاب سمحت للمتغيرات الفردية لصانع القرار الأمريكي لتقفز إلى المرتبة الأولى في التأثير لتأخذ بذلك الحرب ضد الإرهاب مسمى مذهب بوش لمكافحة الإرهاب نظرا للإستراتيجية الأمنية والقيمية التي أعلنها بوش الابن عقب أحداث 11 سبتمبر. فما تأثير شخصية بوش الابن على هذه الحرب؟ و أين يقع مبدأ الحرب العادلة منها؟

1- مذهب بوش الابن لمكافحة الإرهاب:

منذ أواخر الستينات وأوائل السبعينات كثر تداول العديد من المصطلحات مثل "الإرهاب"، "الإرهاب السياسي"، "إرهاب الدولة"، "الإرهاب الدولي" في وسائل الإعلام المحلية والعالمية، و بالرغم من خطورة الظاهرة إلا أنها لم تقفز إلى الساحة الدولية بشكل قوي كما بعد أحداث

11 سبتمبر، و التي جعلت من الإرهاب محور الدراسات و الملتقيات و البحوث النظرية و العلمية خاصة بالحرب التي تشنها أمريكا على الإرهاب و الدول الداعمة له.

و بالرغم من أن محاولة تعريف ظاهرة خاصة في نطاق العلوم الإجتماعية من الصعوبة بمكان إلا أنه يمكن تبني تعريف الفقيه جورج لافيسي **George Lavoisier** للإرهاب و الذي يعتبره " الإستخدام العمدى و المنظم لوسائل من طبعها إثارة الرعب بقصد تحقيق بعض الأهداف"¹ أما حسب الإدارة الأمريكية فقد عرفت وكالة الإستخبارات المركزية CIA بأنه (التهديد الناشئ عنه عنف من قبل أفراد أو جماعات) أما مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي فيرى (الإرهاب هو عمل عنيف أو عمل يشكل خطراً على الحياة الإنسانية وينتهك حرمة القوانين الجنائية في أية دولة) في حين تراه كتابة الدولة الخارجية الأمريكية (عنف ذو باعث سياسي يرتكب عن سابق تصور وتصميم ضد أهداف غير حربية من قبل مجموعات وطنية فرعية أو عملاء دولة سريين ويقصد به عادة التأثير على جمهور ما).² و عن فريق المهمات الخاصة التابع لنائب الرئيس الأمريكي للإرهاب فيرى أنه "في سعيهم للقضاء على الحرية والديمقراطية، يتخذ الإرهابيون أهدافهم من غير المحاربين عن عمد لتحقيق أغراضهم الذاتية الخاصة فهم يقتلون ويشوهون الرجال والنساء والأطفال العزل. كما يقدمون عمداً على قتل القضاة، ومراسلي الصحف، والرسميين المنتخبين، والإداريين الحكوميين، والقادة النقابيين ورجال الشرطة وغيرهم ممن يدافع عن قيم المجتمع ".³

يتضح من خلال التعريفات السابقة أنه لو وضعت كلها في تعريف واحد لصارت مضطربة وقاصرة، فهذه التعريفات غير موضوعية وتعبر عن وجهة نظر الحكومة الأمريكية، بمعنى أن كل عمل ضد الإدارة الأمريكية فهو إرهاب أما إرهاب الحكومة فقد أغفلته التعريفات السابقة، أما تعريف فريق المهمات الخاصة فهو أشبه بحملة دعائية إعلامية عن أن يكون تعريفاً منضبطاً.

و أياً كان التعريف يمكن القول أن الإرهاب مفهوم ديناميكي متطور تختلف صورته وأشكاله وأنماطه و دوافعه اختلافاً زمنياً و مكانياً ، و يتباين بتباين الثقافات القائمة في مجتمع دون الآخر أو حضارة دون الأخرى، مما ينجم تداخل هذا المصطلح مع مصطلحات أخرى أهمها التحرر فما يسمى إرهاب عند دولة ما قد يسمى دفاع مشروع من أجل التحرر عند دولة أخرى .

أثرت أحداث 11 سبتمبر على السياسة الخارجية الأمريكية بصورة قوية إذ أصبحت موجهة بالكامل نحو هدف مكافحة الإرهاب بما ينطوي عليه ذلك من تخصيص موارد مالية و إعادة تشكيل للتحالفات الخارجية الأمريكية، وهذا لا يعني غرابة العملية على الثقافة الأمريكية ولا حتى المصطلحات التي

¹ - عبد العزيز مخيمر عبد الهادي، " الإرهاب الدولي " (القاهرة: دار النهضة العربية، 1976) □ □ 41.

² - محمد عزيز شكرى، " الإرهاب الدولي " (بيروت: دار العلم للملايين، 1991) □ □ 46-45 .

³ - سالم إبراهيم، " العنف و الإرهاب "، (ليبيا: منشورات المركز العالمي للدراسات و الأبحاث، 2002)، ص 90.

استعملت لوصف مرتكبي العملية بالجديدة على الفكر الأمريكي، فمحور الشر والأشرار والمجرمين كلها نعوت عرفتها أمريكا في فترة الحرب الباردة ومن بعدها، حيث مثل الإتحاد السوفيتي إمبراطورية الشر بالنسبة لريغان الذي اعتبر رافضي الهيمنة الأمريكية ما هم إلا مجرمين شبيهي بتجار المخدرات. ليقفز مصطلح الدول المارقة في الأجندة السياسية لإدارة كلينتون الذي وقع عام 1996 على قانون "أمانو كينيدي" الذي أعلن أن إيران وليبيا خارجتان عن القانون الدولي بموجب حادثة لوكربي في 20 ديسمبر 1988.¹

ومع كل ما سعت إليه الإدارات الأمريكية السابقة من تعبئة الرأي العام الداخلي أو العالمي ضد الإرهاب إلا أن القدر لم يبعث لها بـ 11 سبتمبر كما فعل مع الرئيس بوش الابن والذي حاول منذ الوهلة الأولى للأحداث إعطاء ظاهرة الإرهاب بعد شمولي أو كما يسميها أحد المحللين السياسيين بـ: "عولمة الإرهاب" والذي تم تشبيهه بالإخطبوط المتعدد الرؤوس.² والمقصود بهذه العولمة هو جعل 11 سبتمبر الغول الذي لا بد لكل دولة أن تتحسب لهجومه وبأن ما حدث في واشنطن ونيويورك قد يحدث في أي مدينة لأي دولة من دول العالم خاصة العالم الغربي على اعتبار أنه عالم تحكمه قيم الحرية و أن مرتكبي الحدث هم أعداء للحرية.

ذكرت وسائل الإعلام أن الرئيس بوش الابن أثناء أحداث 11 سبتمبر 2001 كان في مدرسة في ولاية فلوريدا وأنه فور استماعه الأخبار من أحد معاونيه ابتسم واستدار للطلاب يواصل قراءته وكأن الأمر -إن لم يكن على علم مسبق به- لا يعنيه أو ربما ينتظره ويتمناه،³ وبعد اتخاذ الإجراءات الأمنية اللازمة للحفاظ على حياته أول ما قام به بوش الابن هو استدعاء السيناتور "داشل" حيث طلب منه عدم إجراء أي تحقيق حول هذه العمليات الإرهابية. وهو ما يتنافى مع ما كان ستفعله أي دولة أخرى، فقد حاول بوش إبقاء الطريق مفتوح ليسمح له برد شامل وغير محدود، فقد أمد هذا الهجوم بوش فرصة إعلان حرب طويلة ضد الإرهاب وذلك لسحق أي معارضة أو مقاومة لنظامه المعلوم تحت السيطرة الأمريكية.⁴

وكإعلان عن بداية تلك الحملة خاصة بعد رفض طالبان تسليم "أسامة بن لادن" للولايات المتحدة جاء في خطاب الرئيس بوش الابن في 20-09-2001: "إن حربنا ضد الإرهاب تبدأ بتنظيم القاعدة في أفغانستان لكنها لا تنتهي هناك إنها لن تنتهي حتى يتم العثور على كل مجموعة إرهابية في العالم

¹ - روجيه غارودي، المرجع السابق، ص 227.

² - حسين بوقارة وآخرون، "الانعكاسات الدولية والإقليمية لأحداث 11 سبتمبر 2001"، (باتنة، شركة باتنيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية والنشر، 2002)، ص 125.

³ - سول لاندوا، "الإمبراطورية الاستباقية - الدليل إلى مملكة بوش-"، ترجمة: ليلى النابلسي، (بيروت: شركة الحوار الثقافي، 2005)، ص 37.

⁴ - أحمد بيبزون وآخرون، "العرب والعالم بعد 11 سبتمبر"، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 227.

وحصارها وهزيمتها، وعلى كل أمة وكل منطقة أن تتخذ قرارها الآن إما أنكم معنا أو مع الإرهابيين ضدنا".¹

والمأمل لهذا الخطاب الرئاسي يستشف أهم ملامح وأبعاد وأهداف الحملة الأمريكية على الإرهاب والتي يتضح أنها تركز على محورين رئيسيين هما:

- **الاستمرارية:** وتتضح من خلال قوله أن حملته لن تنتهي إلا بالعثور على كل المنظمات الإرهابية في العالم، ولما كان هذا من المستحيل فهذه الحرب ستظل ذريعة الولايات المتحدة لأي ضربة توجهها لأي دولة في العالم خاصة وأن الإرهاب زئبقي لا يمكن تحديده ولا حتى مواجهته فما هو بالدولة ولا المنظمة ولا بالفرد الواضح، إنه كائن هلامي يتخفى وراء كل هذه الفواعل.
- **الشمولية:** ويتضح من خلال تأكيده على أن البداية ستكون بأفغانستان بحكم علاقتها بين لادن المتهم الأساسي في الأحداث. لكنها لن تنتهي هناك وهذا يعني أن الحرب الأمريكية ضد الإرهاب هي حرب عالمية طرفها الأول أمريكا ومن يتحالف معها والطرف الثاني كل من يمكن أن تضعه أمريكا في قائمتها السوداء حتى ولو كان كل دول العالم.

بالرغم من أن الدستور الأمريكي يجعل إعلان الحرب من صلاحيات الكونغرس بصفة عامة فقد فرضت 11 سبتمبر تعبئة شعبية سمحت للرئيس بذلك، خاصة أنه قد وجد تأييدا من إدارته (المحافظون الجدد) الذين شكلوا تيارا احتجاجيا يرفض ما آلت إليه الأمور في الولايات المتحدة خاصة ما اعتبروه تهديدا للهوية الأمريكية، والسبب الثاني لتولي الرئيس مهام هذه الحرب أنها تعكس السياسة الخارجية أو أنها ستكون محورا لها وتغطية للفراغ وفقدان الآخر الذي أثاره غياب الإتحاد السوفييتي، وللعلم الكونغرس سلطته تعتبر محدودة في مجال السياسة الخارجية فهو لا يقوم بدور المبادأة في إعدادها وصنع قراراتها فالكونغرس تركيب غير متجانس يعكس الشعب الأمريكي باتجاهاته المتباينة وليس تصور ذاتي عن فلسفة أو إستراتيجية قومية شاملة تحكم حركته وهذا يعني أن الكونغرس يتسم برد الفعل والاستجابة لمواقف السياسة الخارجية وليس المبادرة. لذلك اعتبر الرئيس الأمريكي منذ إدارة **جورج واشنطن** المدير الأساسي لشؤون الدولة الخارجية، وذلك لعدة اعتبارات منها توافر مصادر المعلومات لديه عن طريق جهاز الرئاسة والإدارات المعاونة والمخابرات المركزية الأمر الذي يمكنه من صنع مشروعات السياسات وبالتالي تتحقق له سلطة المبادرة.²

¹ - عادل محمد سليمان، "الحملة الأمريكية على الإرهاب خارج أفغانستان"، السياسة الدولية، العدد 148، أبريل 2002، ص 185.
² - هالة أبو بكر سعودي، "السياسة الأمريكية اتجاه الصراع الإسرائيلي 1968-1973"، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986)، ص 142-176.

فجأة أصبح العالم كله من وجهة النظر الأمريكية بعد 11 سبتمبر متهما بالإرهاب إلى أن يثبت العكس. وتستقيم هذه الفكرة مع ما تأخذ به الإدارة الأمريكية من تحميل كافة الأحداث على شناعة تنظيم القاعدة، والذي باسمه أيضا خلقت حربا عالمية ثالثة عرفت باسم "مذهب بوش" **Bush Doctrine** والذي اعتبر الترجمة الأمينة لفكر المحافظين الجدد، كما أنه البديل لغياب الاتحاد السوفيتي. فمذ انهيال المد الشيوعي ونخب السياسة الخارجية الأمريكية تواجه تحدي عدم وضوح العدو، وأيضا إبهام أهداف سياستها الخارجية فطوال فترة التسعينات ظلت السياسة الخارجية الأمريكية محصورة في ردود الأفعال لدرجة أن الرئيس **كلينتون** تحسر على أيام الحرب الباردة قائلا:¹

" Oh god, I miss the cold war " ويتلخص مذهب بوش الإبن في النقاط التالية:

1- الحرب ضد الإرهاب وضد الدول الداعمة له وذلك بتقسيم العالم إلى قسمين إما مع أمريكا أو مع الإرهاب **Either you are with USA or with terrorists** ! وهذا التقسيم لا يتم بالاختيار فمن ليس مع أمريكا ومع حربها فهو بالضرورة مع الإرهاب، وهو ذات المنطق الذي استخدمه أسامة بن لادن لإثارة حمية المسلمين، إذ صرح أن العالم أصبح ينقسم إلى فسطاطين أي فريقين: فريق الحق وفريق الباطل، وإن كان بوش الإبن يخاطب العالم أجمع لا جزء منه كما فعل بن لادن، وقد اعتمد بوش الإبن في حربه هذه على ثلاث ركائز أساسية من أجل كسب تأييد الرأي العام الأمريكي:

أولاهـا: فقدان المواطن الأمريكي البسيط الإحساس بالأمان والاستقرار الأمر الذي جعل من دعاة التريث بشأن هذه الحرب يلتزمون الصمت خاصة بعدما زج ببعضهم في السجون، كما أن هذا الإحساس بالأمان أعطى لبوش الابن شعبية كبيرة خاصة بعدما أطلق على حملته شعار "رئاسة قوية ضد الإرهاب"² فلقد كان بوش الابن طوق الأمان بالنسبة للشعب الأمريكي والقديس الذي سيقضي على شيطان الإرهاب.

ثانيها: اعتبار بوش الإبن خبرة الإدارات السابقة في التعامل مع الإرهاب محدودة ورد فعل **كلينتون** على هجمات 1993 و1996 الدبلوماسية فسر من قبل هذه التنظيمات الإرهابية على أنه ضعف أمريكي مما شجعها على ضربة 11 سبتمبر 2001.

ثالثها: موقف بعض الدول التي غيرت من موقفها اتجاه الحرب ضد الإرهاب لخدمة مصالحها، فمثلا روسيا تحفظت في البداية على ضرب أفغانستان تحسبا لمد الوجود العسكري الأمريكي إلى مجالها الحيوي المباشر في آسيا الوسطى والقوقاز وبالتالي محاصرتها وتصعيد المنافسة على بحر قزوين، لكنها

* يقال أيضا مبدأ بوش ولتحفظنا من الكلمة تجنبنا استعمالها فلفظ "مبدأ" يرمز لأمر قيمى أخلاقى إيجابى ونعت إستراتيجية بوش بالمبدأ هو حكم مسبق وجازم لإيجابياتها.

¹ - Oxford Analytica brief/<http://www.oxan.comsample-0.html/13/01/2008>

² - منار الشوربجي، " الحريات المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحادي عشر من أيلول(سبتمبر)"، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، 2002)، ص 2.

غيرت موقفها بسبب حرصها على إنهاء حرب الشيشان التي قادها مواطن سعودي هو سامر السويلم وكبدتها في أربع سنوات 9 آلاف قتيل، كما أن بعض الجمهوريات السوفيتية السابقة أعلنت تأييدها لأمريكا والذي من شأنه تهميش الموقف الروسي.¹

أعلن الرئيس بوش الابن في 14 مارس 2002 مقولته في مقاطعة كولومبيا: "في الحرب العالمية الثانية جاهدنا من أجل أن نجعل العالم أكثر سلامة، ثم عملنا لإعادة بنائه. كما أعلننا الحرب اليوم ليبقي العالم سالما وآمنا من الإجرام يجب علينا كذلك أن نجعل العالم مكانا أفضل لكل مواطنيه"² وعليه يعتبر بوش أن حربه ضد الإرهاب هي حرب هدفها الأسمى والوحيد هو السلم والأمن الدوليين وأن هذه الحرب لا تتوقف على المجابهة بالقوة العسكرية فقط بل يجب استئصال أسباب الإرهاب بدخول حرب أفكار كونية، فبوش يرى أن الدكتاتورية وقلة الوعي والفقر ومحدودية الثقافة والتعليم هي الأسباب الحقيقية للإرهاب ولطالما بقيت شعوب تعاني من هذه الآفات الاجتماعية بقي الإرهاب متأصلا في بعض دول العالم ومهدد لباقي الدول، من أجل ذلك اعتبر بوش أن نشر قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان خاصة الحقوق السياسية والدينية من شأنها خلق إنسان متحضر بعيد عن الهمجية والتوحش.

2- في خطابه السابق يقسم بوش الابن العالم إلى فريقين أو قطبين تعتبر أمريكا وحلفائها أحد أقطابه ليصبح الإرهاب القطب الثاني، وهي لهجة قوية لم تتعود عليها الساحة الدولية حتى أيام الحرب الباردة فهي محاولة لإحياء النزعة الإمبراطورية التي تحكم الفكر الأمريكي والتي يغذيها وجود المحافظين الجدد في سدة الحكم، والذين يؤمنون بالسيادة الأمريكية على العالم ومصداقية القيم الأمريكية، ولما كان بوش الابن من الأشخاص المتأثرين بمستشاريهم فقد عمد لاستعراض القوة العسكرية الأمريكية التي لا تجابهها حتى الآن قوة أخرى في العالم، أيضا نشر قيمها ولو بالقوة وذلك سعيا لأمركة العالم (Americanization).

3- يرى بوش الابن أن القضاء على الإرهاب لا يجب أن يعتمد على رد الفعل فقط بل لابد من اتخاذ الإجراءات الوقائية لتجنب هذا الأخطبوط وهذا ما عبر عنه في جانفي 2002 "لن أنتظر الأحداث بينما الخطر يقترب أكثر فأكثر... إن حربا على الإرهاب قد بدأت ... فقد دعا التاريخ أمريكا وحلفائها للعمل وإنما لمسؤوليتنا أن نقاتل في معركة الحرية"³ لقد اعتبر بوش الابن أن أحداث سبتمبر فرصة منحها له التاريخ للدفاع عن الحرية - كما يرى ذلك- وأن الخطر الجديد يحمل أخطارا تهدد البشرية خاصة وأنه بالنسبة لبوش الابن سيستعمل أسلحة الدمار الشامل الشيء الذي يبرر بل ويوجب استباق الفعل وعدم ترك فرصة الضربة الأولى لهذا العدو.

¹ - نبهية الأصفهاني، "أبعاد التقارب الروسي-الأمريكي بعد أحداث 11 سبتمبر"، السياسة الدولية، العدد 147، جانفي 2002، ص 118-119.

² - The National Security of the United States of America, September 2002, p 21.

³ - Kebert Jervis, Understanding The Bush Doctrine/ web65.rallins.edu/~ebouris/jervis.%20r.pdf.

و تجدر الإشارة إلى أن أحداث 11 سبتمبر 2001 قد اعتبرت لحظة فارقة في تاريخ البشرية و كيف لا وقد قسم العالم إلى فسطاطين حسب تعبير أسامة بن لادن أو فريقين فريق الخير و فريق الشر بحسب تعبير الرئيس بوش الابن و أيا كانت التسمية فالنتيجة واحدة هي عدم التمييز بين الإسلام و الإرهاب، و إن كانت الأصولية الإسلامية هي التي في الواجهة غير أنه في الحقيقة تحول معظم المسلمين إلى أصوليين و معظم الأصوليين إلى إرهابيين و بالتالي كل المسلمين إرهابيين.

و بالرغم من أن بداية الإرهاب الدولي ارتبطت باختطاف إسرائيل لطائرة مدنية سورية في ديسمبر 1954 إلى مطار "اللد" لإجبار السلطات السورية على إطلاق بعض جنودها المدانين بتهمة التجسس، مما يعني أن جذور الإرهاب لا هي عربية و لا إسلامية. فقد ظل الخلط و الربط بين الإرهاب و الإسلام خاصة بعد تفجير الثورة الإيرانية التي بدأت مسيرتها باحتجاز 52 رهينة أمريكية لمدة 444 يوما. كما تبنت فكرة تصدير الثورة إلى الخارج مما أثر على الاستقرار السياسي لدول عربية كثيرة، و بالرغم من الانفتاح السياسي بعد وفاة الخميني في عام 1989 إلا أن الصورة الأمريكية للربط بين الإسلام و الإرهاب لم تتغير.¹

و بالرغم من أن الأصولية الإسلامية لم تكن بالمحور الجوهري و المتجذر في العلاقات العربية الأمريكية قبل 11 سبتمبر على اعتبار أن الولايات المتحدة لم تكن ترى في هذه الظاهرة الإسلامية أكثر من ظاهرة خاصة بالعالم الثالث لا تستحق أكثر من قراءة واقعها لا تحليلها كظاهرة، ضف على ذلك أن المصالح الأمريكية دعتها قبل هذه الأحداث إلى التحالف مع بعض فصائل الإسلام السياسي في أفغانستان ضد السوفييت أيام كانت تراهم مجاهدين عرب و الذين شكلوا فيما بعد النواة الصلبة لتشكيل تنظيم القاعدة، و لوجود بن لادن الذي تحول في الفكر العربي إلى بطل ورمز لمقاومة الغطرسة الأمريكية.²

فبعد إعلان الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب ميلاد نظام دولي جديد أهم ميزاته أقول العدو التقليدي للولايات المتحدة وهو الجيش الأحمر طرح "صاموئيل هنتون" "الجيش الأخضر" (الإسلام) كعدو بديل للفكر الغربي، وقد جاء ذلك في مقولته " إن الفرق بين الحضارات ليست فروق حقيقية فحسب بل هي فروق أساسية أيضا فالحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى بالتاريخ والأهم بالدين [...] ليس صحيحا أن الإسلام لا يشكل خطرا على الغرب وإن المتطرفين الإسلاميين فقط هم الخطر ، إن

¹ - فواز جرجس ، "الأمريكيون و الإسلام السياسي - تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الأمريكية الخارجية -"، المستقبل العربي ، السنة 19، العدد 217 ، مارس 1997 ، ص 10-11.

² - عمرو الشوق ، " مستقبل حركات الإسلام السياسي " ، السياسة الدولية، العدد 148، أبريل 2002 ، ص 67.

تاريخ الإسلام خلال أربعة عشر عاما يؤكد أنه خطر على أية حضارة واجهها خاصة المسيحية".¹ لذلك أكد الفكر الغربي في هذه الفترة على أن انهيار المد الشيوعي إما أن يؤدي إلى تقوية الإسلام و الصحو الإسلامية ، أو يؤدي إلى وقوع تنافس بين القوى الإمبريالية الغربية ، من أجل ذلك عمدت الدوائر الغربية على إبعاد الإسلام كقيم و قوانين و معتقدات من النظام الدولي الجديد. و هذا ما جاء في مذكرة ألويسون بمعهد الدراسات الإستراتيجية التابع لكلية الحرب في كارلاسل بولاية بنسلفانيا الأمريكية و عليه مجمل أولويات الغرب على ضوء النظام الدولي الجديد تمثلت في نقطتين :²

• دعم الفكر الليبرالي العلماني

• مباركة النظم التي تمنع قيام نظام حكم إسلامي.

ومع ذلك فقد ظلت ظاهرة الإرهاب ظاهرة خاصة اعتبرت الولايات المتحدة نتيجة حتمية لضعف شرعية الأنظمة الحاكمة في الكثير من الدول كالجرائم مثلا وذلك على الرغم من أنها (الولايات المتحدة) قد عرفت العديد من الاعتداءات الإرهابية.

وجاء 11 سبتمبر 2001 اليوم الذي قال عنه "ريتشارديوليت" الأستاذ بجامعة كولومبيا " سيجيء يوم لا يعود الأمريكيون يشعرون بالحاجة لدليل ليؤمنوا بوجود تهديد إرهابي شامل يأتيهم من الإسلاميين المتعصبين دينيا " ³ اليوم الذي جعل الولايات المتحدة تنظر بجدية أكثر لهذه الحركات و للخطر الذي بإمكانه تشكيله عليها إذا توحدت في شكل شبكة إرهابية عالمية يمثل تنظيم القاعدة صورة مبدئية لها.

من أجل ذلك عمل بوش الابن وإدارته على تجاوز معرفة الشخص المدبر أو المجموعة المرتكبة للأحداث بل عملوا " على تصويره ضمن منظور إيديولوجي يجعل كل من ينتمي إلى الخط الفكري و التوجه السياسي و الفهم الديني لبني لادن ، متهما محتملا و عرضة للملاحقة ، أي أن الحرب على الإرهاب ليست حربا على مجموعة خاصة أو تجمع محدد ، و إنما حرب على نوع حملة على إنتماء ، هجوم على موقف . في هذا المعنى تأخذ الحرب عمقها الثقافي و الفكري كما تأخذ مداها السياسي و الاقتصادي وهي بذلك تلامس أساس العلاقة بين الإسلام و الغرب و تشير إلى حقيقة التجاذب و التنافر القائمة بين الكيانين ، و تكشف إمكان الحوار أو الصدام بين الحضارات ، ومدى سعة العالم الجديد في استيعاب صور الحياة و تنوع التجارب الإنسانية".⁴

وبالرغم من محاولة بوش الابن إعلان احترامه للدين الإسلامي ، و أن ما يقوم به الإرهاب ما هو إلا تشويه للإسلام ، كما جاءت خطبته في المركز الإسلامي بواشنطن فاصلة في المقارنة بين الإسلام

¹ - أحمد بيضون و آخرون، المرجع السابق، ص 13.

² - نفس المرجع، ص 13.

³ - فواز جرجس، المرجع السابق، ص 15.

⁴ - وجيه قانصو، "الإسلام و الغرب بعد 11 أيلول/سبتمبر"، شؤون الأوسط، العدد 105 ، شتاء 2002 ، ص 81 - 82.

الذي يمثل السلم و بين الإرهاب الذي يمثل الشر و الحرب ، وأكد ومعه بعض أعضاء إدارته أمثال **وولفيتز** استهجاناً لفكرة الصدام الحتمي بين الحضارة الغربية و الإسلامية مع الإقرار بوجود فجوة خطيرة بينهما ، إلا أن هذا الموقف لم يكن بالحقيقي و هو ما يجسده موقف الولايات المتحدة بعد 11 سبتمبر من مسلمي أمريكا أو حتى حربها على الإرهاب الذي يعتبر معظم إن لم نقل كل مستهدف فيها من العرب و المسلمين. وعليه يمكن القول أن أحداث سبتمبر لم تخلق عداً بين الغرب بوجه عام و أمريكا بالخصوص و بين الإسلام، بل هو عداً متوارث منذ مئات السنين ابتداء بالحروب الصليبية و ها هو اليوم يتجسد في فكرة الإسلام العدو البديل عن الشيوعية ، وبالتالي فأحداث سبتمبر بررت العداً و لم تخلقه.

2- _____ :

بالرجوع إلى الجذور الأصلية لفكرة الحرب العادلة كمبدأ أو نظرية يظهر جلياً أن العقيدة المسيحية بشكليها الكاثوليكي و البروتستانتي مثلت هذه الجذور، وبالرغم من ظهور العديد من المواثيق الدولية التي ساهمت في تطوير هذه النظرية إلا أن البعد الديني يظل أساس مفهوم الحرب العادلة، وعليه فدراسة موقف الحرب العادلة من مذهب أو فكر **بوش الابن** ما هو إلا دراسة لموقع الجانب الديني في هذا الفكر فما تأثير الدين في التوجه السياسي لبوش الابن ؟

تأثر بوش الابن بفكر جده جورج بوش (1876 – 1959) و الذي يعد من أشد الحاقدين على الإسلام و نبيه صلى الله عليه و سلم بالذات. كما كتب في شروح العهد القديم و يعد كتابه " **وادي الرؤى- إحياء رميم إسرائيل** " - **Valley of Vision Bones of Israel** من أبرز ما كتب في ذلك الحين عن المسيحية الصهيونية الداعية إلى ضرورة العمل من أجل تجميع يهود العالم في فلسطين و تدمير امبراطورية " **الساسازان** " * . و بالرغم من أن بوش الابن كان يعيش حياة التخلل إلا أن تأثره بالقس " **بيلي غراهام** " - و هو من أبرز وجوه اليمين المسيحي الصهيوني في الولايات المتحدة- نقله نقلة جذرية من حياة الإدمان إلى الأصولية المسيحية المتصهينة و كما قال عنه بوش الابن: " **إنه الرجل الذي قادني إلى الرب** " ¹ ، ولأنه من غربي تكساس فعل ما يفعله عادة أبناء المنطقة في الأيام العصيبة فقد انظم إلى مجموعة غير طائفية لدراسة الكتاب المقدس والتي تحولت فيما بعد إلى ما يشبه معسكر تدريب ديني إذ كان عبارة عن دراسة مكثفة على امتداد سنة لإنجيل واحد من العهد القديم، مع تناول فصل جديد كل أسبوع مما أثر على شخصيته حيث ترسخت في ذهنه فكرة معرفة **المسيح عيسى** كصديق وفي هذا صرح **بوش الابن** وهو يتحدث يوماً عن إحدى سفاراته مع زوجته لإسرائيل إذ يقول " **قد قمنا بزيارة**

* وهو الاسم الذي يطلقه الصليبيون أو أوروبيو القرون الوسطى على العرب و المسلمين وكان الرومان يطلقونه على بعض رعاياهم تحقيراً.
¹ - إريك لوران، " **عالم بوش السري - الديانة و المعتقدات، الأعمال و الشبكات الخفية** " [1] تر: سوزان فازان، (بيروت: دار الخيال، 2003)، ص 11 - 13.

الحائط الغربي وكنيسة القيامة المقدسة وذهبنا إلى بحر الجليل ووقفنا على قمة التل حيث ألقى المسيح موعظته من فورة الحياة وكان شعورا استحوذ على كل ملكاتي أن أقف في نفس المكان الذي أقيت منه أشهر موعظة في تاريخ العالم، المكان الذي رسم السيد المسيح شخصية وسلوك المؤمن وأعطى الحواريين الغبطة، والقانون الذهبي وصلاة الرب".¹

وعليه يمكن القول أن الدين في حياة بوش قد أثر في شخصيته وحتى في توجهاته السياسية فقد اعتبره الوسيلة الوحيدة التي أوصلته إلى البيت الأبيض حيث قال "لولا تأثير الصلاة علي لكنت الآن في أحد مواخير تكساس لا في البيت الأبيض"، وهو التوجه الذي أدركه اليمين الديني المتصهين (المحافظون الجدد) منذ ترشحه للرئاسيات فكان السبب الرئيسي لمساندته أمام منافسيه سواء داخل الحزب الجمهوري أو بعد الفوز بتمثيل الحزب. ولتوضيح فكر الرئيس بوش الإبن وتوجهاته أكثر، يرى العديد من الباحثين أن بوش الإبن من المتأثرين بفكر الفيلسوف "ليوشتراوس" الذي استعاد فلسفة أفلاطون التي تركز على تفوق النخب حيث يقول ليوشتراوس "إن الحقائق الأساسية عن التاريخ والمجتمعات الإنسانية يجب أن تمسك بها النخب وحدها وأن يقصى عنها الآخرون الذين لا يملكون القدرة على تحمل المكاره والصعوبات من جراء التعامل مع الحقيقة، ولذلك كانت الحقيقة عند أفلاطون أصعب من أن يتحملها الناس العاديون وإن التطلع التقليدي نحو الحقيقة باعتبارها هدفا إنسانيا أمر لا يمكن الوصول إليه، لذا كان لابد من إغراق الناس بالأكاذيب حول طبيعة الحقيقة السياسية، أما النخب فهي وحدها قادرة على تمييز الحقيقة وعلى أن تحتفظ بها لنفسها، الأمر الذي يعطيها معرفة أعمق وقوة أكبر من تلك التي يملكها الآخرون".²

كل هذه المؤثرات خلقت جورج بوش جديد وقلبت حياته من الإدمان إلى الإيمان مما أثر على حياته السياسية ويظهر ذلك في الكتاب الذي ألفه قبل حملته الانتخابية لفترة رئاسته الأولى 2000 والذي عنوانه بـ "مهمة للأداء - لأحقق إرادة خالقي"، والذي أبرز فيه سبب ترشحه لرئاسة الولايات المتحدة وهو سبيله لأداء رسالة دينية وأنه بذلك سيكون بمثابة مبعوث إلهي جديد للأرض. كما يبين الكتاب تأثير بوش ومن دعموه من قساوسة ومن بينهم راعي كنيسة أوستن في ولاية تكساس بالفكر المسيحي والكتاب المقدس وأيضا بالتراث الديني اليهودي وتاريخ بني إسرائيل.³

¹ - مقال بدون مؤلف، "بوش يلقى التمهيد للسيد المسيح عليه السلام"، نقلا عن: <http://www.aldor.com/vb/showthread/?14/03/2008>

² - راكان المجالي، "الخلفيات الدينية واليمينية لخطاب بوش عن حالة الاتحاد" نقلا عن: <http://www.alarabnews.com/alshaab/11-02-2005/24.htm/10/04/2008>

³ - عادل المعلم، "الأصولية الإسلامية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله" نقلا عن: <http://www.alarabnews.com/14/03/2008>

يذهب الكاتب الإنجليزي " غلبرت كيه تشيسترتون" إلى أن أمريكا "أمة بروح كنيسة" فكل رئيس تولى حكمها بمثابة قس يلقي على المنبر عظات توعدية، غير أن الإدارة الحالية أو إدارة المحافظون الجدد بدت راسخة في الإيمان، وإن كان هذا يرجع إلى طبيعة الإدارة بحد ذاتها سواء بوش الابن الذي تبين من خلال ما سبق تأثير التوجه الديني على شخصيته أو مستشاريه الذين يشكلون تيار ديني متعصب، إلا أن ما كان لكل هذا أن يبرز بهذا الوضوح والفعالية لو لم تكن هناك أحداث 11 سبتمبر 2001 التي سمحت لبوش الابن ومعاونيه أن يوظفوا توجههم الديني ويستغلونه في حربهم المزعومة على الإرهاب بكل علنية.

لقد تسرع بوش الابن بوصف حربه ضد الإرهاب بـ "الحرب الصليبية" وبالرغم من إعلان معاونيه بأنها زلة لسان وبالرغم من تراجع بوش الابن نفسه عن هذا التوصيف الديني بحكم خطورته على الحرب ضد الإرهاب من جانب التحالف الدولي نظرا لتخوف الدول من رجوع هذه الحروب، كما أن اعتماد السياسات الخارجية على عامل الدين فكرة بالأساس غير جديرة بالتقدير وفي هذا يقول « Michael Walzer » "إننا بحاجة إلى أخذ حذرنا من الدين، لأنه إذا تحول إلى تصلب في الرأي، وهو ما نراه حاليا، فإنه سيتجه إلى الهيمنة على الأخلاقيات والقيم"¹ بالرغم من كل هذا فإن زلة اللسان هذه كشفت عن توجه ثقافي أنشأ هذا الخلط الشائع بين العنف والدين الإسلامي.

بعد ثلاثة أيام من أحداث 11 سبتمبر خطب بوش في الكاتدرائية الوطنية في واشنطن فقال (مسؤوليتنا أمام التاريخ واضحة: الرد على هذه الهجمات وتخليص العالم من الشر) وفي خطاب ألقاه في مقر التحقيقات الفيدرالي في 25 سبتمبر 2001 جاء فيه (إن الأشخاص الذين هاجموا أمريكا والذين ربما يخططون لمزيد من الهجمات هم أناس أشرار لا يمثلون إيديولوجيا، كما هم لا يمثلون مجموعة سياسية شرعية من الناس لأنه شر مطلق، فكل ما يمكنهم التفكير فيه هو الشر وبما أننا أمة طيبة فسوف نقوم باصطيادهم)².

لقد أكد بوش الابن من جديد وبلهجة مغايرة سبب وجوده في البيت الأبيض وسبب وجود وقوة الولايات المتحدة، إنها الرسالة الإلهية التي كلفهما الرب بها وهي "تخليص العالم من الأشرار" وأن كل ما فعلته أمريكا قبل مجيئه للحكم في مجال مكافحة الإرهاب ما هو إلا تجسيد لهذه الفكرة الرسالية، وبذلك أعاد

¹ -Laurie Calhoun, Michael Walzer : Just and Unjust War theory's critical, edge/http://www.independent.org/pdf/tir/tir_103_08_calhoun.pdf.

² - جيمس بوفارد، "خيانة بوش - سحق الحرية والعدالة والسلام بحجة تخليص العالم من الإرهاب"، ترجمة مركز التعريب والترجمة، (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006)، ص 24.

بوش الابن المقاربة المانوية بتقسيمه العالم إلى عالم الخير وعالم الشر في مقولته " من ليس معنا فهو ضدنا ومع الإرهابيين".

وهذا دليل على أن بوش الملتحق بالكنيسة الميثودية هو الذي يحكم أمريكا وليس بوش السياسي المحنك فكيف برئيس أكبر دولة في العالم أن يخير الجميع أن يكونوا من أتباعه أو من أعدائه ويلغي بذلك فكرة اعترافه بالأصدقاء وبالتالي فهو يطلب من كل العالم أن يكونوا أعداءه.

تعد نظرية الحرب العادلة تجسيدا للمقاربة المانوية وهو ما حاول بوش الابن استلهاه من العصور اللاهوتية لتبرير الحرب ضد الإرهاب ففي حديثه عن هذه الحرب يقول "ليس الرب حياديا"،¹ وهي عبارة تلخص ما جاء به القديس أغسطين لتبريره للحرب "إنها مشيئة الرب" فالرب حسب بوش الابن لا يقف على الحياد في معركة الخير والشر فهو دائما مع الخير، وبالتالي فهو دائما مع أمريكا في كل ما تقوم به مادامت تحمل على أعناقها الرسالة الإلهية في تخليص العالم من الشرور. ولما كانت المنظمات الإرهابية تهدد سلم وأمن الأمم كان واجبا على أمريكا المسؤولية سواء أمام الله أو أمام الشعوب بحكم قوتها وقدرتها تخلص العالم من هذه الجماعات وفي هذا يقول بوش الابن "لقد مضت ثلاثة أيام من هذه الأحداث والأمريكيون لا يملكون مسافة التاريخ لكن مسؤوليتنا للتاريخ هي واضحة مسبقا في مواجهة هذه الهجمات وإزالة عالم الشر. لقد أعلنت الحرب ضدنا من طرف الخيانة والجريمة، هذه الأمة هي سلمية ولكنها شرسة عندما تهيج إلى الغضب، لقد بدأ الصراع على زمن وعلاقات الآخرين سوف تنتهي في طريق وساعة من اختيارنا"²

وإن كان هذا الخطاب لا يبرر إعلان الولايات المتحدة قيادتها للعالم ومسؤوليتها على رد أي شر يلحق بشعوبها فقط، بل يثبت أيضا عدالة القضية الأمريكية وحسن نواياها في حربها والتي يوجزها بوش الابن في إعلاء الخير والقضاء على الشر.

وعلى العموم إن الحرب العادلة كمبدأ تتجسد في فكر بوش الابن من خلال ركيزتين:

❖ **أمريكا أمة قيادية:** بمعنى أن شر مثل الإرهاب لم يكن لتواجهه أية دولة أخرى عدا أمريكا بحكم قيادتها المنفردة للعالم بعد الحرب الباردة وبالتالي تصبح لها شرعية تحمل مسؤولية هذه الحرب.

¹ - أريك لوران، المرجع السابق، الصفحة 13.

² - The National Security of the United State of America, September 2002, p 5 .

❖ **الهدف السامى الأمريكى:** يظهر بوش في معظم تصريحاته أنه لا يتوخى من هذه الحرب غير تحقيق السلم والأمن الدوليين، ولطالما كانت نية استعمال الشر هي مقاومة شر أكبر يهدد العالم أجمع فإن حربه حرب مشروعة وعادلة.

يبقى أن نقول أن اعترافات بوش الابن بأنه يحمل رسالة إلهية وبأن الرب أسر له بأن يحتل أفغانستان والعراق وقد يحمله ربه عبئ محاربة دول أخرى، هذه الاعترافات لا تدل على غير تدخل الرب في سلوك بوش الابن السياسي والعسكري، وهنا يدخل بوش العالم أجمع في خيارين من جديد إما الإيمان بمسيحيانية بوش فتعتبر حروبه حروبا صليبية ربانية عادلة وإما الإدراك بأن الهذيان الديني يتحكم في رجل يتحكم بدوره في مصائر الشعوب.

على العموم يظل بوش الابن رئيس أكبر دولة في العالم خطرا يتفاقم على المجتمع الدولي برمته، كيف لا وهو شخصية تابعة تقودها إما الوالدة بربرا أو الزوجة لورا والأخطر طاقم المقربين منه سياسيا، والأدهى أنه شخصية ذات ميول صوفية يحكمها اعتقاد راسخ بأن الأذى لا يصيبه لأن الرب إلى جانبه لا يخذله مما يجعله يقوم بأية مغامرة معتقدا بأنه سيخرج منها سالما. فهل ستقود صوفية ونبوة بوش الابن للاعتقاد أن الرب يأمره باستخدام الأسلحة النووية للقضاء على الأشرار في العالم ؟ !!!

المبحث الرابع: الحرب العادلة في الفكر الاستراتيجي الأمريكي

فور أحداث 11 سبتمبر 2001 قفزت إلى ذاكرة المسؤولين والعسكريين وحتى المواطنين الأمريكيين أحداث بيرل هاربر 1941 و إن كان المواطن البسيط استذكر ألم الضربة من حيث انتهاك السيادة الأمريكية فإن المسؤول والعسكري يزدان على ذلك بالتحول والتطور في مسار الحرب من منظور التخطيط الاستراتيجي الذي أحدثه الرد الأمريكي على الضربة اليابانية بالقنبلة الذرية في 06 أوت 1945 هذا التحول في الجانب التكتيكي الذي أوجدته الطاقة التدميرية للسلاح النووي أحدث ثورة في الفكر الإستراتيجي الأمريكي وقد ظل الرؤساء الأمريكيين المتعاقبين بعد تلك الأحداث يعملون على تطوير إستراتيجية تتطوي على توازن بين عاملين وقوتين إحداهما تقليدية والأخرى نووية.

لقد ظلت الدوائر السياسية والإستراتيجية الأمريكية تتأرجح بين فاعلين وكانت الساحة الدولية هي التي تفرض قوة فاعل على الآخر إلى أن جاءت ضربة سبتمبر 2001 لتدخل الساحة الإستراتيجية عامل ثالث لا يقل أهمية في المعادلة الإستراتيجية عن العاملين السابقين هو "الإرهاب". فعلى إثر أحداث 11 سبتمبر 2001 كان السؤال الذي واجهته إدارة بوش الابن "ما هي السياسة الدفاعية الفعالة والمنطقية لمواجهة خطر الإرهاب كعدو استراتيجي غير مسبوق في تاريخ العلاقات الدولية؟".

1- الاستراتيجية الاستباقية الأمريكية:

أحدثت الضربة الأمريكية في أوت 1945 على مدينة هيروشيما اليابانية بداية للعصر الذري وثورة في الشؤون الإستراتيجية، نجم عنها تعقيدا وحيرة للمفكرين والإستراتيجيين الأمريكيين انصبحت حول كيفية الموازنة بين الأسلحة التقليدية والنووية، هذه المشكلة طرحت العديد من القضايا كصياغة عقيدة عسكرية للاستخدام الإستراتيجي والتكتيكي للأسلحة النووية، وتطوير التقنية والبرامج اللازمة لتطبيق تلك العقيدة العسكرية، وتخصيص الموارد بين القوات التقليدية والنووية بل وبين الأسلحة النووية وكل فرع من فروع القوات التقليدية ، وتقويم انعكاسات الإستراتيجية النووية على الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وقد ظلت هذه التحديات محور إستراتيجية فعالة تعكس هذا التطور الذي أحدثته الأسلحة النووية.¹

¹ - Steven Metz, «Asymmetry and U.S.Military : Definition, Back ground, and straregic concepts » , /www.strategic studies institute.army.mil/pdf files/PUB223.pdf.

ولما كانت السياسة الخارجية لأي دولة تنطلق من مجموعة من العوامل أبرزها رؤية صانعي القرار لطبيعة العلاقات الممكنة بين الدول لتلعب كل العوامل الأخرى دورها ضمن دائرة الممكن تلك. أخذت السياسة الدفاعية الأمريكية في عهد "ريغان" منحى آخر يعد برنامج **الدرع الدفاعي الصاروخي** أو ما عرف **بمبادرة الدفاع الإستراتيجي (SDI)** أهم ما قامت به إدارة ريغان. والذي يعد انهيار الإتحاد السوفييتي في أوائل التسعينات أهم نتويع لسياسة الاحتواء التي اتبعتها وفي حين أن بعض المؤرخين يعزّون لسياسة ريغان التعجيل بانتهاء الحرب الباردة إن لم تكن سبب من أسبابها فإن إستراتيجيته الدفاعية القومية كما هي إستراتيجية من سبقوه على الرئاسة قد حددت رؤيته فيما يتعلق بالتوازن السليم بين

2- كريم حجاج، "ملاحم الاستراتيجية الأمريكية"، السياسة الدولية، العدد 127، 1997، ص 69-70.

ولأن حماية الأمن القومي من أي خطر خارجي هاجس قديم عرفتة الولايات المتحدة وكان ذريعتها أمام استمالة الرأي العام الأمريكي في كل حروبها وقراراتها الخارجية، اتخذت إدارة بوش الابن من الأمن القومي ستارا لتغطية حربها على الإرهاب، التي اعتبرتها ذريعة لإعلان تحولات إستراتيجية لا تقل أهمية عما أحدثته تفجير القنبلة الذرية في هيروشيما، فكما ألغى أوت 1945 الإستراتيجية الدفاعية التي كانت سائدة آنذاك أبطلت أحداث سبتمبر ما كان ساريا قبلها من إستراتيجية دفاعية، وبالرغم من أن إيجاد

$.34 - .33 \square$

توازن بين القوتين التقليدية والنووية و دخول الإرهاب كبعد ثالث يستحق الدراسة والأهمية في الفكر الإستراتيجي الأمريكي، ذلك أن الأمريكيين اقتنعوا بأنهم لم يعودوا بمأمن من الهجمات الخارجية بسبب الموقع الجغرافي، وبالرغم من أن الإرهاب كتكتيك ليس بالظاهرة الجديدة فقد عرفه العمل السياسي منذ أيام الحشاشين وصولاً إلى الفوضويين في روسيا. كما أن الشعوب قد اكتوت بنيرانه على مدى قرون من الزمان، إلا أن أحداث سبتمبر أظهرت استعداد مرتكبيها لشنه بأشكال إستراتيجية جديدة مما يتطلب طريقة جديدة وتقنيات متطورة لمواجهته، لأجل ذلك قدم الرئيس بوش الابن إستراتيجية للتصدي لهذه التهديدات المتعددة الجوانب وذلك في خطبة ألقاها في جوان 2002 بكلية "ويست بوينت" العسكرية، فعلى خلفية انتهاء الحرب الباردة خاطب طلاب الكلية قائلاً: "لقسم كبير من القرن الماضي كان الدفاع عن أمريكا يعتمد على مبدأ الردع والاحتواء في الحرب الباردة وفي بعض الحالات ستطبق هذه الإستراتيجيات، لكن أخطار جديدة تتطلب تفكير جديداً، فالردع - أي الوعد بانتقام شامل ضد دول - لا يعني شيئاً ضد شبكات إرهابية مبهمة حيث لا دول أو مواطنين للدفاع عنهم. والاحتواء غير ممكن حينما يملك طغاة غير متوازنين عقلياً أسلحة للتدمير الشامل يمكنهم إطلاقها بواسطة صواريخ أو أن يزودوا بها سرا حلفاء إرهابيين لهم... فإذا ما انتظرنا حتى نتحقق هذه الأخطار مادياً فسنكون قد أطلنا انتظارنا أكثر مما يلزم".¹

ولخوض هذا النوع الجديد من الحروب داخل الولايات المتحدة وخارجها حدد بوش الابن إستراتيجية الحرب الإستباقية والتي تعد الوجه الإستراتيجي لمذهب بوش الابن حيث مضى قائلاً: "الحرب ضد الخوف (الرعب) لن تكسب بالدفاع يجب أن ننقل المعركة إلى أرض العدو وأن نربك خطته ونواجه أسوأ الأخطار قبل أن تبرز [. . .] إذا ما انتظرنا حتى تستكمل التهديدات استعدادها، فمعنى ذلك قد انتظرنا أكثر من اللازم، ويتطلب أمننا أن يتحلى جميع الأمريكيين ببعد النظر والعزيمة، وأن نكون مستعدين للقيام بعمل استباقي".²

وقد نشرت تفاصيل الحرب الإستباقية الأمريكية في وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي 2002 والتي تعتبر أن اختلاف العدو عما هو مألوف يحتم على الدفاع الأمريكي تكتيكات متغيرة: "بقدر ما يكبر التهديد يكبر خطر الجمود ويزداد الأمر إقناعاً لاتخاذ إجراء استباقي للدفاع عن أنفسنا، حتى لو بقي الشك محيطاً بزمان ومكان هجوم العدو، وإلحباط أو منع أعمال عدائية يأتي بها خصومنا ستتصرف الولايات المتحدة على نحو استباقي إذا لزم الأمر".³

¹ - نصير عاروري، المرجع السابق، ص 236.

² - Philippe Mareau, « La guerre préventive », défense nationale, 58 année ; octobre 2002 ; p. 228- 229.

³ - بنجامين ر. باربر، "امبراطورية الخوف، الحرب والإرهاب والديمقراطية"، تر: عمر الأيوبي، (بيروت: دار الكتاب العربي، 2005)، ص 80.

كما ويذهب إستراتيجيو أمريكا إلى مناقشة ما يكفله القانون الدولي من حق الدول في العمل ضد خطر من "هجمات وشيكة" ويقترحون إعادة النظر في تفسير كلمة "وشيكة"، ذلك أنها لا تنمى والطبيعة الثورية للعدو الإرهابي، فقد جاء في ذات الوثيقة "ينبغي أن نكيف مفهوم التهديد الوشيك مع مقدرات وأهداف أعداء اليوم. فكلما كان التهديد أكبر كلما ازدادت مخاطر زمان ومكان هجوم العدو، فإن الولايات المتحدة سوف تشن الضربة الأولى ضد الإرهابيين ومن يأويهم بعلم منه، أو يقدم لهم المساعدة".¹

وللإشارة أن القول بالحرب الإستباقية في عقيدة بوش لا يعني أنها وليدة هذا المذهب ولا هي انعكاس لأحداث 11 سبتمبر فقط فللإستباق إرهابيات في التاريخ الأمريكي وإن كان هناك تداخل في السابق بين الحرب الإستباقية والحرب الوقائية والتي عرفها المفكر الإستراتيجي "بيرنارد برودي" في أواخر الخمسينات بأنها "هجوم مدبر مسبقاً تقوم به دولة ضد أخرى، وهو عمل غير مبرر لأنه لم ينتظر وقوع اعتداء محدد، أو أي عمل علني آخر من جانب الدولة المستهدفة" وفي أواخر الأربعينيات كان بعض مسؤولي وزارة الدفاع الأمريكية قد طرحوا خيار الحرب الوقائية ولكن هذه السياسة لم تجد تأييداً كافياً، وأعلنت إدارة ترومان أن الولايات المتحدة لن تقوم بشن الضربة الأولى ما لم يثبت بالدليل القاطع أن تلك الضربة هي هجوم مضاد على ضربة في طريقها للوقوع أو يجري العمل لشنها.² بمعنى آخر لن تكون هناك حرب وقائية وظلت الحرب الإستباقية هي البديل وزادت الأسلحة الحديثة من أهمية استغلال المزايا العسكرية لشن الضربة الأولى. وهذا ما دفع الولايات المتحدة من توخي الحذر لكي تضرب بكامل ثقلها فور تعرضها لهجوم، وإن أمكن فعلياً توجيه تلك الضربة قبل أن يقوم الإتحاد السوفييتي بتوجيهها فعلياً. كما أن فحوى وثيقة الأمن القومي الأمريكي تضرب جذورها قبل بوش الابن فقد أعد اليهودي الليكودي "بول فولفوفيتش" نائب وزير الحرب الأمريكي عام 1991 "دليل الأمن القومي" الأمريكي أكد فيه فكرتين:

- 1- أن حلفاء أمريكا هم منافسون محتملون لآبد من منعهم من الطموح إلى دور إقليمي أو عالمي أكبر مما ينبغي.
- 2- أن التدخل العسكري الأمريكي سمة ملازمة للشؤون الدولية. ورافق ذلك زيادة الانفاق العسكري لتصعيد القدرة التكنولوجية الهائلة للعسكرية الأمريكية على الرغم من انهيار الإتحاد السوفييتي واستفراد الولايات المتحدة بالعالم.³

¹ - محمد بوبوش، "الموقف الأمريكي من القانون الدولي"، المرجع السابق.

² - هاري س. لافر، "الحرب الإستباقية وتطور الإستراتيجية الدفاعية الأمريكية"، نقلاً عن:

<http://www.KKmaq.gov.sa/Detail.asp?InNewsItemID=209151/04/02/2008>

³ - غازي حسين، "العرب والعالم اليوم"، (دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 2005)، ص 35.

كما أن شخصيات أمثال ديك تشيني وسكوتر ليفي وريتشارد دبرل اشتغلت على هذه الوثيقة عام 1992. في أواخر عهد الرئيس جورج بوش الأب وقد رفضها آنذاك واعتبرها تذهب إلى الحد الأقصى في إطار العلاقات الدولية، وغير مقبولة في تلك الفترة بالذات التي كانت فيها أمريكا تعلن عن النظام الدولي الجديد.¹

ظلت إستراتيجية الأمن القومي القائمة على الحرب الإستباقية التي تبلورت قبل هجمات 11 سبتمبر حبيسة التخوف والبحث عن أسباب مقنعة لإعلانها حتى جاءت أحداث واشنطن- نيويورك لتكون المبرر المقنع لها. فقد أعفت نظرية الحروب الإستباقية الولايات المتحدة من تقديم المبررات في الحروب التي تشنها بحجة الدفاع عن النفس أو ضد أخطار محتملة كما فعلت ذلك في حروبها السابقة، من محاولة لترسيخ حقها في نشر القوات في الدستور كقرار خليج تونكين الذي أسبغ الشرعية على حرب فيتنام - وإن كانت في حربها اليوم لا تلجأ لا للقانون الدولي ولا للشرعية الدولية.

على العموم وثيقة 2002 أحدثت انقلاب ملحوظ في الإجماع الوطني الرافض للحرب الوقائية خلال الخمسينات حيث تبذت الولايات المتحدة إستراتيجية الحرب الإستباقية والتي اعتبرتها المبرر الوحيد للسياسة الانفرادية التي تتبعها إدارة بوش الابن، كما أنها الذريعة المناسبة والغطاء الإيديولوجي البديل للإتحاد السوفييتي. فالحرب الإستباقية تسمح حسب إدارة بوش الابن إلى إعادة تركيب العالم ذي القطب الواحد، فهي تدعو إلى حرب إستباقية من جانب واحد بل ووقائية تساعد الانتلافات إن أمكن لكنها في النهاية لا تخضع لقواعد وثوابت المجتمع الدولي، وهذه الدعوات تشكل إذا أوصلنا منطقتها إلى اقصاه رؤية نيوامبريالية تسند فيها الولايات المتحدة لنفسها حق وضع المعايير وتحديد التهديدات واستخدام القوة وتحقيق العدالة، فهي رؤية تجعل سيادة أمريكا أكثر إطلاقية في الوقت الذي تصبح أكثر مشروطية للبلدان التي تتحدى المعايير الأمريكية في السلوك داخليا وخارجيا.²

يقول ريتشارد هاس مدير مكتب التخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية في 2002 "إن حقبة ما بعد الحرب الباردة شكلت تحديات جديدة فوق قومية، ولم تعد الإستراتيجيات القديمة التقليدية إستراتيجيات الدفاع والاحتواء والردع كافية بعد الآن، وإن الولايات المتحدة تستطيع السير بل ستسير منفردة حينما يكون ذلك ضروريا [...] إن الولايات المتحدة تعزم وضع قواعد عقيدة عسكرية جديدة تنص على الحق في توجيه الضربة الأولى إلى الدول التي تملك أسلحة الدمار الشامل"³ وهو بهذا يلخص مجمل الإستراتيجية الأمريكية التي تعطي الحق للولايات المتحدة الأمريكية حق التدخل في شؤون الدول الأخرى والانتقاص من سيادتها والقيام بما يسمى بحق الدفاع الذاتي الوقائي أو الإستباقي.

¹ - سعد محيو وآخرون، "إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي"، شؤون الأوسط، العدد 110، ربيع 2003، ص 24.

² - ج. جون اكبري، "ظموح أمريكا الامبريالي"، تر: غسان ملاوي، شؤون الأوسط، العدد 110، ربيع 2003، ص 16.

³ - غازي حسين وآخرون، المرجع السابق، ص 38.

يبقى أن نقول أن السياسة الخارجية الأمريكية من الجانب الاستراتيجي تقوم كما يحدد ذلك **جون كينري** على إستراتيجيتين ساهما في بناء النظام الدولي الحديث هما:

- **إستراتيجية واقعية**: تبنى على الاتجاه الواقعي وتدور حول محوري الاحتواء من ناحية والردع من ناحية أخرى والحفاظ على التوازن العالمي للقوة.
- **إستراتيجية ليبرالية**: تسعى إلى بناء نظام يدور حول علاقات سياسية مؤسسية بين ديمقراطيات متكاملة في أسواقها، يدعمها في ذلك اقتصاد حر ومفتوح.

وبالرغم من اختلاف التقاليد الفكرية التي تنبثق منها الإستراتيجيتين إلا أنهما استطاعا أن يحققا الهدف الأسمى وهو المصلحة العليا الأمريكية التي تبلورت ببروزها القيادي للعالم وتحقيق الأمن الأمريكي، أما الرئيس **بوش الابن** فقد حاول صياغة اتجاهها استراتيجيا أطلق عليه "**الواقعية الجديدة**" ركز فيها على علاقات القوة وإعادة بناء القوة العسكرية الأمريكية من خلال ما أطلق عليه "**عسكرة العولمة**" أي تجاوز الاهتمام العولمي بالجانب الاقتصادي إلى الجانب العسكري ويظهر ذلك من خلال سعيه بإدماج روسيا في نظام الأمن الغربي، وأيضا السياسة المعتدلة التي يتبعها إزاء الصين وغيرها من السياسات التي تبنت هذا التوجه الإستراتيجي،¹ وبالتالي فإن الإستراتيجية الأمريكية الحالية تقوم على لعب دور استباقي منفرد تتجاوز فيه الأمم المتحدة وكل الدول والأخلاق الدولية لتصبح القوة العسكرية الفائقة وسيلتها لفرض إرادتها وقيمتها على المجتمع الدولي.

2- الحرب بين العدالة والاستباق:

اكتسبت مفردة "**الحرب**" معاني متباينة ومتعارضة في غالب الأحيان، حتى أمست أم الحقائق في الخطابات السياسية، خصوصا بعد 11 سبتمبر 2001 حيث ظهر نوع من التسويق للفظ "**الحرب**" وتصريف له بما يعني اشتقاق الحروب من بعضها البعض ثم توجيهها بما يتناسب والنزاعات الإيديولوجية والمصالح، لكن برغم هذا الابتذال في استعمال هذا المصطلح إلا أن إضفاء طابع الشرعية على ما يصاحبها من ويلات ودمار يظل الهاجس المسيطر على كل الدول فأى شرعية اختارها بوش الابن لتغطية حربه الإستباقية على الإرهاب؟

أثرت أحداث 11 سبتمبر 2001 على الفكر الإستراتيجي الأمريكي من خلال ثلاث نقاط أساسية:²

¹ - السيد ياسين: "الإمبراطورية الكونية - الصراع ضد الهيمنة الأمريكية"، (مصر، شركة النهضة، 2004)، ص 18 . 20.

² - السيد ولد أباه، المرجع السابق، ص 78.

1- ارتكزت الإستراتيجية الأمريكية منذ أربعينيات القرن العشرين على مبدأ التدخل بكل أشكاله بحكم أنها كانت بمنأى عن أي خطر خارجي يهدد أمنها القومي، أما وبعد أحداث 11 سبتمبر 2001 فقد أصبحت مسرح للاعتداءات الخارجية الشيء الذي جعل الإستراتيجية الأمريكية تتبنى ثنائية: الدفاع/الهجوم.

2- السلاح الذي استعمل في اعتداءات سبتمبر من وسائل اتصال حديثة ونظم إلكترونية مالية هو انعكاس للعملة التي لعبت الولايات المتحدة الدور المحوري في ديناميكتها وبالتالي فأمريكا صفت بيدها.

3- التحالف الدولي ضد الإرهاب الذي طرحه الرئيس بوش إثر الأحداث أخرج الولايات المتحدة من دور المعين إلى دور المستغيث، أي من دور الملجأ إلى دور الضحية وهو ما ينعكس سلبا على النزوع الإمبراطوري الأمريكي.

من أجل هذه التغيرات الجوهرية في التاريخ الأمريكي والتي أحدثت هزة في النظرية الأمنية الأمريكية السائدة، سعت الإدارة الأمريكية الحاكمة إلى تغيير اللهجة الدبلوماسية التي تعودت على تغطية سياستها بها إلى الإعلان المباشر لتبني لغة العنف والتهديد والحصار العسكري والاقتصادي، الأمر الذي أثر على الفكر الإستراتيجي الأمريكي، والذي سمح لإدارة المحافظون الجدد بتبني مقاييس الحرب العادلة في وصفهم للحرب التي تعلنها الولايات المتحدة على الإرهاب. فما علاقة الحرب العادلة بالحرب الإستباقية الأمريكية؟

ساهمت الولايات المتحدة ومعها القوى الدولية إلى تثبيت أطر الشرعية الدولية عقب الحرب العالمية الثانية من أجل إحلال السلم والأمن الدوليين وتجنيد العالم ويلات الحروب وقد استندت أطر الشرعية المتجسدة في منظمة الأمم المتحدة إلى مبدئين:

- 1- احترام سيادة الدول وعدم جواز التدخل في شؤونها الداخلية.
- 2- حصر انتهاك هذه السيادة بقرار إلزامي من مجلس الأمن الدولي الذي يحتكر لوحده مشروعية شن الحروب في حالة تهديد السلام العالمي.

لذلك سعت الولايات المتحدة في لجوءها إلى القوة والتهديد باستخدامها قبل 11 سبتمبر إلى الرجوع إلى قواعد القانون الدولي بحكم أن شرعية وجودها والاعتراف بقوتها تقتض امتثالها إلى القواعد القانونية الدولية، هذا الاعتراف بالقانون الدولي الذي يحقق لها ثلاث أغراض حسب صناع القرار الأمريكيين هي:¹

¹ - سويم العزي، المرجع السابق، ص 46.

2- اللجوء القانوني يسمح لها بتغطية النوايا ذات الطابع الاستعماري المرفوضة في عالمنا المعاصر لما تثيره من ذكريات أليمة.

3- الإعراف وقبول قوتها يتحقق بتماثل القوى الأخرى معها لتفادي سياسات الاستنزاف الدبلوماسية التي تمارسها هذه القوى والتي قد تحد من حرية حركتها داخل المنظمات والمحافل الدولية.

4- اللجوء إلى القواعد القانونية لتفسير قوتها على ضوءها أي تثبيت الاتجاه الداعي لتفسير قواعد القانون الدولي من طريق القوة.

غير أن أمريكا مع الوقائع الجيوسياسية التي فرضها القرن 21 بتكنولوجيته ونظمه العسكرية المتطورة وخاصة بذريعة 11 سبتمبر 2001 أصبحت أكثر نزوعاً إلى القوة، حيث عمل الرسميين الأمريكيين على عسكرة السياسة الخارجية الأمريكية وذلك باستخدام القوة كأداة من أدواتها ومع ذلك بقي قرار الدخول في حرب - خاصة الحرب الشاملة كالتي أعلنها بوش الابن على الإرهاب - يحتاج إلى قدر عميق وشامل من الدراسة والتقويم بما يفوق قيمتها الإستراتيجية وكفاءتها العسكرية، فهو يحتاج إلى اجتياز اختبار الشرعية أي ينبغي لأسباب اللجوء للحرب والإدارة المتوقعة لها أن تكون قانونية وأخلاقية وإلا تكون حرب ضد المصلحة القومية.¹

لقد كسرت الحرب ضد الإرهاب العرض الفيتنامي في الذات الأمريكية وهو الخوف الرسمي والجماهيري من الزج بقوات أمريكية في ما وراء البحار بهدف تجنب سقوط ضحايا أمريكيين، وبالمقابل كان لها أن تجنب أمريكا الإخفاق الذريع في فيتنام، والذي غذاه الامتنال للقوة في الحكم في السياسة العالمية. من أجل ذلك كان لزاماً على الولايات المتحدة إقناع العالم بأن لجوءها إلى الحرب وتنفيذها مسوغين على المستويين الحقوقي والأخلاقي والذي تجسده السلطة الشرعية.

وبما أن تحريم استخدام القوة في ميثاق الأمم المتحدة لا يروق ولا يتماشى مع الطموح الامبريالي الأمريكي ولأن أيضاً سياسة المحافظين الجدد تقوم على العمل الدولي الانفرادي الذي يحمل في طياته الهيمنة الأمريكية أو بالأحرى أمركة العالم، فإن الشرعية الدولية لا تتناسب والإستراتيجية الأمريكية لما بعد 11 سبتمبر، من أجل ذلك خلق المحافظون الجدد شرعية بمفهوم جديد. فبعد أن كانت الولايات المتحدة تنزع فريق الدول الداعية إلى الحفاظ على الوضع القائم واحترام مبادئ الشرعية الدولية اعتبرت أحداث 11 سبتمبر سبباً في تغيير النظام الدولي، الذي يستمد من تغيير قواعد إدارة العلاقات الدولية. ولما كانت الشرعية الدولية أهم هذه القواعد فقد اعتبر المحافظون الجدد أن التدخل لتغيير الأنظمة المعادية للحرية بائتلاف دولي أو حتى بانفراد أمريكي لا يجب أن يستمد مشروعيته من المبادئ والقواعد القانونية التي

¹ - سيوم براون، المرجع السابق، ص 145.

ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة أو الاتفاقيات والأعراف الدولية. فنتيجة التدخل هي التي تحدد مشروعيتها فإذا كان التدخل تقدمي يدفع لتحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية يصبح تدخلا مشروعاً بل وحق مطلوب بغض النظر عن كل صرخات الأمم المتحدة والشرعية الدولية. باختصار فالمحافظون الجدد يعتبرون الأمم المتحدة واحدة من الخمس أشياء التي اختفت من العالم الراهن فهي والغول والعنفاء والخل الوفي والمجتمع الدولي أشياء أكل الدهر عليها وشرب.¹

فالعقيدة الإستراتيجية الأمريكية لما بعد 11 سبتمبر ترسي قطيعة كاملة من المنظومة القانونية الدولية في عدة نقاط جوهرية أهمها ضرورة أولوية المشروعات القيمية على الآلية التشريعية فعدالة القضية ونتائج الحرب الإيجابية تتقدم على الضوابط المؤسسية لحفظ الأمن.² فحسب إدارة بوش انتظار قرارات هيئة الأمم المتحدة وتغيير القانون الدولي بسبب كوارث عالمية قد ترتكبها التنظيمات الإرهابية وبالتالي فإدارة المحافظون الجدد ترى من الأمم المتحدة ومعايير القانون الدولي نتاج لفترة كانت فيها القوى الدولية تفتقد للمصادقية والشرعية.

من هنا رأت إدارة بوش الابن الميل إلى بناء مشروعية أخلاقية دينية لهذه الحرب تقطع مع الشرعية الدولية، مما استوجب العودة إلى تراث الحرب العادلة باعتباره يحظى بمعايير تحدد زمان وشروط تبرر استخدام القوة العسكرية على الصعيدين الحقوقي والأخلاقي. وإن كان أصحاب الاتجاه الواقعي في الولايات المتحدة يرون أن تبني مقاييس الحرب العادلة مضيعة للوقت خاصة أمام اعتبارات الأمن القومي والسلطة الأمريكية والتي لا بد لها -في نظرهم- أن تبقى طاغية على المبادئ الأخلاقية ومتحكمة بها، غير أن الاتجاه المقابل يرى أن المصلحة القومية والصفة الأخلاقية للعمل يخدمان الأمة بصفة متكاملة فالقانون الدولي الأساسي للحرب والسلام من صنع سياسيين ابتدعوا قواعد دولية وعملوا على صياغتها لخدمة مصالح دولهم. ومن ثم فتراث الحرب العادلة الذي يعمل على تغطية عملية استخدام القوة في السياسة الدولية بالخطاب الأخلاقي ما هو بالمعزول من عالم الواقع فهو كالقانون الدولي كلاهما جزء من ثقافة الحرب والسلام المحلية والعالمية.³

ولما كان الساسة الأمريكيون يرون في الولايات المتحدة دولة ذات رسالة إلهية وإنسانية فإن مثلها العليا وقيمها النبيلة من حرية وديمقراطية تحتم عليها المشاركة في حروب إنسانية عادلة، غير أن معايير وحجج الحرب العادلة متجذرة في المبادئ العالمية وبالتالي فهي ليست حكر على الولايات المتحدة فهي معايير عالمية من حق أي دولة أخرى تبنيها والمشاركة في حروبها، وبالمقابل يزعم الإستراتيجيون الأمريكيون أن الولايات المتحدة تمتلك قوة عسكرية ومكانة عالمية فائقة مما يخولها القيام بحرب إستباقية ضد خصوم محتملين متحججين بأن قدر أمريكا الخاص يسمح لها السعي وراء سياسات من هذا النوع

¹ - مصطفى علوي، " السياسة الخارجية الأمريكية و هيكل النظام الدولي "، السياسة الدولية، العدد 153، جويلية 2003، ص 67.

² - السيد ولد أباه، المرجع السابق، ص 78.

³ - سيوم براون، المرجع، السابق، ص 145-146.

بمعنى آخر أنه حسب مذهب الاستثنائية فليس من حق الأمم الأخرى نشر إستراتيجيات استباقية خاصة بها. لكن هذا زعم أمريكي فمن حق باكستان مثلاً أن تقدم حججاً لمصلحة حرب استباقية ضد الهند مستبقة ضربة هندية في كشمير، أو من حق العراق أن يبرر ضربة استباقية ضد الولايات المتحدة أو حلفائها مستبقاً ما كان في نهاية الأمر نية أمريكية معلنة بوضوح لشن حرب على بغداد.

وبذلك فعيب مذهب الاستثنائية أنه يقنع أمريكا بأنها تملك امتيازات فريدة خارج نطاق القانون بناء على استقامتها الاستثنائية في حين أن حلفاء أمريكا لا بل أعدائها يتقاسمون معها استدلال الحالة الخاصة هذه.¹

وعليه يمكن القول أن ما سعى إليه صناع القرار السياسيون والإستراتيجيون الأمريكيون هو إيجاد وسيلة لإعفاء الولايات المتحدة من مبادئ أخلاقية عامة فيما يتعلق بالحرب. لذلك لجئوا إلى تراث الحرب العادلة بمعنى آخر إذا كان من واجب كل الدول القيام بحروب عادلة ومن حق كل الدول القيام بحروب إستباقية أو وقائية لردع عدو متخيل فحتى تستثنى الولايات المتحدة كان لها تغطية حروبها الإستباقية بالحروب العادلة. فمقومات أمريكا العسكرية والاقتصادية والجغرافية والسياسية تؤهلها للقيام بحرب شاملة ضد الإرهاب لكن لتجنب الدول الأخرى التي قد تقترب مع الولايات المتحدة في هذه المقومات القيام بنفس الحرب تبنت إدارة المحافظون الجدد مقاييس الحرب العادلة لإعطاء الإستراتيجية الأمريكية لما بعد 11 سبتمبر بعد ديني أخلاقي.

¹ - بنجامين ر باربر: المرجع السابق، ص 96 - 99.

الخلاصة

نخلص مما سبق إلى أن السؤال حول 11 سبتمبر 2001 ليس من مرتكب الأحداث؟ بل من استفاد من الأحداث؟ فسواء كانت الهجمات اصطناعية صورتها بدقة الإدارة الأمريكية (إدارة المحافظون الجدد) أو كانت ضربة غبية من قادة متطرفين ظنوا أنهم سيهزمون أمريكا دون أن يلتفتوا إلى أن السياسة الأمريكية قبل 11 سبتمبر كانت ستعيدها على حالتها الأولى من الإنعزالية، وأن الخلافات في الشؤون الدولية بينها وبين بقية دول العالم خاصة الاتحاد الأوروبي كانت ستقود لتوازن أفضل وفرص أعظم لمعظم قضايا العالم بما فيها القضية الفلسطينية، أو حتى كان المرتكب يهودي يحركه كرهه للإسلام ومعتقديه، أيا كان فالمستفيد واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية و كل من يؤمن بها فبفضل 11 سبتمبر 2001 فرضت على أجندة السياسة الدولية فاعل جديد وقوي في العلاقات الدولية اسمه "الحرب ضد الإرهاب" فأمكنها عن طريقه قمع و ضرب كل الفواعل الدولية من دول ومنظمات، هذا الفاعل الذي على خلفيته أعادت أمريكا زرع وجودها المتسلط في كل بقعة على الخارطة الدولية في إجراءات إستباقية لتأمين الداخل الأمريكي ضد احتمال تعرض جديد مماثل لـ 11 سبتمبر.

على العموم يمكن القول أن هذه التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الأمريكية تصب في صالح تضيق الخناق على الشرعية الدولية وهو الأمر الذي يبدو واضحا من تزايد التجاهل الأمريكي للأمم المتحدة على النحو الذي يدعم من فرضية شيوع الفوضى في العلاقات الدولية. ومحاولة لإعادة أيجاد الدولة الأمة أو الدولة الإمبراطورية.

هذا جانب من جوانب تأثير 11 سبتمبر 2001 على الولايات المتحدة لكن من جانب آخر يحق لنا القول أن هبوط طائرة ألمانية خاصة لأحد الهواة في ساحة الكريملن اعتبر علامة على سقوط الاتحاد السوفييتي حيث قيل وقتها كيف استطاعت هذه الطائرة أن تخترق حصون الدفاعات الجوية للدولة العظمى كل هذه المسافة دون أن تكتشف حتى تصل إلى موسكو وتهبط في وسطها بسلام، ورغم أن الطائرة لم تؤذي أحد فقد كشفت هوان الدفاعات الجوية للدولة العظمى وكانت بادرة نهايتها، فكيف الحال بطائرات تخترق إمبراطورية لتخرب وتقتل وتفجر أعظم مراكز نفوذها، فهل تراها بداية النهاية بالنسبة للولايات المتحدة؟ وحتى إذا كانت من صنع أمريكي فهي أيضا بداية النهاية لأنها ستجعلها دولة ضد عالم وطالما كثر الأعداء وقل الحلفاء قربت نهاية كل متجبر

الختامة

تمهيد

عملت الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة الحرب الباردة على تقسيم العالم إلى حلف الخير الديمقراطي الرأسمالي (الأمريكي/)، و حلف الشر الديكتاتوري (الشيوعي/)

11 2001 فقد قسم العالم على اعتبار أمريكا و أمريكا و كفى، فإما أن تتبنى الدول حربها ضد الارهاب و استراتيجيتها في ذلك و قيمها التي تعمل على نشرها، و إما أنها تعلن خصومتها، فمن ليس مع أمريكا فهو ضدها – و هي بذلك ألغت تصنيف الصديق أو الحيادي بل ألغت فكرة الاختيار.

11 2001 صناع القرار في البيت الأبيض و البنتاغون قرار إعلان حرب شاملة طويلة مستميتة ضد الإرهاب و الدول الداعمة له، التي أطلق عليها بوش الابن مقولة " " إيران كوريا الشمالية.... ضمن هذا المحور.

هذا التصنيف ليس اعتباطيا و لا عشوائيا تحركه حيثيات الحدث، بل إن المؤسسة العسكرية الأمريكية تضع الآن عناصر السياسة الخارجية الأمريكية مستفيدة من طموحات سياسية متشددة تحمل مؤشرات

كما أن اختيار هذه الدول لم يكن بمحض الصدفة فالمسافة الجغرافية التي تفصل ما بين العراق و كوريا الشمالية مرورا بإيران هي جوهر الاهتمام الأمريكي خاصة بعد الحرب الباردة، فالتواجد العسكري الأمريكي في أفغانستان و عدة دول محيطة ببحر قزوين هو تواجد مهم لضبط مستقبل الحرب و السلام والاقتصاد على شريط يمتد من الصين و اليابان إلى الهند و باكستان إلى الأبواب الخلفية لروسيا إلى مخازن النفط في الخليج و قزوين، ذلك أن الحديث عن محور الشر الثلاثي " العراق، إيران، كوريا الشمالية " هو حديث عن كيفية ضمان الخير الثلاثي " السيطرة على النفط، التحكم بالمواقع الاستراتيجية، ضمان الأحادية القطبية ".

أجل كل هذا عملت الولايات المتحدة على تغذية حربها ضد ا رهاب و إطالتها، و قد بدأت بأفغانستان و كان المبرر الرئيسي في حربها تلك احتواء أفغانستان لحركة طالبان و خاصة لبن لادن المتهم الأساسي في أحداث 11 2001، و بالرغم من عدم التيقن من هذا الاتهام إلا أن

مقتنعا لمعظم الدول و المنظمات الدولية، و قد التمسست الولايات المتحدة عدالة حربها ضد أفغانستان من خطورة تنظيم القاعدة على السلم و الأمن الدوليين، فأى المبررات التي ساقتها الولايات المتحدة لتجعل من حربها ضد العراق حربا عادلة ؟ و هل كانت أسبابها و نتائجها بما يمكن وصفه بالعدالة ؟

: العلاقات الأمريكية العراقية

لم تظهر الولايات المتحدة على الساحة الدولية إلا في القرن الثامن عشر، غير أن تطلعها خارج حدودها لم يكن إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حينما كانت الدول الأوروبية تتنا العالم، لتتعرز مكانتها الدولية في مطلع القرن العشرين حيث غدت من الدول الكبرى التي لها تأثيرها لحفظ التوازن الدولي، لتصبح في القرن الواحد والعشرين الدولة القطب.

خلال بداية تحرك الولايات المتحدة الخارجي أبدت اهتماما مبكرا بالعالم العربي، بعد أن ازداد نفوذها تدريجيا بالمنطقة من خلال تواجد الهيئات الدبلوماسية، وأصحاب المصالح التجارية، و الإرساليات التبشيرية، إلا أن المصالح الأمريكية آنذاك لم تكن بأهمية المصالح الأوروبية، وربما لهذا السبب لم تدخل الولايات المتحدة حلبة الصراع الدولي من أجل تقسيم الدولة العثمانية حيث اكتفت بعدد من الامتيازات الإقتصادية التي منحت لها.¹

تعد العراق واحدة من الدول العربية التي استقطبت الإهتمام الأمريكي، وإن كان هذا الإهتمام لم يظهر بشكل واضح إلا في أواخر السبعينيات وبالتحديد إثر سقوط شاه إيران الحاكم الموالي لأمريكا، والذي أحدث سقوطه تغيير في التوازن الاستراتيجي بمنطقة الشرق الأوسط، ذلك أن شاه إيران مثل لصانع القرار الأمريكي أحد الركيزتين الاستراتيجيتين في منطقة الشرق الأوسط إضافة إلى إسرائيل.

كما أن نجاح الثورة الإسلامية في إيران و تمكنها من تشكيل الدولة الإسلامية و ظهور معالم سياستها الخارجية شكل تهديدا للكيان الإسرائيلي الإبن المدلل للولايات المتحدة، ذلك أن إيران بثورتها تلك قد خلقت شوكة في حلق إسرائيل تهدد وجودها بالمنطقة مما جعل اللوبي اليهودي يسارع بالضغط على مراكز القرار الأمريكي و دوائر الأبحاث الاستراتيجية القريبة منه لرسم سياسة جديدة في المنطقة.

" الرئيس السابق للعراق أقل طموحا و تطلعا إلى الخارج فقد كانت أهم الخطوات في تأهيل الملف العراقي هي تغيير القيادة العراقية و كان ذلك في 16 جويلية 1979 حيث استلم ين رئاسة العراق، و لم يتوقف التغيير على الر س الهرمي بل شمل كل أركان مؤسسات الدولة العراقية من قيادات الحزب، أيضا قيادات الجيش و تكوين المؤسسات الأمنية و المخابراتية، و أول ما

¹ - خيرية قاسمية و آخرون، المرجع السابق، ص 19 .

قررت القيادة الجديدة في جانب السياسة الخارجية التلميح لأهمية تعزيز العلاقات العراقية الأمريكية، و قد حدث ذلك فعلا خاصة في جانب تنشيط الحركة التجارية.¹

و عليه يمكن القول أنه منذ ذلك الوقت أصبح الملف العراقي من الملفات المهمة في الولايات المتحدة الأمريكية، مما استوجب اتباع استراتيجيات مختلفة تنوعت بتنوع الظرف الدولي، امتدت من سق إيران حتى سقوط صدام حسين و تبعاته، و عليه يمكن تتبع العلاقات الأمريكية العراقية على عدة مراحل:

1- حرب الخليج الأولى (قادية صدام):

هي الحرب التي بدأت في سبتمبر 1980 بين العراق و إيران و ذلك بعد إلغاء صدام حسين لمعاهدة 1975 • إثر هذه الحرب دخلت العلاقات الأمريكية العراقية مرحلة جديدة تحركها تطورات الحرب و تغير ميزان القوى في ساحات المعارك.

شهدت العلاقات الأمريكية العراقية تطورا ملحوظا في بداية حرب الخليج الأولى، غير أن فترة رئاسة " ريغان " " الد راسفيلد " مهام وزارة الدفاع كان لها دفع قوي في هذه العلاقات خاصة " راسفيلد " 1982 كان من أكثر المسؤولين الأمريكيين حماسا لنظام الحكم في العراق أيضا تزامن مع هذا التاريخ تغير ميزان القوى لصالح إيران و ذلك حين حصلت هزائم في الجيش العراقي أجل ذلك عملت الولايات المتحدة على تزويد العراق بمواد ذو استخدام مزدوج منها حواسيب متطورة، سيارات إسعاف مدرعة، سماد كيميائي، كما استعملت دارة الأمريكية الفرع الأمريكي لأكبر البنوك الإيطالية في الولايات المتحدة الأمريكية و الي كان مقره مدينة " لتحويل مبالغ قدرها 5 ملي 1985 1989 " راسفيلد " بقاء صدام حسين مرتين في 19 ديسمبر 1983 24 1984 هذا التاريخ الذي أصدرت فيه الأمم المتحدة بيانا تشجب فيه استعمال العراق للأسلحة الكيماوية في الحرب.²

هذا الموقف الأمريكي من الطرف العراقي لم يكن حكرا عليه فقد قامت الولايات المتحدة بتسليح إيران بصورة غير مباشرة عن طريق صفقة الأسلحة المعروفة باسم " فضيحة إيران " IRAN GATE و يوضح هذا الموقف المزدوج من الولايات المتحدة أنها كانت تسعى لإطالة و هو ما يوضحه تصريح العديد من المسؤولين الأمريكيين على رأسهم الرئيس السابق

¹ - تشارلز تريبي، " صفحات من تاريخ العراق " : جابر ادريس، (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2006) 296 .
• برمت معاهدة عراقية إيرانية توجب اقتسام مياه شط العرب بين الدولتين بموجب خط التالوك الوهمي و قد تسبب إلغاء الحكم البعثيون في العراق لهذه المعاهدة إلى قيام حرب استنزاف بين البلدين انهكت القوى العراقية، مما استوجب عليهم السعي للتفاهم مع الجانب الإيراني و قد وسطوا الرئيس الراحل هوراي بومدين لترتيب لقاء بين صدام حسين و شاه إيران و حدث ذلك في الجزائر 1975 حيث أبرمت اتفاقية توجب العودة لاتفاقية 1937 .

"ريغان" حيث قال: " أن تزويد العراق بالأسلحة حينا و تزويد إيران حينا آخر هو أمر يتعلق بالسياسة العليا للدولة"¹ "هنري كيسنجر" فقد ذهب إلى القول " أن هذه هي أول حرب في التاريخ تمنينا أن لا يخرج أحد منها منتصرا و إنما يخرج الطرفان منها مهزومين "² و هذا يعني أن الولايات المتحدة قد سعت إلى ضرب عصفورين بحجر واحد ذلك أن احتدام الصراع بين العراق و إيران كأهم دولتين في منطقة الخليج و أغناها من شأنه إنهاك قواهما و استنزاف أموالهما و من ثم تحقيق المصالح الإمبريالية الغربية في المنطقة خاصة ضمان وصول النفط بالسعر الذي يقررونه هم.

و بذلك دامت الحرب العراقية الإيرانية ثمان سنوات بدون أي تدخلات لإنهاءها تغذيها الأطماع الأمريكية و تطيلها السداجة العربية، ذلك أن استمرار الحرب يحقق المصالح التوسعية الغربية. هذه الحرب لا تشهد تدخلا حتى تحولت إلى حرب الناقلات التي تحمل النفط إلى الغرب و أصبح تأمين 1988.³

انتهت الحرب العراقية الإيرانية بوضع اقتصادي متدهور، فقد استنفذ النظام العراقي كل احتياطات البلاد من العملة النادرة و الذهب البالغة 36 مليار دولار، و كل موارده النفطية خلال سنوات الحرب 20 مليار دولار سنويا، و فوق كل ذلك خرج العراق بديون كبيرة جدا للكويت و السعودية و فرنسا و الاتحاد السوفييتي () و البرازيل و غيرها من الدول الأخرى و قد جاوزت الديون 90 مليار دولار بالإضافة إلى ما طالبت به إيران من تعويضات الحرب بعد أن أقرت لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة بأن العراق هو المتعدي في تلك الحرب و من ثم صار العراق ملزما بدفع فوائد باهظة لقسم ديونه بلغت حدود 30% 7 مليارات دولار سنويا.⁴

و مع كل الأوضاع الاقتصادية المزرية تلك إلا أن العراق قد خرج من حربه مع إيران كقوة إقليمية عسكرية لا يستهان بها و ذلك نتيجة حصوله على ما يساوي أكثر من خمسين مليار دولار من الأسلحة التقليدية التي منحها إياه الاتحاد السوفييتي، الين، فرنسا، سواء قبل حرب الخليج الأولى أو أثناءها بالإضافة إلى سعي صدام حسين لتطوير برنامجه النووي والكيميائي والبيولوجي بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية.⁵ هذا الدعم الذي مكن من بروز العراق كقوة عسكرية ضخمة من قوة بشرية و تقنيات

¹ - " في ذكرى الحرب العراقية الإيرانية حرب أمريكية نفذها بالنيابة صدام حسين " : <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=10202>

³ - ريتشارد هـ. ميجان أوسليمان، المرجع السابق، ص 53.

⁴ - محمد حسنين هيكل، "حرب الخليج - أوهام القوة والنصر" (القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1999) 162.

⁵ - ريتشارد دهاس، ميجان أوسليمان، المرجع السابق، ص 53.

عسكرية و خبرات و أسلحة إستراتيجية مما أثر في التوازن الاستراتيجي مع إسرائيل مما أثار الرعب في مراكز الدراسات الإستراتيجية الأمريكية.

أوضحت مؤشرات ما بعد حرب الخليج الأولى أن العقل الاستراتيجي الأمريكي في حالة تأهب لمرحلة صراعية جديدة مع نظام "صدام حسين" مما استوجب سياسة جديدة في التعامل مع الملف العراقي أهم خطواتها الهجوم الإعلامي والحرب النفسية التي شنتها الصحافة الأمريكية و الغربية على النظام العراقي وبالذات في قيادته المتمثلة في شخص "صدام حسين" حيث تم التركيز على ديكتاتورية امتلاكه لقوة عسكرية ضخمة، أيضا تم التركيز على انتهاكات حقوق الإنسان في العراق حتى بلغت المواضيع التي نشرت على القيادة العراقية السابقة خلال الثلاث شهور الأخير 1990 ما يقارب 189

1.

أما الخطوة الثانية فكانت ذات طبيعة اقتصادية حيث

الأمريكية والتحالف الغربي و مصادرة الواردات العسكرية التي تساهم في نمو قوة الرعب للنظام عملت الإدارة الأمريكية على منع الصادرات إلى العراق وذلك بالضغط على الشركات التي تتعامل معه حرية أمريكية في المياه الخليجية.²

أما الخطوة الثالثة في الإستراتيجية الأمريكية تجاه العراق فتمثلت في تقنين القرارات الدولية لحصار القيادة، حيث اتبعت الدول الأوروبية سياسات تنسجم و هذا التوجه الأمريكي وفي نفس المجال دعا اريخ 05 أفريل 1990 دول المجموعة الاقتصادية الأوروبية إلى ر فوري لتصدير أي معدات ضرورية لإنتاج أسلحة الدمار الشامل إلى العراق، كما دعا برلمان المجموعة الأوروبية الأمين العام السابق لمنظمة الأمم المتحدة "خافيير بيريز ديكويلار" دولي في أقرب مدة للرد على الأخطار التي يشكلها النظام العراقي على أمن العالم.³

وبالتالي تمت محاصرة العراق قانونيا واقتصاديا وسياسيا وإعلاميا وكان لابد على صدام حسين التفكير في وسائل جديدة لفك الحصار الذي ضرب قوة الرعب التي بناها و قد تمثلت أهم خط على الحصار الأمريكي في إعلان صدا حسين غزو الكويت في 20 1990، فمادما كان تأثير هذا الغزو على العلاقات الأمريكية العراقية ؟

¹ - يحي عقاب، " _____ " (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2005) 35-38.

² - وليامسون مداري وآخرون، " _____ " (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2005) 35-38.

³ - "إستراتيجية مية في ظروف الأزمات"

2- حرب الخليج الثانية () :

و تسمى أيضا بحرب تحرير الكويت وعملية وسميت من قبل الحكومة العراقية وهي الحرب التي وقعت بين العراق وائتلاف دولي من 30 دولة بقيادة الولايات المتحدة وبتشريع من الأمم المتحدة، بدأ الصراع بعد اجتياح الجيش العراقي لدولة الكويت في 02 1990 وانتهى في فيفري 1991.

سلكت الولايات المتحدة خلال حرب الخليج الأولى سياسة التوازن بين الأطراف المتصارعة معتقدة أن هذا السلوك من شأنه ضمان استمرار تدفق النفط إلى أسواقها، بمعنى منع أي قوة إقليمية ناشئة من شأنها أن تسيطر أو أن تحدث عدم توازن جيوسياسي في المنطقة، فكانت نتيجة السياسة الأمريكية في المنطقة حرب الخليج الثانية ذلك أن المنطقة حسب الرؤية الأمريكية كانت بحاجة إلى تطورات أكبر مما حدث في حرب الخليج الأولى، تطورات من شأنها المحافظة على المصالح الحيوية الأمريكية في منطقة

لأجل هذا بدا الدور الأمريكي خلال وقبل حرب الخليج الثانية أكثر دبلوماسياً الآلة العسكرية لضرب العراق وذلك بتأليب دول المنطقة عليه، من أجل ضربه بموافقة وإجماع دولي وباستصدار لقرارات من مجلس الأمن، و كانت البداية بجارتا العراق ففي 06 1990 الدولة الأمريكية للدفاع "ديك تشيني" **فهد عبد العزيز** اهل المملكة العربية السعودية بناء على معلومات التقطتها الأقمار الصناعية الفضائية الأمريكية أن القوات العراقية على عتبة التدخل في السعودية والتي طلبت من الولايات المتحدة نشر قواتها بسرعة على أراضي المملكة،¹ أما بالنسبة للكويت فقد صرح الناطق الرسمي للبيت الأبيض الأمريكي في 12 1990 بما يلي: "إن رئيس الولايات المتحدة قد تلقى هذا الصباح رسالة من الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت يطلب فيها من الحكومة الأمريكية الموافقة على المادة 51 من ميثاق هيئة الأمم المتحدة و حق الدفاع الشرعي المنفرد كومة الولايات المتحدة بما تراه ضروريا من أجل تطبيق الحصار الاقتصادي الذي دعت إليه هيئة الأمم المتحدة ضد العراق".²

لقد حاولت الولايات المتحدة خلق نوع من الشرعية لتدخلها في حرب الخليج الثانية كما عملت على تطبيق نموذج 1871 في هذه الحرب والذي يقضي بالحفاظ على القوة الألمانية، وذلك بجعل

¹ - Henery Lameus, *Le canard jeu orrient ; arabe et revalités internationale depuis 1945*, Armenor collin paris 1991, P399.

² - Setin Sahah, « *la crise du golf de l'interdications a l'autorisation du recours a la force* », biblioteque de droit internationale, Tom 107 Paris 1993 P305.

القوى الأخرى ترى في استمرار صداقتها مع ألمانيا نفع يفوق ما يمكنها الحصول عليه من قطع تلك الصداقة.¹

لقد أثبتت الإستراتيجية الألمانية نجاعتها في إستراتيجية الولايات المتحدة مع العراق في حرب الخليج الثانية حيث جمعت حلفاء جدد غير تقليديين وبأشرت عملياتها العسكرية بعدما تجلت مخاطر استمرار نظام صدام حسين في استقرار وأمن المنطقة، ذلك أن خلق تحالف دولي ضد العراق من شأنه خلق شرعية دولية للسياسة الأمريكية ضد العراق.

فور اجتياح العراق للأراضي الكويتية عملت أمريكا ودول التحالف على السعي إلى استصدار قرارات من مجلس الأمن لتضييق الخناق على صدام حسين، حتى صدر القرار 678 في 29 نوفمبر 1990 والذي حدد فيه 15 جانفي 1990 موعداً نهائياً للعراق لسحب قواته من الكويت.²

ولم يرضخ النظام العراقي لقرارات مجلس الأمن لذلك شنت دول الائتلاف في فجر 16 جانفي 1991 - أي بعد يوم واحد من انتهاء المهلة النهائية التي منحها مجلس الأمن للعراق لسحب قواته من الكويت- حملة جوية مكثفة و واسعة النطاق شملت العراق من الشمال إلى الجنوب، ليرد صدام حسين في 17 جانفي 1990 بحملة مشابهة عمل فيها على إطلاق صواريخ على إسرائيل في 18 جانفي 1990 ، وقد تمكنت الولايات المتحدة من إقناع إسرائيل بعدم الرد على الضربات العراقية و بعدم المشاركة في هذا الائتلاف الدولي أصلاً وقد كان هذا من الجانب المباشر غير أن إسرائيل قد ساهمت في هذه الحرب وذلك من خلال تقديم المعلومات و كشف القدرات العسكرية العراقية. وقد كلفت الولايات المتحدة السعودية بتمويل عملية عاصفة الصحراء مما سبب حرج لها خاصة وأنها قد وضعت قواتها وأسلحتها لمواجهة الصواريخ العراقية كي لا تصيب أهداف إسرائيل العسكرية والمدنية.³

و لعل لهذا السبب سعت الولايات المتحدة لإبعاد إسرائيل عن الصورة ذلك أن أي رد إسرائيلي على العراق كان من شأنه إحياء روح الصراع العربي الإسرائيلي ومن ثم انسحاب معظم الدول العربية المشاركة في التحالف الذي سعت إليه الولايات المتحدة كما أنه من شأنه إضفاء نوع من الشرعية على الموقف العراقي على الأقل من جانب الشعوب العربية، وهو ما حدث فعلاً في الشارع العربي فقد تحول صدام حسين إلى بطل شعبي من شأنه تحرير فلسطين والقضاء على يهود العالم وأي رد إسرائيلي سيواجه بثورة شعبية ضد الحكومات العربية.

¹ - بول سالم، " الولايات المتحدة والعولمة .. معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين"، المستقبل العربي، العدد 299، مارس 1998، ص79.

² - Andrie collit, *Armement et conflits contemporains de 1945 a nos jours*, Armon colin Paris 1993. P 199.

³ - Henery Lameus, Op-Cit, P 406.

لقد عملت الولايات المتحدة فور اجتياح العراق للكويت في 02 أوت 1990 إلى تصوير النظام السياسي العراقي و قيادته بالخطرة والاستبداد، وطرحت إستراتيجية للتعامل مع المسألة العراقية تمثلت أهدافها في التصريح الذي جاء على لسان الرئيس الأمريكي الأسبق في خطاب له يوم 1990/08/12 وقد أبرز التصريح ثلاث أهداف إستراتيجية للتحرك الأمريكي إزاء العراق وهي:

- تدمير القوة العسكرية العراقية:

وقد تحدد هذا الهدف من قبل الجنرال الذي صرح في 23 جانفي 1991 أن أول هدف لطائرات التحالف هو تدمير القيادة وشبكات الإتصال ومخازن المؤن والذخيرة والطرق والجسور ومواقع الحشد العسكري، وكان انطباع عندما توقفت المعارك بأن هذا الهدف قد تحقق فعلاً.¹

ب- القضاء على الرئيس العراقي:

رأت الإدارة الأمريكية أن حل أزمة الخليج وضمان عدم تكرارها يكون بالقضاء على صدام حسين، ذلك أن الإستراتيجية الأمريكية رأت في دوام القيادة العراقية هذه تهديد للأمن والسلم في المنطقة ومن ثم تهديد للمصالح الأمريكية والغربية، لذلك سعت الولايات المتحدة لتنحية صدام حسين من الحكم و رغم عدم إعلان أمريكا هذا صراحة لكنه اتضح بعد عملية عاصفة الصحراء، حيث صرح الجنرال الأمريكي " قائد عملية عاصفة الصحراء في حديث لإذاعة الجيش الإسرائيلي صرح بما يلي: "أنا شخصياً كنت معنياً جداً بالقضاء على الآلة العسكرية لصدام حسين بل و على صدام حسين نفسه".² كما خول وكالة المخابرات الأمريكية CIA مهمة تأبيل العراقيين على صدام حسين وحثهم على القيام بانقلاب لتنحيته من الحكم دون أن تظهر الولايات المتحدة وحلفاؤها في صورة المتدخل في الشؤون الداخلية للعراق.³

ج- تغيير النظام السياسي العراقي:

لم تسعى الولايات المتحدة إلى القضاء على صدام حسين كشخص فقط وإنما سعت إلى تغيير النظام السياسي العراقي بشكل جذري، ذلك أنها ترى فيه نظام ديكتاتوري مستبد، من أجل ذلك عملت الإدارة الأمريكية على إثارة مشاعر الجيش والشعب عن طريق حملة إعلامية من شأنها خلق نوع من التوتر بين الحكومة العراقية والجيش والشعب العراقي تقود إلى مواجهة حتمية بين الطرفين تنتهي بتغيير النظام السياسي.⁴

¹ - بوب ودورد، "القيادة- اسرار ما قبل وبعد أزمة الخليج"، ترجمة: عمار جولاق، محمود العابد، (بيروت: دار الجيل، 1991)، ص 256.

² - نفس المرجع، ص 250.

³ - نفس المرجع، ص 256.

⁴ - عطا محمد حسين زهرة "الإدارة الأمريكية والمسألة العراقية"، شؤون عربية، العدد 110، صيف 2002، ص 152.

لأجل هذه الأهداف عملت الولايات المتحدة على رفض فكرة خروج العراق من الكويت طبقاً للقرار 678 إذ كان من أكثر المتحمسين للمواجهة العسكرية مع صدام حسين، و يعكس هذه الرغبة موقف الولايات المتحدة من خطة السلام التي تضمنت الإعلان عن قبول العراق الانسحاب الكامل من الكويت دون شرط، و عرض إستراتيجية بديلة تقوم على استبعاد أي تصور يحول دون المواجهة العسكرية مع العراق، وذلك بغرض محاصرة النظام العراقي بممارسة مجموعة من الإجراءات للضغط عليه بحيث ينتهي الأمر بإخراجه من الكويت من ناحية، و بإحداث تغيير جذري في بنيته من الناحية الأخرى غير أن توقع طول مدة إنجاز هذين الهدفين كان سبباً في إثارة الشكوك حول مدى فاعلية هذه الإستراتيجية ونجاحها.¹

منذ بداية هذه الحرب و مجلس الأمن يستصدر في قرارات تثقل الكاهل العراقي غير أن قرار " رقم 986 الصادر في 14 أبريل 1995 و الذي عمل به في ديسمبر 1996 يعد الأكثر ضرراً للعراق، حيث يسمح للعراق بموجب هذا القرار ببيع ما قيمته 1600 مليون دولار من النفط كل ستة أشهر على أن يقتطع منها 30% لصالح الأمم المتحدة تحت عنوان **صندوق التعويضات** و على أن يتم بيع النفط وشراء المواد الغذائية تحت إشراف الأمم المتحدة، هذا القرار الذي اعتبره صدام حسين بمثابة الاستعمار غير المباشر، بالإضافة إلى القرار 687 الصادر في أبريل 1991 والذي يرى العديد من الفقهاء القانونيين أنه قرار لنيم، غريب في العقوبات والشروط التي فرضها على العراق وأنه أكثر القرارات طولاً وتفصيلاً و محوره تحجيم القوات المسلحة العراقية وتدمير جميع أسلحة الدمار الشامل والصواريخ والقذائف الباليستكية التي يزيد مداها عن 150 كلم، و تشكيل لجنة خاصة للتفتيش على الطبيعة للقيام بتدمير تلك الأسلحة خلال 45 يوماً من تاريخ قبول العراق للقرار.²

لقد استمر هذا القرار في التطبيق و ظلت اللجنة الخاصة **UNISCOM** المكلفة بالتحقق من أن العراق قد دمر جميع أنواع الأسلحة المحظورة حتى أواخر 1998. حيث اختلق ريشارد بتلر المدير التنفيذي للجنة الخاصة أضراراً واهية لسحب جميع المفتشين من العراق بقراره الشخصي من دون الرجوع إلى مجلس الأمن، فانتهزت الولايات المتحدة الفرصة لضرب العراق فيما عرف بـ **عملية ثعلب** و توجيهه وابل من صواريخها وقنابلها إلى المنشآت العراقية سواء كانت تضم في السابق برامج لأسلحة الدمار الشامل أو لا كما أحالت العديد من الأبنية العامة إلى ركام و لم تسلم حتى بيوت بعض المواطنين مبررة ذلك بأن صواريخها الذكية جداً قد أخطأت أهدافها فأصاب بيوت المواطنين

¹ - كمال مساعد، "العلاقات العراقية الكويتية و الدور الأمريكي"، الدفاع العربي، العدد 5، فيفري 2001، ص ص 34-38.

² - أبو بكر الدسوقي "العراق والعقوبات الذكية"، السياسة الدولية، العدد 145، جولية 2002، ص ص 151-154.

الآمنين، المدارس، دور العبادة، واستمر ذلك العدوان أربعة أيام وخمس ليال أعلن بعدها الرئيس الأمريكي **بيل كلينتون** أن قواته قد دمرت ما تبقى من منظومات أسلحة الدمار الشامل في العراق، وعليه سوف لن يتمكن الرئيس العراقي من إنتاجها واستخدامها في تهديد السلم العالمي.¹

يتضح من خلال ما سبق أن العداء الأمريكي واستهدافه للعراق ليس عداء شخصي من **إلى صدام حسين** بل هو تخطيط استراتيجي من حكومة أصبحت بعد زوال الاتحاد السوفيتي أقوى وأعظم حكومة، حيث يمكن الإشارة إلى أن غياب الاتحاد السوفيتي والفراغ الاستراتيجي الذي خلفه متجسد في فكرة وجود عدو تبني عليه الولايات المتحدة الأمريكية سياستها الخارجية قد عوض جزء منه العراق بعدوانه على الكويت، فبروز العراق كقوة إقليمية تتربص بآبار النفط وتهدد المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط جعل من فكرة صناعة العدو تقفز إلى ذهنية صانع القرار الأمريكي. ومع غياب أية قوة مقابلة جديدة للولايات المتحدة ومع تلاشي القوى الأخرى في مواجهة عزيمة الولايات المتحدة برز الدور الذي أرادت الولايات المتحدة لعبه من خلال حرب الخليج الثانية، وهو تعزيز زعامتها الدبلوماسية والعسكرية وترسيخ الانطباع بأنها الدولة الوحيدة التي تصنع وتقترح جدول الأعمال وتوزيع الأدوار على الدول الأخرى في ظل النظام العالمي الجديد الذي جاءت ولادته الرسمية في خطاب الرئيس جورج بوش الأب في 11/09/1990.

وعليه يمكن القول أن العراق طوال فترة ما بعد حرب الخليج الثانية و هو يعاني من حصار اقتصادي و تأزم سياسي وانتهاك لخصوصياته كدولة مستقلة، وأن العلاقات الأمريكية العراقية ظلت تتدهور يوم بعد يوم طالما أن أمريكا لم تحقق الهدف الأسمى وهو الإطاحة ب**صدام حسين** وتغيير النظام السياسي العراقي لخلق نظام موالي لمصالحها وطموحاتها في المنطقة. فما الذي صنعتته الولايات المتحدة لتحقيق أهدافها وتصنع عراق بفكر أمريكي؟

3- 11 2001:

بقيت العلاقات الأمريكية العراقية متوترة بعد حرب الخليج الثانية نتيجة للدور الفعال الذي لعبته الولايات المتحدة الأمريكية لاستصدار القرارات والعقوبات الدولية التي فرضها مجلس الأمن، والتي شكلت حصارا اقتصاديا شاملا على العراق، والذي على إثره عاش العراقيون أوضاع مزرية حيث عانوا من نقص المواد الأساسية الغذائية والمستلزمات الصحية، وإلى جانب هذا الضغوطات التي مارسها نظام

¹ - جعفر رضا جعفر وآخرون، " : الاتهامات والحقائق"، المستقبل العربي، العدد 307، أوت 2004، ص 54.

صدام حسين على أبناء الشعب مما أوقع الشعب العراقي بين مطرقة نظام **صدام حسين** وسندان عقوبات الأمم المتحدة.

سعت الولايات المتحدة بعد عملية إلى استصدار **قانون حرية العر** الذي أتاح الإمكانات المادية والمعنوية للمعارضة العراقية في الخارج لإسقاط نظام حكم صدام حسين، وخول للإدارة الأمريكية اتخاذ كل الإجراءات لتحقيق هذا الهدف. تم ذلك في فترة الرئيس الأمريكي **بيل كلينتون** وعندها بدأ التحضير وتم صرف المبالغ للقوى العراقية المعارضة في الخارج. غير أن تولي الحكم اعتبر مرحلة جديدة بالنسبة للملف العراقي لتعطي أحداث 11 سبتمبر 2001 دفعا قويا لهذا الملف. فبعد مرور المرحلة الأولى من حرب بوش ضد الإرهاب والتي استهدفت أفغانستان جرى التخطيط للمرحلة الثانية من الحرب كانت بلدان عديدة تذكر باعتبارها تستحق نوع من المعاملة التي كانت ستخص سريعا أفغانستان لم يكن بوش قد ألقى بعد خطابه عن محور الشر (العراق، إيران، كوريا الشمالية) لكن دولا مارقة جديدة كانت تصطف لجلب الانتباه (إيران، العراق، كوريا الشمالية، سوريا، السودان، اليمن، كوبا) فالعالم منطقة غنية بالأهداف لكن يظل العراق الهدف الأكثر ترجيحاً.¹

لقد شكل العراق هاجسا مقلقا للإدارة الأمريكية الأمر الذي يراه العديد من المحللين السياسيين أمر على درجة معتبرة من الشذوذ إذ يظل السؤال عالقا لماذا تظل واشنطن مصرة على اعتبار العراق خطرا لا تحتمل مواجهته التأجيل، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 و ربطها لضرب العراق بالحرب على الإرهاب.²

لذلك يجدر بنا دراسة الحملة الأمريكية على العراق من خلال إطار بمنحنيين يتمثل المنحنى الأول في الإدارة الأمريكية المتطرفة بما فيها الرئيس بوش، و يتمثل المنحنى الثاني في حالة العالم ما بعد 11 سبتمبر 2001.

الحقيقة أن المحافظين الجدد الذين عادوا للسلطة من جديد عام 2000 بعد أن أصبح رئيسا للولايات المتحدة كانوا قد خططوا قبل ذلك لاحتلال العراق، وذلك حينما وقع هؤالء في 3 جوان 1997 إعلان مبادئ الجماعة مؤكدين أن التحدي الرئيسي للولايات المتحدة هو ابتداء قرن جديد ملائم للمبادئ والمصالح الأمريكية، الأمر الذي يتطلب مؤسسة عسكرية قوية ومستعدة لمجابهة تحديات الحاضر والمستقبل على حد سواء، و سياسة خارجية تروج للمبادئ الأمريكية بشجاعة ووضوح في الخارج، وقيادة وطنية تقبل المسؤوليات الكونية للولايات المتحدة. و وجهت هذه الجماعة نداء مباشر إلى الرئيس "بيل كلينتون" قالت فيه أن من أهدافها الرئيسية إسقاط نظام صدام حسين، وإلا فإن سلامة القوات الأمريكية في المنطقة وسلامة أصدقاء أمريكا وحلفائها مثل إسرائيل والدول العربية وسلامة جزء كبير

¹ - جيف سيمونز، "استهداف العراق - العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية"، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003)، ص 51.

² - إلياس حنا، "النظام الدولي والخيارات الأمريكية الجديدة"، شؤون الأوسط، العدد 105، 2001، ص 61.

من مخزون النفط العالمي ستكون معرضة للخطر، كما أعلنت الجماعة أن السياسة الأمريكية لا يمكن أن تظل مشلولة بسبب إصرار غير مبرر على الإجماع في مجلس الأمن وعليه أصرت الجماعة على تجاهل الأمم المتحدة.¹

ثم أصدرت هذه الجماعة تقريراً سرياً في سبتمبر 2000 قالت فيه أن صدام سيوفر عذراً للتوسع الأمريكي في المنطقة، وجاء في التقرير: "في حين يوفر النزاع الذي لم يسو منحه العراق التبرير الفوري، فإن الحاجة إلى وجود قوة عسكرية أمريكية كبيرة تتجاوز موضوع نظام صدام حسين"² وعندما سنحت الفرصة لليمين الأمريكي المتطرف العودة للسلطة في واشنطن بعد ثمان سنوات من حكم كلينتون و هو يحمل قناعة أن الإستراتيجية التي قد طرحها في عهد الرئيس ريغان هي التي أدت إلى انهيار المعسكر الاشتراكي وفككت الاتحاد السوفييتي، كما اعتبر هذا الفريق أن إدارة كلينتون أضاعت فرصة ذهبية، ولم تتمكن من استكمال هذه الإستراتيجية والمضي قدماً لإعادة صياغة النظام العالمي على وفق رؤية الولايات المتحدة التي أنتت إليها قيادة هذا النظام دون منافس، وأن هذه الفرصة تعود من جديد لتعويض ما ضاع، وفي سياق رؤيته العالمية الجديدة تبنى اليمين الأمريكي رؤية تجاه العالم العربي تركز على الانحياز المطلق لإسرائيل، وتعتبر السلطة الفلسطينية، مسؤولة عن فشل الجهود الرامية للتوصل إلى تسوية القضية، ووفقاً لتلك الرؤية نفسها تصدرت مهمة القضاء على النظام العراقي جدول أعمالها وأولوياتها باعتبارها جزءاً من مهمة لم تكتمل وهي مهمة تحرير الكويت، وجاءت أحداث 11 سبتمبر 2001 لنتيح لهذا اليمين الأمريكي المتطرف فرصة غير متوقعة لبلورة رؤية جديدة ومتكاملة لإعادة تشكيل خارطة الشرق الأوسط برمتها بما يتناسب مع مشروعه للهيمنة المنفردة على العالم.³

في أعقاب 11 سبتمبر 2001 تصاعدت اللهجة الأمريكية المتشددة تجاه العراق في ظل عدم وضوح طبيعة الجهة المسؤولة عن هذه الهجمات، ولكن اللهجة الأمريكية المعدلة تجاه العراق تراجعت لتعاود الصعود مرة أخرى بعد سقوط كابول حيث تم في هذه المرحلة وضع العراق على رأس دول محور الشر وترى الإدارة الأمريكية أن وجود صدام خطر على النفط العراقي من جهة، وعلى أمن إسرائيل ومن ثم أمريكا من جهة أخرى كما تم اعتبار بقاء النظام العراقي بقيادة صدام حسين هو توفير وتدريب وتشجيع سياسي لجماعات إرهابية متعددة.

¹ - جيف سيمونز "السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط"، ترجمة: سعيد العظم، (بيروت: دار الساقي للطباعة والنشر، 2004) ص 211.

² - نفس المرجع، ص 397.

³ - حسن نافعة، "وجهة نظر في الرؤية الأمريكية تجاه العالم العربي"، السياسة الدولية، العدد 153، جولية 2003، ص 78.

تجدر الإشارة إلى أن الحملة الأمريكية على العراق ليست نتاج لأحداث 11 سبتمبر 2001 فقبل ذلك كانت القوات الأمريكية تجري مناورات حربية بالذخيرة الحية في عملية ربيع الصحراء بالكويت على بعد 30 ميلا من الحدود العراقية، غير أن أحداث سبتمبر قد ضخمت من هذه المناورات لتجعلها تستوعب 3000 جندي أمريكي.¹ وهذا يعني أن ضرب العراق لم يكن نتيجة للحرب التي تشنها أمريكا على الإرهاب بل إن هذه الحرب سهلت واستعجلت العملية.

بدأت الحملة الأمريكية ضد العراق بتوجيه إنذاراتها لصادم حسين لمغادرة العراق في غضون 48 ساعة إلى المنفى مع ولديه وقبل انتهاء المدة وفي 20 مارس 2003 أعلن بشكل رسمي الشروع في الحرب على الإرهاب بالعراق، حيث تحركت القوات الأمريكية البريطانية في سعيها نحو ما تم تسميته بحرية العراق ليتم إسقاط نظام صدام حسين في أبريل 2003.

انتهى نظام صدام حسين لكن صدام لم ينتهي بعد، فقد حددت الولايات المتحدة 25 مليون دولار جائزة لمن يأتي به حيا أو ميتا و 30 مليون دولار لمن يأتي بولديه قصي و عدي، وبالرغم من تمكن القوات الأمريكية في 22 جويلية 2003 من قتل ولدي صدام إلا أن القبض على صدام حسين لم يتم إلا من خلال إعلان بول بريمر رئيس سلطة الائتلاف المؤقتة التي قادتها الولايات المتحدة لحكم العراق رسميا القبض على صدام في حدود الساعة الثامنة والنصف بتوقيت بغداد بتاريخ 13 ديسمبر 2003 وهو مختبئ قرب في محافظة تكريت مسقط رأسه.²

حدث جدل كبير حول مكان اختباء الرئيس الراحل صدام حسين فهناك من يؤكد اختفاه في الحفرة التي أعلنتها الولايات المتحدة وهناك من يؤكد اختفاه في منزل بالقرب من محافظة تكريت، و أيا كان المكان فالإعلام الغربي سعى جاهدا لخلق صورة ذهنية لتتطبع في مخيلة أفراد المجتمع الدولي، وهي أن الرئيس الذي ملأ الدنيا ضجيجا وحكم بالحديد والنار يختبئ في جحر كأي هارب جبان وربما كان هذا التأثير هو أهم ما سعت إليه وزارة الدفاع الأمريكية عند إخراج المشهد.

امتثل صدام حسين للمحاكمة أمام محكمة لم يعترف في البداية بشرعيتها ورفض ذكر اسمه في بداية المحاكمة لكنه رضخ للأمر الواقع وبدأ في التعاون لتدوم محاكمته مع بعض أعوانه قرابة السنة، ليحكم عليه بعدها بالإعدام شنقا حتى الموت و رغم استئناف محامين صدام إلا أن الهيئة التفسيرية في المحكمة الجنائية العراقية العليا أصدرت في 26 ديسمبر 2006 قرارها القاضي بتثبيت حكم الإعدام، ليساق صدام حسين فجر 30 ديسمبر 2006 الموافق ليوم عيد الأضحى لحبل المشنقة.

¹ - محمود المراغي، "، (القاهرة: دار الشروق، 2003)، ص 222.

² - جيف سيمونز، " - السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل ا"، المرجع السابق، ص 57.

انتهى صدام حسين وانتهى نظامه واختير (الشيوعي) في 6 أبريل 2005 كرئيس للنظام العراقي الجديد، ومع ذلك يظل بوش الابن يخلق آلاف الأعداء لبقاء ائتلاف الراغبين كما سمي في العراق إلى يومنا هذا رغم الوعود الكثيرة بالانسحاب.

وهكذا ظلت العلاقات الأمريكية العراقية متوترة إلى الوقت الحالي خاصة وأن إدارة بوش قد اعتبرت العراق حقلاً لاختبار استراتيجياتها الجديدة والتي أعلن عنها في خطابه في حفل التخرج بجامعة West Point حيث قال: "علينا أن نأخذ المعركة إلى أرض العدو، أن نقطع الطريق على العدو، ونجابه المخاطر قبل وقوعها" أي أنه قام بإعلان سياسة توسيعية جديدة تقوم على الإجراءات العسكرية الإستباقية وقد طبقت هذه النظرية أولاً على العراق.¹

على أن تطبيق هذه النظرية تم طرحه ضمن سياسة محور الشر والتي تركز عقائدياً على فكرة الحرب العادلة Just War لتبرير الحرب الإستباقية، فهل يمكن إدراج الحرب الإستباقية المطبقة في العراق تحت لواء الحرب العادلة؟

¹ - سكوت ريتز وآخرون، "....."، ترجمة: فاطمة نصر، (مصر: إصدارات سطور، 2003)، ص 131.

أسباب الحرب الأمريكية على العراق :

لقد كان من نتاج انهيار أنظمة الحكم في الإتحاد السوفياتي (سابقا) وفي بلدان أوروبا الشرقية، اختفاء العدو الذي كانت تستخدمه دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة ولا سيما المؤسسة العسكرية كفرازة لتبرير ميزانيتها الحربية، لكن وبعد انتهاء الحرب الباردة أصبحت المبررات الأمنية التي فرضها الصراع الإيديولوجي بين القطب الرأسمالي والقطب الشيوعي تفتقر لغطاء سياسي استراتيجي، من أجل ذلك كان لابد من عدو جديد.

لقد كانت الحرب على الإرهاب التي فجرتها أحداث 11 سبتمبر **الفرازة البديلة** التي تبنتها الإدارة الأمريكية، ولما كانت الأمم المتحدة تتحفظ من هذه الحرب ومن استعمال القوة العسكرية في العلاقات الدولية بشكل عام، فقد ارتدت الولايات المتحدة ثوب الحرب العادلة كتبرير وشرعنة لحربها على الإرهاب، ولما كانت الحرب الأمريكية على العراق هي التطبيق الفعلي للإستراتيجية الإستباقية الأمريكية المستندة لمرجعية الحرب العادلة فقد عمدت الإدارة الأمريكية إلى محاولة تقديم مجموعة من التبريرات قبل وأثناء وبعد سقوط بغداد في 9 أبريل 2003 لإقناع الشارع الأمريكي والرأي العام العالمي بشرعية الحرب.

1- مبررات الحرب الأمريكية على العراق:

ويمكن تلخيص هذه التبريرات كما جاء على لسان صناع القرار الأمريكي فيمايلي:

1-1/ :

دخل السلاح النووي حيز الدراسات الاستراتيجية العالمية مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ومنذ ذلك الحين والكثير من هذه الدراسات وبكافة اللغات على الأرجح قد كتبت ونشرت معللة أهمية السلاح النووي في صراعات بسط النفوذ العالمي على مصادر الحياة الحيوية، هذا الصراع الذي بدا واضحا وجليا في منتصف الستينات وحتى قبيل نهاية الثمانينات بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي المنهار. فما هو تأثير الأسلحة النووية على منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة والعراق بشكل خاص؟ وما مدى تأثير هذا الفاعل في الحرب الأمريكية على العراق؟

بالرغم من أن أول حلقة في مسلسل الحرب على الإرهاب الذي تبثه الولايات المتحدة منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 كانت تدور أحداثها في أفغانستان، إلا أن تحول مسرح الأحداث الى العراق يعد التطبيق

الجوهري والرئيسي لمبدأ الضربات الإستباقية، فقد بنت إدارة بوش إستراتيجيتها على الربط بين ضرب العراق وامتلاك نظام صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل وبالتحديد الأسلحة الكيميائية والبيولوجية .

لقد عللت أمريكا هذا الربط وهذا التخوف بأحداث 11 سبتمبر على اعتبار أن هذه الأحداث قد أبرزت المخاطر التي يمكن أن تنجم عن انتشار أسلحة الدمار الشامل على الساحة الدولية عموماً، ولدى نظم مناوئة ومعادية مثل العراق وإيران وكوريا الشمالية، مما يهدد الأمن القومي الأمريكي خاصة أن هذه الأنظمة ستحاول - حسب الرؤية الأمريكية - الوصول إلى الولايات المتحدة عن طريق الصواريخ الباليستية أو عن طريق أية وسيلة أخرى. المهم أن النتيجة واحدة وهي إيقاع خسائر بشرية واقتصادية مروعة بالولايات المتحدة، لذلك ارتكزت سياسة إدارة بوش على أن الخيار العسكري يعتبر الخيار الفعال والوحيد لتدمير وإزالة القدرات العراقية في مجال أسلحة الدمار الشامل، مبررة ذلك بفشل العقوبات الاقتصادية والغارات الجوية وعمليات التفتيش الدولية.¹

وقد عبر الرئيس بوش الابن عن خطورة أسلحة الدمار الشامل على الأمن القومي الأمريكي والعالمي بقوله : " الدفاع عن السلام مجهود صعب ليس له أمد محدود، وتطارد أمريكا حالياً جنبا إلى جنب مع حلفائها مطاردة لا هودة فيها ، شبكات الإرهاب في كل ركن في العالم لإجهاض مخططاتهم وإيقاف تدريباتهم وتجفيف مصادر تمويلهم، وجنبا إلى جنب مع حلفائنا يجب أن نواجه الخطر المتناهي للدول التي تدعم الإرهاب وتسعى للحصول على الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية وبناء الصواريخ الباليستية ، إن الإحجام عن الفعل حول هذه القضايا يمكن أن تكون له نتائج مأساوية ونحن مطالبون بحرمان الإرهابيين وحلفائهم مـ الوسائل المتناسبة في مقدراتها التدميرية مع أد دهم".²

أضف إلى ذلك تأكيد الإدارة الأمريكية سواء قبل أو أثناء الاجتياح الأمريكي للعراق، على أن من أهم الأسباب الأمريكية على العراق هو امتلاك صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل، فقد إدعت إدارة خاصة وزير الدفاع "دونالد رامسفيلد" أنها على علم بكمياتها وأنواعها ومكان اختبائها. ففي الخطاب الذي ألقاه في 17 مارس 2003 الذي أعطى فيه سين مهلة 48 ساعة لكي يتنازل عن الحكم قال : " إن المعلومات الإستخبارية التي جمعتها حكومتنا والحكومات الأخرى لا تدع

اخترعها فتكا".³

¹ - أحمد إبراهيم محمود، " حرب العراق وتحولات الفكر الإستراتيجي الأمريكي "، السياسة الدولية، العدد 153، جويلية 2003، ص 114.

² - سعيد اللاوندي، المرجع السابق، ص 249.

³ - جايمنس بوفارد، المرجع السابق ص 350 .

هذا التأكيد دعمته وثيقة البيت الأبيض المعنونة بـ : " والذي ذكر فيها أمثلة عن انتهاكات صدام حسين لـ 16 قرارا لمجلس الأمن خلال العقد الماضي، كما أكدت الوثيقة امتلاك نظام صدام حسين لبرنامج للتسلح النووي قبل حرب الخليج الثانية واستمرارية العمل لتطويره، وقد استشهد محرروا هذه الوثيقة بتقرير صادر في 09 سبتمبر 2002 عن المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية -وهو معهد مستقل للبحوث- والذي خلص إلى نتيجة مفادها أن بمقدور صدام أن يصنع قنبلة نووية خلال شهور معدودة إذا ما تمكن من الحصول على مادة انشطارية.¹

من جانب آخر أكدت الولايات المتحدة أن نظام صدام حسين لم يتخلى عن برنامجه للأسلحة النووية، بدليل احتفاظه بعدد كبير من العلماء في المجال النووي، ووثائق البرنامج وجانب من البنية التحتية -الصناعات ذات الاستخدام المزدوج- التي يمكن أن تدعم إنعاش وتنشيط برنامج الأسلحة النووية.²

وعليه فعلى ضوء هذه الثقة والتأكيد مثل العراق من المنظور الأمريكي التجسيد الفعلي للربط بين الراديكالية والتكنولوجية، بين الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل، والذي على إثره قررت الولايات المتحدة محاربة خطره المتوقع دون انتظار وقوعه في إطار استراتيجيتها الجديدة القائمة على الضربات الإستباقية. ولكن هل فعلا نظام صدام حسين يشكل خطرا من جانب الأسلحة النووية ؟ بعبارة أخرى هل يمتلك العراق أسلحة دمار شامل فعلا ؟

يمكن الإجابة على هذه الأسئلة من خلال عدة نقاط أهمها :

1- تعرض المفاعل العراقي إلى عدة ضربات بإمكانها التأثير عليه، فقد قام إيران بتوجيه ضربة إلى المشروع النووي في العراق في 30 سبتمبر 1980 أي بعد تسعة أيام من بداية الحرب العراقية الإيرانية، إلا أنها لم تسفر سوى عن تدمير منشآت إدارية محدودة الأهمية في موقع المفاعل. ورغم هذه الضربة فقد انهمك العراق في حربه مع إيران متغاضيا عن اتخاذ إجراءات دفاعية لتأمين منشآته النووية وحمايتها ضد أي هجمات مستقبلية، لذلك نجحت إسرائيل في توجيه ضربتها للمفاعل النووي العراقي في 7 جوان 1981 مستغلة انهماكه في حربه مع إيران، ولقد اعتبرت هذه الضربة سابقة في العلاقات الدولية، حيث أثارت مخاوف في المجتمع الدولي من سعي الدول لتجريد خصومها بالقوة من قدراتها النووية.³

¹ - جعفر ضياء جعفر وآخرون، " - الإتهامات والحقائق- "، المستقبل العربي، العدد 307، أوت 2004، ص 46.

² - زينب عبد العظيم محمد، " الاستراتيجية الأمريكية العالمية واستمرار الحرب ضد الإرهاب"، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2003)، ص 82.

³ - أحمد إبراهيم محمود، " - أبعاد الصراع مع الولايات المتحدة و لجنة اليونسكوم- "، (القاهرة: مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية، 2004)، ص 43-44.

هذا بالإضافة إلى سنوات الحصار والدمار التي عاشها العراق جراء العقوبات التي فرضتها عليه الأمم المتحدة بتحريض من الولايات المتحدة عقب حرب الخليج الثانية والتي جردته من أبسط حقوقه المعيشية من غذاء وصحة... إلخ فكيف به يجد ما يطور به برنامجه النووي ؟ !

2- أكد "سكوت ريتز" و هو أحد المكلفين بالتفتيش الدولي على أسلحة الدمار الشامل في العراق على خلو البلد من هذه الأسلحة حيث قال: " حينما غادرنا العراق عام 1998 لى البنية

التحتية و الإمكانيات و تم تدمير خطة الإنتاج و تتبع التجهيزات و رصدها و دمرت "1

3- صدر عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية في أكتوبر 1997 تقريراً اعتبر النهائي يعلن خلو العراق بشكل تام من الأسلحة النووية و قد جاء في التقرير: " لا توجد دلائل تشير إلى وج

إنتاج كميات من المواد النووية المعدة للاستخدام في الأسلحة ذات أي قيمة " كما أشار التقرير إلى أن حرب الخليج الثانية ساعدت الولايات المتحدة على تدمير المرافق النووية العراقية بالقابل. 2

3- تأكيد " غريغ ثيلمان " و هو واحد من المحللين الذين عملوا على تحرير تقرير الدراسة الذي قامت دائرة الاستخبارات و البحث في خريف 2001 بالإشراف عليها، و التي كانت تعمل على القيام بمراجعة شاملة لتقدم العراق في تطوير أسلحة الدمار الشامل و التي تم تقديمها إلى وزير الخارجية " في ديسمبر 2001. حسب ثيلمان أوردت الدراسة بشكل أساسي أنه لا يوجد دليل مقنع يثبت إعادة تشكيل العراق لبرنامجها النووي، كما أكد ثيلمان أن الإدارة الأمريكية لم تكن مرحبة بهذا الخبر بشكل كلي. 3 ذلك أن التفنيذ الذي أعلنه تقرير دائرة الاستخبارات يبطل الحجة الأكثر تبريراً لشن الحرب على العراق.

4- أما " غاري ديلون " و هو مهندس بريطاني في الأمن النووي قضى ثلاثاً و عشرين سنة يعمل لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، و تقاعد برتبة مدير عمليات التفتيش، فيؤكد عدم منطقية الاعتقاد في مقدرة العراق على إبقاء برنامج سري أو مخفي لإنتاج كميات كبيرة من المواد المستخدمة في الأسلحة، و يرجع هذا الجزم إلى التطوير الهائل الذي حصل في العقد الماضي في القدرة التقنية لمفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية لاكتشاف النشاط الإشعاعي في المواقع الأرضية و في المجاري المائية، فحسبه هذه ليست كيمياء مطبخ فهي كيمياء على مستوى المعامل و في أي عملية هناك تسربات. 4

1 - سكوت ريتز و آخرون، المرجع السابق، ص 143.

2 - سيمور هيرش، المرجع السابق، ص 220.

3 - نفس المرجع، ص 219.

4 - نفس المرجع، نفس الصفحة.

مع كل هذه الدلائل و التقارير التي تنفي بقاء البرنامج النووي العراقي و تطويره والتي جُلها من وكالات التفتيش الدولية، تظل إدارة بوش متمسكة بهاته الحجة و معتبرة إياها سببا كافيا لشن الحرب على العراق بعلّة عدم وقوعها في الحلّول السلمية و "بالتاريخ الطويل" كما أسموه من الخداع الذي مارسه صدام حسين في تعاملاته مع المفتشين الدوليين.¹

ورغم ثبوت براءة العراق من أسلحة الدمار الشامل -إذا افترضناها جرما- فما زالت الإدارة الأمريكية و على رأسها تنتظر حدوث المعجزة بإيجاد هذه الأسلحة، و هو نص إجابة لأحد المراسلين، حيث سأله في 10 جويلية 2003 عما إذا كان الفشل في العثور على أسلحة الدمار الشامل قد أضر بمصداقية الولايات المتحدة فأجابه: "لست واثقا تماما مما يعنيه العراق برنامج لتصنيع الأسلحة، و أنا مقتنع تماما بأننا مع مرور الوقت سنكتشف بأنه كان لديهم برنامج لتصنيع الأسلحة".²

يبقى أن نقول أن فكرة استعمال السلاح النووي في النزاعات الدولية هي فكرة بالأساس أمريكية (ضرب هيروشيما و نكازاكي عام 1945) فبالرغم من أن استسلام اليابان كان متوقعا فقد لجأت الولايات المتحدة لهذا السلاح لغرض القيام بسابقة في العلاقات الدولية من جهة، و إثارة الرعب و التخويف لدى باقي الدول من جهة أخرى. و مع هذا تسعى اليوم لمحاربة دول تستعمل نفس الوسيلة - من وجهة نظرها هي- و إذا سلمنا بمدى إدراكها لخطورة هذا السلاح و من ثم محاولة تجنب العالم ويلات، فما بال سياسة إزدواجية المعايير التي تطبقها الولايات المتحدة الأمريكية في تعاملاتها، ففي الوقت الذي تسعى فيه إلى إدخال العلاقات الدولية مرحلة جديدة من سياسات منع الانتشار و التي قد تم تدشينها ضد دولة إسلامية هي العراق، تتجاهل الترسانة الإسرائيلية من جهة و القدرات النووية لكوريا الشمالية و التي أعلنت مؤخرا كدولة نووية جديدة منضمة للنادي الدولي النووي من جهة أخرى.

ثم إنه حتى و مع كل هذا التنفيذ والذي يؤكد هشاشة الحجة الأمريكية من الجانب النووي فيما يخص حربها على العراق، ففي حالة قيام هذه الحجة فعلاقة الولايات المتحدة بمسألة أسلحة الدمار الشامل لا تتجاوز من الناحية القانونية مجرد كونها دولة عضو في الأمم المتحدة، فطرفي الأزمة هما العراق من جهة و الأمم المتحدة و الوكالة الدولية للطاقة الذرية من جهة أخرى.

و عليه فادعاء الولايات المتحدة بحقها في استعمال القوة سواء بمفردها أو بتحالف مع الآخرين ضد العراق لسلبه أسلحة الدمار الشامل، إنما هو سلب للأمم المتحدة و مجلس الأمن حقهما و تعدي على اختصاصهما من جهة، كما أنه يشكل عدوانا على سيادة دولة عضو في الأمم المتحدة، و خروج على

¹ - نادية مصطفى و آخرون، "العدوان على العراق خريطة أزمة.."، (القاهرة: مركز البحوث و الدراسات السياسية، 2003)، ص 81.

² - جايمس بوفارد، المرجع السابق، ص 351.

مقتضيات التسوية السلمية للمنازعات الدولية و عدم مشروعية استعمال القوة أو التهديد باستخدامها في العلاقات الدولية وفقا لميثاق الأمم المتحدة.

1-2/ نظام صدام حسين :

سأل بوش الابن " " عن الشرق الأوسط فكتب في ديسمبر 2002 ورقة بعنوان "سيناريو لمرحلة ما بعد صدام" يقول فيها " "

على وجوه الموظفين الجالسين أمام أجهزة الكمبيوتر في مكاتبهم و هو الانطباع نفسه الذي يتخيل المرء أنه كان على وجوه العبيد الذين كانوا يحملون جرادل الوحل صعودا على سلالم الهياكل الهرمية البابلية أو الآشورية¹.

كانت و لا زالت هذه النظرة الأمريكية لصدام حسين والتي غذتها أحداث 11 سبتمبر 2001 ولكنها لم تخلقها، فحسب " " ليزا رايس " مستشارة الأمن القومي الأمريكي أن الرئيس بوش أعلن بوضوح أن " صدام حسين كان يطرح مشكلة 11 نه نظام سيئ جدا و سيكون العالم أفضل حال و أكثر أمنا حيث لن يعود موجودا"².

و بالرغم من أن صدام حسين صناعة أمريكية أوصلته للحكم كمحاولة لخلق شاه إيران آخر في المنطقة غير أن الطبيعة الخاصة لذات و شخصية صدام حسين حولته من حليف إلى عدو خاصة بعد فوزه في حربه على إيران و محاولته لتضخيم ذاته، والتي اتضحت من خلال إستراتيجيته في حرب الخليج الثانية والتي دلت على أنها إستراتيجية غير مدروسة، تعكس شخصية قائد متسرع أوصل شعبه إلى سنوات من الحصار و العقوبات الدولية .

مع هذا الجنون و التجبر و الاستبداد الذي أحيط بهم صدام حسين إعلاميا في حكمه لشعب العراق، إلا أن أحد المراقبين و بعد زيارة قام بها لبعض الدول العربية بعد ثلاث أسابيع من غزو الكويت، أكد أن العرب و المسلمون ينظرون إلى الولايات المتحدة بازدراء و أن آلاف المسلمين من المغرب إلى الصين احتشدوا أمام صدام حسين و لقبوه بالبطل المسلم، ففي باكستان و الأردن و اندونيسيا و دول أخرى مظاهرات احتجاجية أدانت الغرب و القيادات السياسية مثل " " و " بيندازير بوت " و " سوهارتو " الذين اتهموا بالخضوع للغرب و موالاة أمريكا، بينما ظهرت المعارضة للتحالف في سوريا حيث عارض العديد من المواطنين وجود القوات الأجنبية في الخليج، بينما 75% من مسلمي الهند

¹ - أحمد فاروق عبد العظيم، "النموذج الأمريكي الديمقراطي :"، السياسة الدولية، العدد 135، جويلية 2003، ص 151.

² - هيثم مزاحم، المرجع السابق، ص 179.

أدانوا الولايات المتحدة و العديد من مسلمي أندونيسيا كانوا ضد التدخل العسكري الأمريكي في الخليج العربي، أما المثقفون العرب فقد تجاوزوا وحشية صدام وأدانوا التدخل الغربي في الخليج.¹ هذا الإتفاق المعلن والضمني بين الشعوب الإسلامية على دكتاتورية صدام حسين و دمويته هو في النهاية حسبهم شأن عائلي يخص الأمة العربية، و بالتالي أي تدخل للغرب و خاصة الولايات المتحدة هو سعي للحفاظ على المصالح الغربية و ضمان للخضوع العربي للغرب، الأمر الذي جعل من صدام حسين بطل عربي في نظر الشعب العربي و مثقفيه، و الذين اعتبروا غزو صدام للكوييت خطأ و لكنه ليس بحجم التدخل الأمريكي في الموضوع ، و قد أثار هذا التأييد لصدام حسين قلق الولايات المتحدة ليصبح العدو البديل لها .

استعملت الولايات المتحدة حجة علاقة صدام حسين و حكومته بالملف الإرهابي كمبرر لعداؤها لشخصية صدام حسين ، هذا الربط بين الشخصية و الإرهاب انبنى على خلفية التغيير الذي حدث في الخطاب السياسي و الثقافي للقيادة العراقية السابقة بعد حرب الخليج الثانية، و ذلك باستخدامها للخطاب الديني ودعمها المادي الكبير للترويج للفكر الديني السلفي . حيث كشفت الوثائق بعد سقوط النظام السائد في وزارة الأوقاف السابقة أن ميزانية ضخمة رصدت لفتح مدارس دينية لترويج الفكر السلفي و إعطاء رواتب مغرية للدارسين في تلك المدارس الدينية، و القيام بحملة عقائدية و ثقافية منظمة لنشر و ترويض الفكر للحملة الإيمانية الضخمة التي كانت تشرف عليها بشكل مباشر.²

كما كان من أسباب العداء الأمريكي لشخصية صدام حسين ادعاء الإدارة الأمريكية ارتباط القيادة العراقية السابقة بمحاولة اغتيال بوش الأب في الكويت و أيضا بتفجير مركز التجارة العالمي في 1993.

كل هذه الأحداث مهما كانت درجة صحتها اعتبرت من الإدارة الأمريكية مبررا كافيا لعداء حسين كشخصية و نظام، حتى جاءت أحداث 11 سبتمبر و كما اعتبرت دفعا للعديد من الملفات التي كانت على طاولة صانع القرار الأمريكي يبحث لها عن مبرر للخروج للنور، كانت أيضا دفعا لملف صدام حسين فقد ربطت الإدارة الأمريكية الإرهاب بالأنظمة الدكتاتورية فلطالما عانى الشعب من الاضطهاد و الاستبداد تحول لزاما إلى العنف و الإرهاب كمحاولة للتحرر و للرد على نظامه و دكتاتوريته، و طوال الفترة 1991-2001 كان نظام صدام حسين الأكثر دكتاتورية في المجتمع الحديث خاصة و أن وسائل الإعلام العالمية قد ركزت على هذه النقطة لتحول صدام مرة إلى وحش و مرة

¹ - صمويل هنتغتون، "ترجمة: مالك أبو شهيرة و محمد خلف، (ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع، 1999)، ص 288.

² - كاظم حبيب، "ساعة الحقيقة-مستقبل العراق بين النظام و المعارضة"، (بدون مكان نشر، 1995)، ص 15-20.

أخرى إلى هتلر جديد و ثالثة إلى جلاذ كل هذه الحملة الإعلامية ساعدت الولايات المتحدة على إقحام صدام حسين كمبرر لحربها على العراق .

إذ فور أحداث 11 سبتمبر 2001 أعلنت الولايات المتحدة تورط في الانفجارات، و قد استندت في اتهاماتها على مزاعم أن ستة من منفي الأحداث و من ضمنهم قد التقوا عدة مرات مع أفراد في المخابرات العراقية في أحد الدول الأوروبية و أن هناك معسكر لتنظيم القاعدة في منطقة " جنوب العاصمة بغداد، و يعتقد أن وكالة المخابرات الأمريكية قد استندت في هذه المزاعم على أقوال عراقيين نزحوا إلى الغرب و كانوا منتميين إلى حزب المؤتمر الوطني المعارض بزعامة " 1 "

و بالرغم من أن التحقيقات حول أحداث 11 سبتمبر لم تبدأ فقد صاغ بيرل ريستول محرر مجلة " ديكلي ستندار " رسالة موجهة إلى وكان ذلك يوم 20/09/2001 أي بعد تسعة أيام من الأحداث و هي رسالة وقعها عدد من رموز المحافظين الجدد منهم "جين كير اترك" المندوبة السابقة لدى الأمم المتحدة تؤكد على أن "أي إستراتيجية ستصل الإرهاب و من يراعه لا بد أن تشمل جهدا يتسم بالتصميم زاحة الرئيس العراقي صدام حسين " 2 .

لقد كانت الحجة الأخرى لضرب العراق بالإضافة إلى استمرار حكومة في عدم تطبيقها لقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالسماح للجان تفتيش الأسلحة بمزاولة أعمالها في العراق، و أيضا باستمرار حكومة صدام بتصنيع و امتلاك أسلحة الدمار الشامل، ناهيك عن دكتاتوريته هي علاقته المتهم الأساسي في أحداث 11 سبتمبر و بالرغم من أن التقرير الصادر عن الهيئة التي شكلت من طرف مجلس الشيوخ لتقصي حقيقة الأمر في تاريخ 29 جويلية 2004 قد صرح بـ: " بعد جهود حثيثة من الهيئة لم يتم التوصل إلى دليل ملموس على ارتباط صدام حسين بتنظيم القاعدة " و في سبتمبر 2005 نفى كولن باول وجود أي علاقة بين الطرفين . 3

و بالرغم من هذا النفي يظل صدام حسين ضلع من أضلاع الحرب الأمريكية على الإرهاب و حتى و إذا كان الإدعاء الأمريكي صحيح، صنع أمريكي جندت الأول و حمسته للجهاد في أفغانستان ضد الاتحاد السوفياتي فكان إحدى أدوات الحرب الباردة، أما صدام حسين فكان أحد محفزات النظام الدولي الجديد ثم إن العداء الأمريكي لصدام عداء غير مبرر، فإذا كان بسبب انتهاكه لحقوق الإنسان فالمعروف أن الولايات المتحدة لم تكن فحسب الحليف الأهم لنظام صدام في فترة قوته التي مارس فيها الجزء الأكبر من فضائعه على حقوق الإنسان في العراق، إنما كانت مصدر تجهيزاته بمعدات إنتاج أسلحة الدمار الشامل التي استخدمها صدام حسين ضد الأكراد في أعقاب انتهاء الحرب العراقية

¹ - الشيخ غازي التوبة، المرجع السابق.

² - أحمد فاروق عبد العظيم، المرجع السابق، ص 150.

³ - مقال بدون مؤلف "الغزو الأمريكي للعراق"، نقلا عن: <http://ar.Wikipedia.org/Wiks/12/07/2008>

الإيرانية في 1988 و التي لعبت فيها الولايات المتحدة الدور الأساسي و الحاسم في دعم العراق لإخراجه منتصرا سواء على صعيد التسليح او على صعيد المعلومات الإستخبارية.¹

وأيا كان **فصدام حسين** قد أعدم و الحجة الأمريكية اقتلعت من جذورها حتى و إن تغاضينا على أن الحرب الأمريكية على العراق من زاوية تحرير الشعب العراقي من ظلم صدام حسين، هو تدخل في شؤون دولة ذات سيادة و عضو في الأمم المتحدة مثلها مثل الولايات المتحدة، و ذلك بدون الأخذ بعين الاعتبار حجم الدول في المجتمع الدولي ليبقى السؤال لماذا البقاء بعد صدام حسين ؟

1-3/ نشر الأفكار الديمقراطية:

إنبنى الفكر الليبرالي الأمريكي على مسلمة السلام الديمقراطي القاضي باستحالة صراع الدول الديمقراطية فيما بينها، و على أن الصراع الدولي أينما وجد انتهاك للقوى و تهديد للمصالح الأمريكية و للسلام و الأمن الدوليين و من ثم تهديد للأمن القومي الأمريكي، لذلك سعت الولايات المتحدة لنشر الديمقراطية عبر الدول التي ترى أنها مغيبة عنها، و قد اعتبرت عملية نشر الديمقراطية واحدة من الحجج التي بررت بها الولايات المتحدة حربها على الإرهاب و لا سيما على العراق، و عليه يتبادر إلى الذهن سؤال ملح كيف يمكن للديمقراطية رمز السلام و الحرية أن تكون سببا للحرب و إشعال الصراع ؟!

تعود فكرة توسيع الديمقراطية العالمية بالمعايير الأمريكية إلى إدارة "ريغان" في بداية الثمانينات من القرن العشرين و قد امتدت إلى إدارة عهد و قد اقتصر في البداية على شرق أوروبا و روسيا وأمريكا اللاتينية غير أن إدارة أعلنت تصميمها على ضم منطقة الشرق الأوسط إلى دائرة الإصلاح الديمقراطي و هذا في إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير.²

تنطوي فكرة الشرق الأوسط الكبير على تشجيع الديمقراطية و الحكم الصالح و تشير إلى استعداد البلدان الغربية لاسيما الولايات المتحدة لتقديم مساعدات تقنية و تدريبية في هذا المجال على اعتبار أن الديمقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفردية، قد تبدو الفكرة مجدية بهذا الشكل بالنسبة للشعوب العربية خاصة، لكن عندما يرتبط الإصلاح والتغيير بالصراع تأخذ الفكرة منحى آخر.

سعت الولايات المتحدة إلى تفعيل دورها في المنطقة العربية والإسلامية عسكريا وسياسيا وثقافيا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 و التي كانت نقطة تحويل في موقفها، حيث أعلنت بعدها عن ضرورة تغيير

¹ - زينب عبد العظيم محمد، " - في أوائل القرن الحادي والعشرين -"، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007)، ص 111.

² - Joseph S Nye, «US Power and strategy after Irak», Foreign Affairs, Vol82 n°4, July/August2003

أساليب الحكم في الدول العربية الإسلامية متخيلة بذلك مساندة النظم الحليفة لها، وساعية إلى محاولة تطويرها لتصبح أكثر تعبيراً عن المصالح الأميركية و أكثر كفاءة في تقليل انتاج حركات المقاومة أو حركات الإرهاب حسب الوصف الأمريكي من خلال إحداث تغيرات إجتماعية و ثقافية، كما أعلنت في ذات الوقت استخدام القوة العسكرية و كل أشكال الضغوط لتغيير النظم التي ترفض تنفيذ المطالب الأمريكية قطعاً و تحفظ على مصالحها الوطنية .¹

عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 و في بداية الإستعداد للحملة الأمريكية على العراق غمر بوش وسائل الإعلام بالكلام المسهب عن الحرية، و بأن حربه على العراق ما هي إلا عملية تحرير لشعب أنهكه استبداد حاكم ديكتاتور فقد أطلق على الاجتياح اسم عملية "حرية العراق " كما أكد بوش في بداية وأثناء حملته أن الولايات المتحدة تحرر بلداً أجنبياً و تطلق سراح 25 مليون عراقي، وذلك بغية استمالة الرأي العام الأمريكي والعالمي أيضاً، فالمواطن الأمريكي يعتقد في رسالية بلده وبأنها حاملة مشعل الحرية و الإنسانية، و في ذلك أعلن في جويلية 2003 بأنه بالنظر إلى العمليات التي تقوم بها الولايات المتحدة في العراق فإن " الناس سيعرفون أن كلمة الحرية وأمريكا مترادفتان " . وعليه ونظراً لهذا التغني المستمر بالحرية فقد شاب الحرب الأمريكية على العراق هالة من القدسية على الأقل في أذهان عشرات الملايين من الأمريكيين.²

ومع كل المجهودات التي بذلها و مع كل التجميل حربه على العراق وإعطاءها مسميات بعيدة عن الاستعمار والامبريالية فقد انطوت حرب الخليج الثالثة على العديد من المؤشرات التي تنصب جلها في خيبة التوقعات الاستعمارية والسياسة الأمريكية بشأن رد فعل الشعب العراقي من الحملة الأمريكية، والتي برزت بشكل واضح في المقاومة العنيفة التي قابل بها الشعب العراقي جنود الائتلاف. فالمفروض أن شعباً يعاني ويلات الظلم و الإستبداد و مقتنع بنزاهة طرف ثالث في تحريره يرحب بقدومه و يستقبله بالورود و الهتافات و لكن ما حدث هو العكس، فرغم الدعاية المكثفة التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن الشعب العراقي الذي أعلن تحفظاته إزاء السياسات الطائشة و الممارسات القمعية لنظام صدام حسين يأبى التدخل الأجنبي مهما اختلفت مسمياته، و مع أن الكثير من التحليلات ردت المقاومة العنيفة التي استقبلت بها القوات الأمريكية في العراق إلى العناصر المستفيدة من بقاء نظام صدام حسين مثل ميليشيات فدائي صدام، و ميليشيات حزب البعث، و أجهزة الاستخبار للعراق و القوات النظامية و

¹ - محمد المسفر " صراعات التغيير و الإصلاح في المنطقة... إلى أين " شؤون عربية، العدد 123، خريف 2005، ص 25.

² - جايمس بوفارد، المرجع السابق، ص: 362.

قوات الحرس الجمهوري.¹ إلا أن صور دخول جنود الائتلاف للعراق أكدت مدى ذكاء الشعب العراقي وإدراكه لما وراء تحرير العراق.

تأتي فكرة ربط الديمقراطية بالحرب الأمريكية على العراق من منطلق الإدعاء الأمريكي بتكثيف العمل ليكون العراق نموذجاً للإصلاح على الطريقة الأمريكية لكي تقتدي به دول المنطقة، فمن وجهة النظر الأمريكية أن عملية الإصلاح الشامل في الدول النامية أصبحت أمراً حتمياً من أجل سلامة الأمن القومي الأمريكي، فالإرهاب من وجهة النظر الأمريكية ولد في أحضان الدول النامية أو الأكثر تخلفاً و التصدي للإرهاب يكمن في إصلاح مجتمعات هذه الدول اجتماعياً سياسياً و اقتصادياً وثقافياً فالمجتمعات الفقيرة تفتقر إلى الحرية و الحقوق السياسية و الإنسانية، كما أن هذه المجتمعات هي التي يتفشى فيها الإرهاب بدرجة كبيرة، و بالتالي تصبح هذه المجتمعات بيئة لنمو خلايا إرهابية و عليه يرى الجانب الأمريكي أن كسب الحرب على الإرهاب لا يكون إلا بمواجهة أسبابه الحقيقية و التي تكمن جذورها في الأسس الاجتماعية و السياسية التي تسببت في زيادة تخلف المجتمعات الفقيرة.

و عليه تتحمل أمريكا مهمة إعلاء العدل و المساواة و المضي بهذه الشعوب نحو التنمية المستدامة و بالتالي يمكن القضاء على الإرهاب و خدمة المصلحة الأمريكية التي هي الهدف الأمريكي الأسمى و في هذا يقول بوش الابن : " إن الفرصة الأكثر أهمية بالنسبة لأمريكا هي خلق توازن للقوى ينتصر للحرية الإنسانية، و سنستخدم قوتنا و نفودنا غير المحدودين لخلق مناخ من النظام و الإنفتاح العالمي الذي يساعد على ازدهار التقدم و الحرية في كثير من الأمم. إن عالماً يسوده السلام و تنمو فيه الحرية، يخدم المصالح الأمريكية الطوي دى، و يعكس القيم الأم ريكية الراسخة و يوحد ح فاء أمريكا ، و نحن ندافع عن هذا السلام بمعارضة و منع العنف الذي يمارسه الإرهابيون و الدول المارقة، و

عنه بإقامة علاقة جديدة بين القوى العالمية العظمى ، و نوسع أفاق هذا السلام بتشجيع المجتمعات

2 "

لكن هل تكفي هذه الإصلاحات لاستئصال جذور الإرهاب خاصة أنها مفروضة من طرف و مرفوضة من الطرف الآخر ؟ و هل يمكن إنجاح مثل هذه التغييرات في دولة مثل العراق؟

يجيبنا الذي يذهب إلى أنه على أمريكا " التنكر إلى إغراء تبشيري بإرساء الديمقراطية في بلد ليست الديمقراطية من تقاليده، إن هدفنا في العراق يجب أن يكون إقامة ديمقراطية علمانية انتقالية توحد طبقات التجار على اختلاف انتمائاتهم الطائفية، و يجب أن لا ننسى أن الشرق الأوسط هو مختبر لسياسة القوة الصرف [...] إن السؤال الحقيقي ليس إذا كان بإمكان الجيش الأمريكي

¹ - أحمد إبراهيم محمود، "حرب الخليج الثالثة: الاستراتيجيات العسكرية و دلالات الصمود العراقي"، السياسة الدولية، العدد 158، أفريل 2003، ص 58-59.

² - منار محمد الرشواني و آخرون، "احتلال العراق-الأهداف-النتائج-المستقبل"، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 249.

أن يزيل نظام صدام بل هو إذا كان لدى الجمهور الأمريكي ما يكفي من الشجاعة لتورط امبريالي من نوع لم نعرفه منذ احتلت الولايات المتحدة ألمانيا و اليابان " ¹ و بهذا ينسف روبرت كابلان مبادرة المشاركة من أجل الديمقراطية التي يطرحها التصور الأمريكي للشرق الأوسط و يحولها الى مشروع امبريالي جديد.

و هي نفس الفكرة التي يطرحها ليون هادار الذي يجادل المفكرين المحافظين الجدد الذين يصرون على إمكانية تحويل العراق الى نموذج مشع للديمقراطية في الشرق الأوسط، فيطرح هادار ازدواجية غريبة تسعى إدارة المحافظين الجدد الوصول اليها و هي ديمقراطية تسمح باجراء انتخابات حرة ، و نهج استعماري يتطلب الاستقرار أي إيجاد إمبراطورية ديمقراطية، و هي الفكرة التي يرى هادار أنه لا يمكن المحافظة عليها على المدى الطويل لذلك يقترح هادار على المحافظين الجدد خياران متروكان لتقديرهم، إما ضمان مشروعهم الاستعماري وبالتالي التخلي عن الإدعاءات الديمقراطية والشروع في ممارسة القمع، أو التخلي عن الترويج للديمقراطية وتقرير المصير. ²

يلمس هذا الطرح جانب مهم من ازدواجية المعايير التي تنبني عليها السياسة الأمريكية ومع ذلك قد نسلم بالحجة الأمريكية الديمقراطية لتبرير الحرب على العراق ولكن هل العراق الدولة الوحيدة في العالم التي تعاني من نظام ديكتاتوري؟! هل فعلا تريد الولايات المتحدة لشعوب الشرق الأوسط و الشعوب العربية تحديدا بكل ما لديها من تجارب مريرة مع الإستعمار و ما تملكه من ثروات هائلة أن تصبح مصدر كل السلطات و أن تتحكم بمصائرها؟ و إذا كان الجواب بنعم أليست الديمقراطية بمعناها الإغريقي حكم الشعب لنفسه بمعنى أن الديمقراطية لا تفرض بواسطة الغزو الخارجي و انما هو الشعب الذي يفرض نظامه و يفرزه، فالديمقراطية و القوى العسكرية فكرتان متناقضتان فطالما كانت هناك ديمقراطية لا بد ان يكون سلام فكيف يتحول السلام الى سبب لإثارة الحرب ؟ و كيف يمكن لتجار الحروب أن يتحولوا فجأة إلى أنبياء الديمقراطية؟

في عرض موجز للتبريرات الأمريكية في حربها على العراق تظهر أحداث 11 سبتمبر كفاعل أساسي في هذه الحرب، فقد حولت الولايات المتحدة الأمريكية تاريخ 11 سبتمبر حدا فاصلا بين مرحلتين بحيث يسهل بعد ذلك رد كل التطورات اللاحقة الى ما حدث في ذلك التاريخ. لتبدو السياسة الأمريكية و إستراتيجيتها الإستباقية و كل الحروب الأمريكية الناتجة عن تلك السياسة و كأنها رد فعل فقط على ما حدث في ذلك اليوم وبذلك تحيل الولايات المتحدة ممارستها على الساحة الدولية إلى مرجعية واحدة هي الإرهاب الإسلامي . لذلك سعت الولايات المتحدة إلى الإسهاب في الترويج لحججها في حربها على

¹ - أحمد فاروق عبد العظيم، المرجع السابق، ص 151.

² - ليون هدار، "عاصفة الصحراء- فشل السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط"، ترجمة: سعيد الحسنية، (بيروت ، الدار العربية للعلوم ، 2005)، ص 78-79.

العراق كمحاولة لإضفاء نوع من الشرعية على سياستها، و لكن هل هذه الحجج هي السبب الحقيقي لشن الحرب، أم أن أمريكا تخفي أهداف تخدم مصلحتها الخاصة من وراء حربها على العراق؟

2- الأهداف الأمريكي :

تعرضت التبريرات التي قدمتها الإدارة الأمريكية فيما يخص اجتياح العراق إلى العديد من الانتقادات واسعة النطاق، بدءا من الشارع الأمريكي إلى الرأي العام العالمي إلى العديد من المعارضين، و التي تؤكد ازدواجية المعايير الأمريكية و تنم على أن الحجج الأمريكية من أسلحة دمار شامل، لخطورة نظام صدام حسين، لمحاولة إصلاح المنطقة ما هي إلا غطاء للنوايا الأمريكية و التي يمكن تلخيصها في :

1-2/ :

احتل العالم العربي بشكل عام و الشرق الأوسط بشكل خاص موقع استراتيجي في قلب العالم القديم ، و رغم أن ثمانين بالمائة من أراضيه صحراوية إلا أنه يزخر بالمواد و الثروات الطبيعية و التي يعتبر النفط أهمها على الاطلاق، اذ تحتوي المنطقة العربية و خاصة الخليجية منها على مخزونات هائلة منه، و تمثل بذلك أكبر احتياطات النفط في العالم، و لهذا كانت هذه المنطقة محل تنازع لأطماع القوى الكبرى و خاصة الولايات المتحدة صاحبة الإقتصاد الأقوى في العالم و المعتمد على النفط كمصدر رئيسي للطاقة ، و من هنا جاء الإهتمام الأمريكي البالغ و المتزايد بهذه المنطقة بالذات.

يرجع الإهتمام الأمريكي بالمنطقة إلى مطلع القرن العشرين حيث بدأ النفوذ الاقتصادي الأمريكي يتزايد و يتوسع في شبه الجزيرة العربية حين حصل بعض رجال الأعمال الأمريكيين على عدة امتيازات اقتصادية كان أهمها مد السكك الحديدية ثم التنقيب على النفط في منطقة الموصل شمال العراق و صحراء النقب في فلسطين في ظل الدولة العثمانية آنذاك، لكن بعد تفكك هذه الدولة و تقسيمها بين فرنسا و بريطانيا إلى مناطق انتداب، حاولت الولايات المتحدة الحصول على امتيازات أكبر و توسيع استثماراتها في المنطقة بالضغط على دول الانتداب من أجل ذلك، حيث أرستها هذه الدول بمعاهدة خاصة سنة 1924 أقرت مبدأ مساواتها بامتيازات دول الانتداب، و قد اقتنعت الولايات المتحدة بهذه الإمتيازات و لم تبدي الشركات النفطية الأمريكية اهتمامها بالاحتياطي النفطي و الذي يرجع الى عاملين:¹

أولهما: أن اكتشاف نفط أوكلاهوما عام 1907 قد ضمن احتياطا كافيا للاقتصاد الأمريكي في ذلك الوقت.

¹ - خيرية قاسمية و آخرون، المرجع السابق ، ص 27.

ثانيهما: أن عمليات التنقيب ذاتها كانت محتكرة من قبل دول الإنتداب و خاصة بريطانيا، و بعد نمو الإقتصاد الأمريكي و ازدياد الحاجة الى الطاقة بدأت الشركات الإستثمارية الأمريكية تبدي اهتماما أكبر بالإحتياطي الخارجي من النفط.

أما بالنسبة إلى الإهتمام الأمريكي بالعراق كحالة خاصة فيعود الى سياسة العراق في سوق النفط و التي مثلت تاريخيا عقبة أمام الإستراتيجية الأمريكية في سوق النفط، فقد عمل العراق دائما على الوقوف في صف الصقور بين الدول المصدرة للنفط و داخل منطقة الأوبك و عمل دائما على رفع أسعار النفط لضمان عائد عادل للدول المصدرة للنفط.¹ كما قام بتأميم ثروته النفطية عام 1972 و قاد المقاطعة العربية النفطية للولايات المتحدة و الغرب بعد الحرب العربية الإسرائيلية عام 1973، حيث رفع شعار " **النفط سلاح المعركة** "، ومع هذا التخوف أعدت مكتبة الكونغرس الأمريكي تقريراً جاء فيه احتمال قيام الولايات المتحدة بعمل عسكري ضد دولة منتجة للنفط في حالة فرضها حضرا نفطيا.²

غير أن تغير القيادة العراقية و التي فتحت مجال التقارب الأمريكي العراقي أحدث تطبيعا في العلاقات العراقية الأمريكية النفطية لتأتي حرب الخليج الثانية فتهدد المصالح الرئيسية للولايات المتحدة و المجتمع الدولي ككل في الوصول إلى مصادر النفط في المنطقة، فقد بينت هذه الحرب أن المصلحة الأمنية العالمية يهددها التقلب السياسي في المنطقة لذلك أهم سؤال تبادر إلى ذهن صانع القرار الأمريكي هو ما الدور الذي سيفعله نفط الخليج في الإقتصاد العالمي في العقد القادم، وكيف يمكن حماية مصالح المنتجين و المستهلكين و ضمان تدفق شحنات النفط في الوقت نفسه؟³

لما كان العراق مالكا لأكبر احتياطات النفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية حيث تتراوح احتياطاته النفطية بين (112-120) مليار برميل أي ما يعادل 11 و 12% من مجمل الاحتياطيات العالمية، كما يؤكد الخبراء في مجال النفط أن العراق لو أتم التنقيب لأصبح يملك مثلي احتياطاته الحالية أي بين (336-360) بما يعادل 33 و 36% من مجمل الإحتياطيات العالمية، غير أنه وبدء من العام 1980 قد أوقف التنقيب جراء الحروب التي خاضها مع إيران ثم مع الكويت، بالإضافة للحصار الدولي الذي عايشه عقب حرب الخليج الثانية، كل هذه الظروف لم تمكن العراق من استئناف عمليات التنقيب. و ينتج العراق ما يتراوح بين (1.5- 2.3) مليون برميل يوميا بحجم احتياطي مقدّر بـ 112 مليار برميل، و بصادرات بلغت 2,5 مليون برميل يوميا وذلك في 1990، غير أنها بلغت في العام 2001

1- عادل الجورجي، " أسرار و خفايا المقاومة العراقية "، (دمشق: دار الكتاب العربي، 2005)، ص 26.

2- محمد مظهر الأدهمي، " الطريق إلى حرب الخليج "، (الأردن: الأهلية للنشر و التوزيع، 1997)، ص 10.

3- فيبي هارو، ويليام لويس، " امتطاء النمر، تحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة "، ترجمة: عبد الله جمعه الحاج، (أبو ظبي، مركز الامارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية، 2006)، ص 19.

حوالي 1,1 مليون برميل يوميا كما هبط الإنتاج من 3,5 مليون برميل يوميا إلى 2,3 مليون برميل بسبب الحصار أيضا.¹

و بالإضافة إلى فائض الإنتاج النفطي العراقي فهو يتميز بغزارة الإنتاج، حيث يصل إنتاج البئر العراقية إلى حوالي 13,8 ألف برميل مقابل 8 آلاف برميل إنتاج السعودية و 2,1 ألف برميل إنتاج البئر الإيرانية، و 55 برميل إنتاج البئر الكندية، و 15 برميل إنتاج البئر الأمريكية، وهذا يعني أن إنتاج البئر العراقية يعادل 900 ضعف إنتاج البئر الأمريكية، مما يفسر انخفاض تكاليف إنتاج برميل النفط العراقية إلى نحو 70-80 سنتا، بينما يصل في الولايات المتحدة إلى أكثر من عشر دولارات.²

و لما كان نفاذ حقول البترول الأمريكية أمر متوقع ذلك أن عمر الإحتياطي الأمريكي المتبقي يقدر بعشر سنوات مما يزيد في استيراد البترول، في حين يرتفع عمر الإحتياطي البترولي إلى 21 سنة في روسيا ووسط آسيا السوفييتية السابقة و إلى 33 سنة لبترول أمريكا اللاتينية و إلى 83 سنة لبترول الشرق الأوسط.³

و لما كانت سياسة الطاقة في إدارة بوش الإبن مبنية على المزيد من الاعتماد على البترول، و خاصة الرخيص منه الوارد من الخليج، ذلك أن واشنطن تدرك أن طاقة النفط هي الأرخص و الأسهل، وأن إنتاج طاقة بديلة مازال في إطار البحث. كان على الولايات المتحدة البحث عن مورد نفطي رخيص و غزير يساعدها في التقليل من وارداتها النفطية، لذلك رأت الإدارة الأمريكية أن السيطرة على العراق ستسمح لأمريكا بخفض الميزة التي يتمتع بها النفوذ البترولي السعودي كما يمنح أمريكا سلطة أكبر في سوق البترول العالمي.

أيضا في ظل الضغوط الاقتصادية الأمريكية المتتالية رأت الإدارة الأمريكية أن استعادتها لعصر النفط الرخيص ينعش اقتصادها و يحقق مكاسب هائلة و فائض ضخم، حيث أن انخفاض سعر برميل النفط دولارا واحدا يعني انخفاض مدفوعات واشنطن في وارداتها النفطية بمقدار 4 مليارات دولار سنويا، أما في حالة انخفاضه بمقدار 10 دولارات للبرميل فيتحول مستوى 18 دولار للبرميل، فهذا يعني أن الولايات المتحدة ستكسب نتاجا لذلك 40 مليار دولار في العام، و كلما انخفض سعر البرميل انخفض حجم المدفوعات الأمريكية على الواردات النفطية.⁴

و ليس بعد الأرقام السابقة دليل أقوى على الدور البارز للبترول في السياسة الأمريكية بالنسبة للعراق، و إذا كانت الولايات المتحدة تتحجج دائما بأحداث 11 سبتمبر 2001 في حربها على الإرهاب

¹ - سمير صارم "انه النفط يا (...)- الأبعاد النفطية في الحرب الأمريكية على العراق-"، (دمشق: دار الفكر، 2003)، ص 51.

² - نفس المرجع، ص 82.

³ - محمد رياض، "العدوان على العراق- نموذج للهيمنة الأمريكية-"، قضايا فكرية، الكتاب 21، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2005)، ص 187.

⁴ - عادل الجوجري، المرجع السابق، ص 27.

فالأطماع الأمريكية في النفط العراقي أبعد من ذلك التاريخ، فسلوك الإدارة الأمريكية إزاء العراق مفعما بقدر هائل من الرغبة في الإنتقام و التنكيل به و الرغبة في نهب ثروته النفطية الضخمة، و تحويله إلى عبء لكل الدول التي تفكر في معارضة الولايات المتحدة، كما كان الموقف العراقي أثناء اعتبار النفط سلاح للمعركة، هذا جانب ومن جانب آخر فقد اتضحت الأهداف الأمريكية النفطية عقب حرب الخليج الثانية، وذلك بحسب خلفية برنامج النفط مقابل الغذاء و التي كان الهدف الأساسي منها ليس الضغط على العراق في حد ذاته و إنما ضمان التحكم في سوق النفط العالمي لأطول وقت ممكن، من خلال السيطرة على النفط الخليجي إنتاجا و تسويقا و تسعيرا، و لذلك فقد أجبرت الدول الخليجية ذات الإنتاج النفطي الكبير على مضاعفة طاقتها الإنتاجية لتعويض حصة العراق و تعميق الانقسام داخل منظمة الدول المصدرة للنفط **OPEC** و تهميش الدول المنتجة الأخرى و الخارجية على هيمنتها في هذه المنطقة التي سببت لها الكثير من الإزعاج قبل ذلك، هذا من جهة و من جهة أخرى لدفع هذه الدول الخليجية حتى تقوم بتسديد فواتير الحرب الضخمة و تنفق الباقي من مواردها على القوات الأجنبية المتواجدة على أراضيها وعلى مشترياتها من الأسلحة الأمريكية للحفاظ على أمنها.¹

لأجل هذا ذهب المحللين السياسيين و حتى الرأي العام العالمي إلى رد سبب حرب الخليج الثالثة، إلى الاستيلاء على منابع البترول و السيطرة الكاملة على بترول الخليج لاستغلاله و التحكم في إمدادات البترول لدول شرق آسيا، و خاصة الصين التي تعتبر المنافس الأول للولايات المتحدة و العدو الثاني بعد الدول الإسلامية في صراع الحضارات.

لذلك سعى العديدين إلى تغيير مقولة "نابليون" "من فتش عن المرأة إلى فتش عن النفط" وهو ما عبر عنه المحلل "انطوني كارديسمان" في صحيفة واشنطن تايمز في عددها الأول من شهر أوت 2002 حيث قال: " إن أمريكا لن تشب حربا على العراق بحجة وجود أسلحة دمار شامل أو لمشاركته بعمليات إرهابية بل كون العراق يملك 60% من فائض النفط"² وهو ما ذهب إليه الأمريكي "مايكل رنر" MICKAEL RENNER في موضوع بعنوان "النفط و الدم: الطريق للاستيلاء على العالم" OIL AND BLOOD : THE WAY TO TAKE OVER THE WORLD و الذي أكد أن حجة تخليص العراق و العالم من نظام صدام حسين ماهي إلا واجهة لخلفية دعم اقتصاد يقوم على طاقة الزيت بالأساس، إذ يذهب " رنر" إلى أن الإستهلاك الأمريكي للنفط قد زاد إلى ما يقرب مائة مليون طن، هذا الاعتماد الهائل على البترول هو وراء هدف الولايات المتحدة أن تفشل مجهودات الحصول على أشكال من الطاقة المتجددة التي يؤدي انتشار استخدامها إلى وقف التغيرات المناخية و البيئية في العالم،

¹ - أسامة عكنان، " إحصار الخليج...رياح الشرق تهب على مستقبل العالم"، (الجزائر: دار الشهاب، 1991)، ص ص162-166.

² - سمير صارم، المرجع السابق، ص 82.

كما يشير " رنر " إلى أن الإدارة الأمريكية التي سحبت تمويل مشاريع الطاقة المتجددة تنفق في حربها على العراق ما يقارب 200 مليار دولار وهي بذلك قد رفضت بروتوكولات "كيوتو" من ناحية ووضعت عصا في عجلة أبحاث الطاقة النظيفة من جهة ثانية، فحصلوا واشنطن على البترول الرخيص هو بمثابة قتل مقررات "كيوتو" يؤكد "رنر" و عليه تتحول الحرب على العراق إلى عدوان على مناخ العالم.¹

و عليه يمكن القول أن النفط كان محورا أساسيا ومؤثرا في السياسة الأمريكية تجاه العراق ذلك أنه و باعتباره يمثل ثاني إحتياطي في العالم يعد الوسيلة المثلى بالنسبة للولايات المتحدة لإدارة النظام الاقتصادي، ولما كان نظام صدام حسين المتعنت يقف حجر عتبة أمام الطموح الأمريكي تحول صدام حسين و نظامه سببا للحرب، في حين يثبت الطموح النفطي الأمريكي أنه هدفا للحرب ناهيك على أن تاريخ العراق و صدام ارتبط منذ البدء بعائلة آل بوش الذي يعد النفط أهم سماتها الوصفية، فكما كان النفط عاملا أساسيا في حرب بوش الأب على العراق أثناء حرب الخليج الثانية يعد واحد من أهم فواعل حرب الخليج الثالثة.

2-2/ دعم إسرائيل:

يذهب الكثير من المحللين المناهضين للحرب الأمريكية على العراق إلى إقحام الدعم الأمريكي لإسرائيل كهدف من أهداف الحرب، و يستدلون على ذلك بالإنحياز الأمريكي لإسرائيل و المصالح المشتركة بينهما و الذي يرى من العديد من الزوايا تاريخيا و دينيا وحضاريا و اقتصاديا. تاريخيا يعود الإنحياز الأمريكي لإسرائيل إلى أواخر القرن التاسع عشر حيث تدخلت الولايات المتحدة بطريقة غير مباشرة في تأييد أطماع الحركة الصهيونية في فلسطين، عندما طالبت من الباب العالي في الأستانة إبان الدولة العثمانية تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، بل حاولت أيضا أن تضغط عليه للسماح لهم بشراء أراضي هناك، ورغم أن تلك الضغوطات أثمرت "وثائق حماية" استفاد منها اليهود الأمريكيون إلا أن التدخلات الأمريكية لم تقف عند هذا الحد بل تعدته إلى محاولة تغيير القانون العثماني نفسه، و الذي يحرم على أبناء الطائفة اليهودية إمتلاك أراضي في فلسطين من عامي 1880 و 1900 وقد ادعت أن احتجاجاتها على هذا القانون ليست لحماية اليهود بل لإقرار المساواة بين جميع الأمريكيين المسيحيين منهم و اليهود.²

¹ - محمد رياض، المرجع السابق، ص 187-188.

² - خيرية قاسمية و آخرون، المرجع السابق، ص 100.

وقد كان سعي الولايات المتحدة لتأمين مصالحها في الدولة العثمانية يرتبط مباشرة بالاهتمام المتزايد الذي أبدته بأحوال اليهود في فلسطين، و بقضايا الإستيطان و الهجرة الصهيونية بموجب الامتيازات الأجنبية، و بحجة العطف الإنساني على هذه الطائفة التي بقيت مشردة -حسبها- لعدة قرون ولم تجد لها وطنا يجمعها ككل الشعوب الأخرى، ولهذا كان آخر ثلاثة سفراء أمريكيين في الأستانة من اليهود. إلا أن الدور الأمريكي رغم كل ذلك لم يكن بارزا آنذاك قياسا بالدور البريطاني، خاصة و أن الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة كانت لا تزال مدار جدل بين اليهود أنفسهم، مع أنها ضمت إليها عددا من ذوي النفوذ و لعبت دورا كبيرا في حملة ولسون الرئاسية سنة 1912، ولم تكن تلك إلا البداية فالدور الأمريكي بدأ يتزايد شيئا فشيئا بعد ذلك حتى جاءت الخطوة الأكثر تأثيرا على المصير العربي و التي أقدمت عليها الولايات المتحدة في وقت مبكر من هذا القرن، وهي تأييدها للانتداب البريطاني على فلسطين صراحة و الذي وضع أساسا ليحدد معالم السياسة التنفيذية لتحقيق مشروع "الوطن القومي لليهود" وهو ما جرها بعد ذلك إلى خطوة أكثر اندفاعا، حيث وافق الكونغرس الأمريكي علنا على تأييده لـ " وعد بلفور" الصادر في 02 نوفمبر 1917.¹

ورغم أن اللجنة الأمريكية المعروفة بلجنة "كنج كراين" التي زارت فلسطين سنة 1919 كشفت عن حقيقة مفادها أن الغالبية العظمى من سكان فلسطين تعارض فكرة الوطن القومي لليهود و تطالب بالاتحاد العربي مع سوريا في إطار دولة الشام الكبرى، إلا أن الكونغرس الأمريكي أصدر بعد ذلك قرارا في 20 جوان 1922 بالموافقة على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني رسميا، و بذلك أصبحت السياسة الرامية إلى إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين خطة إستراتيجية التزمت بها الولايات المتحدة بعد ذلك في كل سياساتها تجاه المنطقة العربية ككل، حيث أن هذا الاتجاه نحو إحتضان الأهداف الصهيونية في ذلك الوقت لم يكن معزولا عن الأهداف الإستراتيجية لهذه السياسة.²

و عليه فمن الواضح أن الولايات المتحدة منذ اللحظة الأولى و لأسباب كثيرة قد راهنت على المشروع الصهيوني و الإستثمار فيه بأقصى ما تستطيع، فقد أيدت وعد بلفور البريطاني و تحمست له أكثر من أي طرف دولي آخر، وبعد تغير الموازين عقب الحرب العالمية الثانية اضطرت بريطانيا لتعديل سياستها في فلسطين مما أصاب آمال الحركة الصهيونية و أكثر الأطراف الدولية حماسا و ضغطا لقبول الأعداد المتزايدة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وحيث اضطرت بريطانيا لعرض المسألة الفلسطينية على الأمم المتحدة لعبت الولايات المتحدة الدور الأكثر حسما لحمل الجمعية العامة على تبني مشروع التقسيم عام 1947 و كانت أول دولة في العالم تعترف بإسرائيل فور إعلان قيامها عام 1948.³

¹ - صلاح الدين إبراهيم، المرجع السابق، ص 153-156.

² - خيرية قاسمية وآخرون، المرجع السابق، ص 103.

³ - حسن نافعة، المرجع السابق، ص 75.

لقد عرفت العلاقات بين الولايات المتحدة و إسرائيل تطورا كبيرا و ملحوظا بعد ذلك حتى صارت توصف بالعلاقة الفريدة و المتميزة، وهو الأمر الذي حير الكثيرين فإسرائيل ليست مستعمرة أمريكية أو عربية في المنطقة، كما لا تمثل مجرد موقع استراتيجي كجبل طارق مثلا، إضافة إلى عدم وجود تحالف واضح عسكري أو اقتصادي بين الطرفين فماذا تمثل إسرائيل للولايات المتحدة؟ وما هو الدور الإسرائيلي في الحرب الأمريكية على العراق؟

يذهب الكثير من المحللين إلى أن العلاقة بين الولايات المتحدة و إسرائيل هي في الأساس علاقة التزام من جانب الولايات المتحدة تجاه إسرائيل، حيث هناك اتفاق على أن إسرائيل من المنظور الأمريكي هي تجسيد للدولة اليهودية المنشودة، وترجع جذور هذا التصور حسبهم من الناحية التاريخية إلى ما قبل قيام هذه الدولة، كما أن هذا التصور من الناحية الموضوعية يعكس التطورات التي لحقت بالرؤية الأمريكية لليهود، وهي تطورات ايجابية بالنسبة لليهود بصفة عامة و لليهود الأمريكيين بوجه خاص، إذا ما قورنت بالنظرة التي كانت سائدة في بداية القرن التاسع عشر. وهذه التطورات في النظرة الأمريكية لليهود لا ترجع فقط إلى التعاطف الأمريكي إزاء الاضطهاد النازي لهم، أو النجاحات المتعددة التي أحرزها اليهود في الولايات المتحدة، و لكنها ترجع بشكل رئيسي لذلك التشابه الكبير بين نشأة الدولتين من ناحية الاعتماد على الاستعمار الإستييطاني لتكوين الدولة، و من هنا كان الإعجاب الشديد بالجهود اليهودية من أجل قيام دولة إسرائيل، ومن ثم كان التأييد لإنجاح هذا المسعى.¹ و بهذا لم يعد هناك اختلاف بين اثنين على وجود التزام أمريكي تجاه إسرائيل ليس فقط بالمحافظة على أمتها ووجودها و تطورها، و إنما بمدى بكل أسباب ووسائل التفوق على الدول العربية مجتمعة، و بالتالي يوجد إجماع على أن إسرائيل هي مصلحة أمريكية على أي حال.

و عليه لما كانت العراق واحدة من الدول الشرق الأوسطية التي تستمر في رفض حق إسرائيل في البقاء في المنطقة،² كان هذا العداء العراقي لإسرائيل واحد من أسباب الإجتياح الأمريكي للعراق، فإضعاف العراق كدولة كان لها وزنها وصوتها في المنطقة يعزز من قوة إسرائيل و بالتالي من تحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة، فقد أثبتت إسرائيل فعاليتها كحليف للولايات المتحدة في مقاومة الأعداء المشتركين كالاتحاد السوفييتي سابقا و النظم الراديكالية ذات التوجه القومي أو الإسلامي في المنطقة.

¹ - خيرية قاسمية و آخرون، المرجع السابق، ص 11.

² - جيفري كيمب، جيرمي برسمان، "نقطة اللاعودة، الصراع الحضاري من أجل السلام في الشرق الأوسط"، ترجمة: خليفة توفيق و علي منصور، (القاهرة، مركز الأهرام للترجمة و النشر، 1999)، ص 157.

أضف إلى هذا فالولايات المتحدة تحمل نفسها مسؤولية إعلاء الحرية و الديمقراطية في المنطقة و هي ترى أن إسرائيل باعتبارها المجتمع الديمقراطي الوحيد تمثل نموذجاً للتقدم و التنمية تحتاج إليه الدول العربية نفسها، و عليه فإنها ترى أن نمو إسرائيل يعتبر مصلحة أمريكية حيوية، و يصل هذا الرأي ذروته إلى حد الاقتراح بأن تكون إسرائيل حجر الزاوية، و الأداة السياسية المختارة في التعامل مع الدول العربية المحيطة بها.¹ التي زادت الضغوط عليها لتوطين اللاجئين الفلسطينيين و ضمان عدم عودتهم إلى إسرائيل التي من مصلحة هذه الدول - حسب الرؤية الأمريكية - باعتبارها النموذج السياسي و الإقتصادي الناجح الذي سيدير عجلة التقدم و التغيير في المنطقة، و بهذا المعنى لم تعد إسرائيل مجرد أداة للحفاظ على المصالح الأمريكية فحسب و لكنها تتحول إلى قوة عربية تمثل الحضارة الغربية بكل قيمها ورموزها في المنطقة، بالإضافة إلى كونها امتداد للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، و لعل أهم ما يوضح المساندة الأمريكية لإسرائيل موقفها من القضية الفلسطينية فبالرغم من الحرب الإسرائيلية السافرة بكل الأسلحة البرية و الجوية و البحرية ووكلاء مخابراتها من أجل تصفية الفلسطينيين و إجبارهم على إخلاء الأرض و السكن و النشاطات الاقتصادية و من ثم تفريغ القضية من محتواها المادي و هو الوجود الفلسطيني على الأرض، نجد الولايات المتحدة تقف دائماً بجانب إسرائيل برغم انتهاكها لحقوق الإنسان الذي ما فتأت الولايات المتحدة تنادي بها، و بالرغم من أن الحجة الأمريكية أو إحداها في حربها على العراق هو عدم احترامه لقرارات الأمم المتحدة إلا أنها بالمقابل تستعمل حق الفيتو لحماية الانتهاكات الإسرائيلية.²

و عليه إذا كان يتضح من خلال ما سبق أن الوجود الإسرائيلي هو تهديد لكافة دول المنطقة فهو بالنسبة للعراق حالة خاصة، بمعنى آخر يمكن تحديد الدور الإسرائيلي في الحرب الأمريكية على العراق من خلال العودة إلى التاريخ الأشوري " في عهد الملك الأشوري " سنحاريب " الذي قاد جيشه إلى فلسطين لقمع ثورة اليهود عام 701 ق.م و أنه استولى على ست مدن مسورة، و أسر أكثر من مائتي ألفي و يتداعى إلى الذهن من التاريخ وقد اكتفى الملك " بختنصر " بعد إخماد ثورة يهودا عام 596 ق.م بأخذ سبعة آلاف أسير إلى بابل مع ملكهم "يهودا باقين" و ألف عامل مقيدون بالأغلال، و عاد " بختنصر " أيام ملكها الجديد "صدقيا"، فخرّب أورشليم و أحرق الهيكل و أخذ كل نقائصه إلى بابل و ساق معه أربعين ألف أسير يهودي، و ذبح أولاد "صدقيا" أمام عينيّه ثم فقأ عينا الملك و لجأ بقية السكان إلى

¹ - ظاهر عبد الحليم و آخرون، "كارتر و التسوية في الشرق الأوسط"، (بيروت، دار ابن خلدون، 1977)، ص 45.

² - محمد رياض، المرجع السابق، ص 185.

مصر.¹ و عليه فالتاريخ يشهد أن العراق هو البلد الوحيد الذي تمكن من إذلال إسرائيل مرتين في تاريخه، لذلك هناك خوف دائم من العراق و شعبه فكلما قوي هذا الشعب كلما ازداد التهديد لمشروع الوجود الإسرائيلي ومن ثم المشروع الأمريكي في المنطقة، هذا المشروع الذي أصبحت تتحكم فيه بشكل واسع الأيدي الصهيونية الممتدة من القدس حتى غرف نوم البيت الأبيض.²

يبقى أن نقول أن الوجود الإسرائيلي في المنطقة هو إمتداد للوجود الأمريكي و أي تهديد لإسرائيل هو تهديد مباشر للولايات المتحدة، ليس فقط للدعم الاقتصادي و تأثير اللوبي اليهودي على صانع القرار الأمريكي و إنما من جانب حضاري و تاريخي فالولايات المتحدة غير مستعدة لأن يكون العراق مرشحا مرة أخرى لأحداث سبي لصهيانية آخر الزمان هؤلاء.

2-3/ الدين:

لقد كان مسوغ الحرب عند بوش الابن و توني بلير هو امتلاك نظام صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل، لكن دوران الأحداث أثبت خلو العراق من هذه الأسلحة. لتأتي نظرية النفط كهدف من الحرب الأمريكية على العراق لكنها لا تنهض كعامل مؤسس لقيام الحرب، وذلك على اعتبار أن صدام حسين كان مستعدا لإعطاء الشركات الأمريكية مكانة أولى في استغلال النفط العراقي مقابل رفع الحصار عنه، فضلا عن أن خسائر واشنطن في الحرب الراهنة فاقت فوائد تحكمها في النفط المحتملة. لتأتي نظرية ثالثة وهي الموقع الاستراتيجي للعراق، فالعراق يطل على الفضاء الآسيوي و يجاور ثلاث دول من أهم دول المنطقة وهي تركيا و إيران و السعودية وهذا ما يجعل أي وجود عسكري لأمريكا في العراق أمرا في غاية الأهمية، غير أن هذه النظرية تضعف بالنظر إلى أن أمريكا كانت موجودة عسكريا و بشكل لافت في المنطقة فوجودها في تركيا و في قطر و الإمارات و البحرين و أفغانستان فضلا عن التسهيلات العسكرية التي تمنحها إياها كل من مصر و أثيوبيا و جيبوتي، مما يغنيها عن دفع ثمنها غاليا في حرب تكلفها أغلى، حتى تؤمن وجودا عسكريا يحمي مصالحها وهي المنتشرة عسكريا في المنطقة أصلا. أما فكرة أن الحرب قامت انتقاما من بوش الابن من صدام حسين لإعتباره المتهم الأول في محاولة اغتيال بوش الأب في الكويت عام 1993 و التي قد تكون فيها جانب من الصحة لكنها أضعف من أن تقام لأجلها حربا بمليارات الدولارات. وبعد استبعاد هذه النظريات كأسباب جوهرية في الحرب على العراق يأتي ملف المحافظون الجدد ودورهم في الحرب الأمريكية على العراق و الذي يمكن دراسته من زاويتين:

الأولى: التدافع داخل إدارة بوش الابن حول رؤية الدور الأمريكي في العالم و تأثير هجمات 2001/9/11 و التي تتضح من خلال السياسات الإنفرادية التي اتبعتها هذه الإدارة منذ توليها زمام الأمور، حيث ترى

¹ - الفاتح كامل، المرجع السابق، ص 74-75.

² - نفس المرجع، ص 75.

هذه المجموعة إن السيطرة على العراق تعني السيطرة الأمريكية شرق أوسطيا، كما أن هذه المجموعة هي التي طورت مصطلحات مثل السيطرة الشاملة **FULL-SPECTRUM DOMINANCE** والحرب الاستباقية، و تفرق هذه المجموعة بين الحرب الأمريكية على أفغانستان و التي جاءت كرد فعل على هجمات 11 سبتمبر، في حين تعتبر الحرب على العراق اللبنة الأولى لبناء شرق أوسط جديد فرصة لإجبار إيران وسوريا للإنصياع للتوجهات الأمريكية.¹

الثانية: الجانب الديني المسيطر على إدارة المحافظين الجدد و إن كان الدين متأصل في الفكر الأمريكي إلا انه يأخذ بعد أعمق في هذه الإدارة، فالواضح أن السياسة الأمريكية في عهد إدارة بوش الابن تنبني على أفكار توراتية إنجيلية يغذيها فكر المحافظين الجدد الذين ساعدهم وجود بوش الابن بكل توجهاته التوراتية و تدفعهم أو تغطيهم أحداث 11 سبتمبر 2001.

هذان العاملان ساعدا هذه الإدارة على فرض رؤية قائمة على أن الإرهاب هو الخطر الأكبر الذي يهدد الأمن الأمريكي ومن ثم الأمن الدولي، و بالتالي فالمهمة الأمريكية هي محاربة الإرهاب في كل أنحاء العالم من أجل إستعادة الأمن و السلام على أن تشارك جميع الدول في هذه الحملة تحت قيادة أمريكية. ففي سؤال وجه لباتريك بوك نان **PATRICK BUCKONON** من هم المحافظين الجدد؟ قال (عندما انتهت الحرب الباردة بدأ المحافظون الجدد يدعون إلى حرب صليبية جديدة لإضفاء معنى على حياتهم وفي 11 سبتمبر 2001 جاءت فرصتهم فقد انتهزوا هذا الحدث المروع لتوجيه غضب أمريكا إلى حرب شاملة تدمر أعدائهم الذين يحتقرونهم وهم الدول العربية و الإسلامية " الأشرار " الذين قاوموا هيمنة الولايات المتحدة و يكرهون إسرائيل) وفي 2001/09/12 و الأمريكيون يعانون من الصدمة صرح بيل بنيت **Bill Bennett** لمحطة **CNN** (إننا في صراع بين الخير و الشر و أن الكونغرس يجب أن يعلن الحرب على الإسلام المجاهد و أنه ينبغي استخدام قوة ساحقة) وقد ذكر **Bennett** لبنان، سوريا، العراق، إيران، الصين، كدول تستحق الهجوم.² و على هذا يتبادر إلى الذهن سؤال لماذا لم يذكر "بينت" أفغانستان بالرغم من أنها ملجأ بن لادن المتهم الأساسي في العملية؟ ثم كيف رصد هذه الدول على الرغم من جهله من مرتكب الأحداث؟ !

و تعد فكرة المحافظين الجدد القائمة على تزعم أمريكا للعالم فكرة بالأساس تنبني على تصورات لاهوتية من كونها تمثل فريق الخير و بالتالي فهي تحظى بتفويض من السماء و في هذا يقول بوش الابن:

¹ - بشير موسى نافع، " المشروع الأمريكي في العراق - أربع سنوات من الاحتلال -"، (الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2007)، ص 26.

² - عبد العظيم بن صغير، " المرجعيات الفكرية للحرب على الإرهاب"، العالم الاستراتيجي، العدد 1، مارس 2008، ص 19.

"...إن أمريكا أمة ذات رسالة... ونحن نفهم دعوتنا الخاصة: هذه الجمهورية العظيمة ستقود دعوى الحرية".¹

أما القس "جيرى فالويل" REV.GERRY FALWELL زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية MORAL MAJOURITE فقد صرح قائلاً: "لقد بارك الله هذه الأمة، لأنها في أيامها الأولى، حاولت الإخلاص لله و الإنجيل، و سيجد أي طالب مجتهد للتاريخ الأمريكي أن أمتنا العظيمة أنشأت من قبل رجال ربانيين لتكون أمة مسيحية".²

لقد دعمت قوى اليمين الحاكم النظام الحاكم بتوفير العدو الذي يضمن لها تحقيق سياستها خاصة و أن أحداث سبتمبر قد سهلت نصف الطريق على هذا النظام، و التي خلصت إلى أن قوى الشر قد استفحلت في العالم و لا بد من استئصالها و ليس هناك غير الولايات المتحدة لتقوم بهذه المهمة و إقامة دولة الله في الأرض، و لما كانت البداية بالعراق كان لابد من التساؤل كيف يمكن الربط بين الأفكار اللاهوتية لليمين الأمريكي و بين العراق كدولة خاصة؟ بمعنى ما تأثير البعد الديني في الحرب الأمريكية على العراق؟ يمكن رصد الأبعاد الدينية في الحملة الأمريكية من خلال عدة اعتبارات أهمها:

* إيمان الإنجيليين بروايات التوراة و الإنجيل عن معركة "هرمجدون" بكل تفصيلاتها الزمنية و المكانية، فهم يعتقدون في أن نهاية العالم قد إقتربت - و هذا إسقاطاً منهم لأحداث 11 سبتمبر و ما تلاها- و أن الفترة القادمة ستكون غنية بالأحداث و التي ستكون إسرائيل محوراً و ضحيتها و هذا في إطار معركة "هرمجدون" المعركة الأخيرة التي ستكون بين إسرائيل و أعدائها من العرب و الروس و الصينيين، و التي -حسبهم- ستستخدم فيها مختلف الأسلحة بما فيها الأسلحة النووية و بالتالي تكون نتيجة هذه المعركة فناء البشرية و لن يبقى في العالم سوى المؤمنين بعودة المسيح الذين ينقضهم المسيح بعودته الثانية ليحكم الأرض ألف سنة قادمة. لذلك فالحرب العالمية الثالثة هذه تجاوزت موقع الأمل عندهم لتتحول إلى قدر لا بد من القبول به و السعي إلى تحقيقه لأنه سوف يمهد المسرح لقدم المسيح.³

و بالنظر إلى هذه النبوءات التوراتية نتمكن من الربط بين مزاعم الولايات المتحدة بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل من جهة و إنحيازها لإسرائيل من جهة أخرى و بالنسبة للأسلحة النووية فيمكن دراستها من جانبين، جانب احتمالية الاعتقاد الأمريكي فعلاً بوجود هذه الأسلحة في العراق و بالتالي

¹ - رامزي كلارك، "جرائم الحرب الأمريكية في العراق: رسالة إلى كوفي أنان الأمين العام للأمم المتحدة"، المستقبل العربي، العدد 301، مارس 2003، ص 130.

² - يوسف الحسن "البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي-الإسرائيلي" (بيروت: الوحدة العربية، 1997)، ص 67-68.

الرغبة في تجريده منها حتى لا تكون نتائج معركة الهرمجدون وخيمة بالنسبة لهم، و جانب الإدعاء الأمريكي بامتلاك نظام صدام حسين لهذه الأسلحة بغرض إثارة المشاعر الدينية في أوساط الإنجليين و بالتالي كسب تأييدهم للحرب الأمريكية على العراق، أما بالنسبة لإسرائيل فبعيد عن الجانب الاقتصادي و الجيوسياسي و الثقافي تبرز لنا هذه المعركة الجانب الديني في الإنحياز الأمريكي لإسرائيل.

* إحتلال العراق على غرار باقي الدول العربية مكانة خاصة في العقل الديني للمسيحيين الإنجليين و في كتب الميثوديت و التي تنبني على أن المسيح عند خروجه من جديد لا بد من أن يحيط به الذهب النقي الخالص الذي يكون في دولة مسلمة قريبة من "أورشليم" (القدس حاليا) و قد اكتشفوا أن هذه الخصائص تنطبق على العراق باعتقادهم أن جبل الذهب هذا موجود فعلا في العراق بالرغم من أنهم لم يكتشفوه بعد، هذا بالإضافة إلى إعتقادهم أن الملك الذي سيدمر إسرائيل مرة أخرى هو بابلي و هي إحدى نبوءات كتبهم.¹

* الخلفية الدينية لدى الرئيس بوش الابن فهو تلميذ مخلص للقسيس المتجدد " بيلي غراهام " و عضو في طائفة الميثوديت التي تمثل التحالف الصهيونيمسيحي الذي يؤمن بضرورة وجود مقدمات تسبق العودة الثانية للمسيح و التي بدونها لن تتسنى عودته وهي:

- 1- إقامة دولة إسرائيل المنصوص عليها في التوراة من النيل إلى الفرات و تجميع يهود العالم فيها بمعنى أن إسرائيل مشروع الهي لا بد من إقامته.
- 2- هدم و تدمير المسجد الأقصى ليتسنى بناء الهيكل اليهودي مكانه.
- 3- وقوع معركة كبرى بين قوى الخير البروتستانت و اليهود و قوى الشر المسلمين و أصدقائهم وهي معركة هرمدون.²

* الإستخدام الإعلامي لكثير من نبوءات الإنجيل و التي يلخصها الكاهن الفرنسي "نوستراداموس" في إعتباره لصدام حسين رمز الشر القادم من الشرق.³ لذلك تصبح عملية القضاء على شخص صدام قضية دينية و واجب لاهوتي بالنسبة للأمريكيين و حلفائهم.

* مطالبة الرئيس الأمريكي للكونغرس بأن يصدر بيانا يطالب فيه الأمريكيين بتقديم الصلوات لصالح الجيش الأمريكي في العراق، و فتاوى حاخامات اليهود للجنود الأمريكيين و البريطانيين بإقامة صلواتهم في خيامهم غرب نهر الفرات لأنهم في إسرائيل الكبرى.⁴

¹ - عثمان حسين هندي وآخرون، "الأصولية الأمريكية- الخطاب الديني دراسة تحليلية"، (بيروت: دار الهدى للنشر و التوزيع، 2005)، ص 128.

² - زينب عبد العظيم محمد، " الموقف النووي في الشرق الأوسط - في أوائل القرن الحادي والعشرين -"، المرجع السابق، ص 113

³ - عاطف عدوان، "لماذا العراق - الأبعاد الدينية للحملة ضد الإسلام"، نقلا عن:

⁴ http:// www.palestine-info.info/arabic/palestoday/press/recent/eraq-q.htm/10/9/2008.

⁴ - حسين هندي وآخرون، المرجع السابق، ص 128.

* يعتبر الدين أحد مقومات بيئة القرار الأمريكي المتجسدة في الإنجيليين، الصهاينة و الذين لهم تأثير قوي في صناعة القرار الأمريكي.

* أحد أبرز المستهدفين بهذه الحروب هم أهل الدعوة و الجهاد و بيئات المسلمين الدينية و الدعوية و الجهادية، فمنذ الوهلة الأولى لأحداث 11 سبتمبر 2001 و تصريح بوش الابن أنها حرب صليبية التي ستقودها الولايات المتحدة- و بالرغم من أن التصريحات التي تلت ذلك الحديث و التي تؤكد أنها زلة لسان- اتضح أن الولايات المتحدة تشن حرب مفتوحة ضد الحضارة الإسلامية بالتحالف مع الصهيونية، وهو ما يطرح ضمن فكرة صراع الحضارات التي ظهرت عقب نهاية الحرب الباردة، فالحرب الأمريكية ضد العراق هي حرب ضد الإسلام ومحاولة لإدخال وسائل الخداع و التمويه و التجهيل و تجنيد النخب التي تنوب عن المستعمر من أجل تحقيق أهداف شبيهة بأهداف الإستعمار الإنجليزي الفرنسي القديم حتى و إن كان المسمى "حرية العراق".¹ وهو ما يؤكد "كينيث أولمان" عضو مجلس سياسات وزارة الدفاع حيث يقول: (ليس من السهل أن نقول أن الإسلام دين مسالم فإذا نظرنا مليا إلى الدين لعرفنا نزعته العسكرية، و على كل فإن محمد المؤسس كان محاربا ولم يكن داعية سلام مثل المسيح)، كما كتب "إليون كوهين" وهو أيضا عضو مجلس سياسات وزارة الدفاع مقالة افتتاحية لجريدة "وول ستريت" ذكر فيها أن عدو أمريكا ليس الإرهاب و إنما الإسلام المحارب الذي له إيديولوجية. في حين يذهب القس "فرانكلين غراهام" إلى (أن إله المسلمين ليس نفس الإله الذي يؤمن به المسيحيون إنه إله مختلف و إنني أعتقد أنه إله شرير و أن الإسلام ديانة شريرة).² وعلى هذا تتبنى فكرة إحداث إصلاحات في المنطقة بحجة أن المسلمين ميالين للشر و العنف و أن التعامل مع الإرهاب يلزم التعامل مع الخلفيات التي تفرزه و التي تركز على البيئة الثقافية و الدينية التي تولد التطرف و بالتالي فإشاعة الديمقراطية أمر بالأساس ديني و ليس فقط سياسي.

* ترويح بعض وكالات الأنباء إلى قيام منظمة أصولية بروتستانتية أمريكية تعمل على الحدود العراقية- الأردنية هذه المنظمة تدعى " سانت مارتن بورس" بزعامة "فرانكلين غراهام"، وتؤكد وكالات الأنباء أن المنظمة تنتظر الضوء الأخضر للدخول للأراضي العراقية وقد صرح "غراهام" أن المنظمة قد خصصت ما يعادل 250 ألف دولار لمساعدات عاجلة في العراق.³ ولما كان المسلمون

¹ - محمد الجوهري حمد الجوهري، " الديمقراطية الأمريكية و الشرق الأوسط الكبير"، (القاهرة: دار الأمين، 2005)، ص 21.

² - حسن الحاج على أحمد، "تغيير الثقافة باستخدام السياسة- الولايات المتحدة وتجربة العراق-"، المستقبل العربي، العدد 294، أوت 2003، ص 57.

³ - عصام عبد الشافي، المرجع السابق، ص 136.

متعودون على أن الغرب لا يقدم لهم شيئاً بدون ثمن يجدر التفكير بأن هذه المساعدات ماهي إلا مصبرات لوجبة التنصير التي ستجربها المنظمة في المنطقة.

* تقديم الدعم المطلق لإسرائيل خاصة بعد إحتلالها للقدس الشريف عام 1967 و الذي يعتبر أعظم دليل على صحة النبوءات التوراتية التي أخبرت عن عودة اليهود إليها كمقدمة لمجيء المسيح، و ضرورة إبقاء القدس عاصمة لإسرائيل لتحقيق لنبوءاتها، من أجل هذا عملت الولايات المتحدة على تشجيع إسرائيل وحثها على عدم تقديم أي تنازلات فيما يتعلق بالإنسحاب من الأراضي المحتلة، أضف إلى ذلك تأثير اليمين الديني على الكونغرس لاستصدار قرار يلزم الإدارة الأمريكية بنقل سفارتها إلى القدس، و في هذا تقول الكاتبة الأمريكية " لي أوبراين" (إن المذاهب اللاهوتية لكثير من البروتستانت تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتية، وهي أيضا تذهب إلى أن جميع اليهود هو مجرد تمهيد لتنصيرهم قبل المجيء الثاني للمسيح).¹

* إيمان الإدارة الأمريكية " إن تفحص الحروب من الزاوية الدينية هو النمط الوحيد الذي يسمح بتبرير الحروب الوقائية ورسم الحدود بينها و بين الحروب العدوانية، إن الحرب التي لا نهاية لها بين محور الخير ضد محور الشر و التي أعلنها بوش الابن هي بدون نهاية ولذلك بدون سلام، لأنه ليس هناك حل وسط أو سلام ممكن بين الله و الشيطان ليس هناك تمييز بين الحرب الدفاعية العادلة و بين الحرب العدوانية الجائرة، حرب الله عادلة سواء كانت المسألة تتعلق بالدفاع أو بالهجوم أما حرب الشيطان فهي جائرة سواء كانت هجومية أم دفاعية".² و بالتالي تصبح عدالة و مشروعية الحرب مستمدة من دوافعها الخيرة و التي تبرر بها الولايات المتحدة الإستراتيجية الإستباقية التي تبني عليها الحرب على الإرهاب، كما تبني عليها عدالة قضيتها ليصبح الدين الغطاء الإيديولوجي و المبرر الأكثر تأثيراً في الحرب الأمريكية على الإرهاب عموماً و على العراق بوجه خاص.

وعليه يمكن القول أنه مع هذا التداخل بين ما هو سياسي و ما هو اقتصادي وما هو ثقافي و ما هو ديني يصعب تحديد السبب الجوهرى في الحملة الأمريكية على العراق وإن كان هناك التقاء كل هذه الاتجاهات في الاتجاه الديني، لكن بالنظر لتبريرات الولايات المتحدة الأمريكية لحربها على العراق و التي من خلالها تستمد مشروعية حربها فممكن أن نفندھا بما أوردته المحطة التلفزيونية الأمريكية CBS عن أن وزير الدفاع أمر مساعديه بعد خمس ساعات فقط من الهجوم على مبنى البنتاغون في 11

¹ - عثمان حسين هندي و آخرون، المرجع السابق، ص ص 69-70.

² - آلان جوكس، " إمبراطورية القوضى - الجمهوريات في مواجهة الهيمنة الأمريكية ما بعد الحرب الباردة -"، ترجمة: غازي بروط، (بيروت: دار الفارابي، 2005)، ص 261.

سبتمبر 2001 بالبداية في التخطيط للهجوم على العراق، و على الرغم من أن مسؤولي الإستخبارات أخبروه بأن القاعدة وراء الهجوم ولا يوجد ارتباط بين العراق و القاعدة إلا أن "رامسفيلد" قال (تحركوا بكثافة... اجمعوا كل شيء المرتبط بذلك وغير المرتبط)¹. وهنا يتضح أن "رامسفيلد" و إدارته كانوا بحاجة لعصا موسى لتفجير الملف العراقي وبالتالي استخدموا تفجيرات سبتمبر كمتغير و مبرر لغزو العراق.

أما عن أهداف الولايات المتحدة الأمريكية من الغزو العراقي كما يراها المناهضون فهي تتم على أن العراق ليس وحده المستهدف، فهو جزء من مخططات الولايات المتحدة الجيوبولتيكية ومساعدتها السياسية و تدخلها المباشر وغير المباشر للسيطرة على القطاع الأوسط من العالم القديم من باكستان و أفغانستان إلى وسط آسيا و القوقاز إلى الشرق الأوسط و القرن الإفريقي.

¹ - حسن الحاج علي أحمد، المرجع السابق، ص 55.

المبحث الثالث: الحرب على العراق بين الشرعية و الموقف الدولي

سعت الولايات المتحدة الأمريكية على مدار قرنين من الزمان هي قرابة كل تاريخها إلى محاولة تغطية سياساتها بالقانون الدولي وجعل الشرعية الدولية من أولويات سياساتها الخارجية و بغض النظر عن بعض الإستثناءات فقد عملت على العمل تحت مظلة الأمم المتحدة والتحالف الدولي، بالرغم من قدرتها على مجابهة أي خطر أو هدف خارجي بمفردها، ويتضح ذلك في حرب الخليج الثانية والتي سعت الولايات المتحدة فيها لكسب تأييد دولي كبير ودعم من مجلس الأمن بالرغم من أن العملية كانت أسهل من تلك التحالفات والقرارات، وبالرغم من أن العديد يرد هذا العمل إلى عقدة فيتنام أي أن الولايات المتحدة لا تثق في قدرتها الحربية مهما بلغت والتي شككت فيها حربها على فيتنام، إلا أنه يبقى أنها سعت في أعمالها وسياساتها الخارجية لاحترام الشرعية الدولية المتجسدة في الأمم المتحدة والتي تعد الولايات المتحدة من أكثر الساعين لإنشاءها.

ولما كانت الشرعية تعني تصرف الدول في إطار القانون الذي يتخذ شكلين :

الأول : أن يكون التصرف منطلقاً من سلطة صحيحة بمعنى أن يستند إلى موافقة المؤسسات المخولة بالموافقة عليه قبل القيام به.

والثاني : ألا ينطوي على أي انتهاك لقانون أو قاعدة أخلاقية.

يجدر التساؤل عن وضع حرب الخليج الثالثة من هذا المفهوم ؟ بمعنى آخر هل سعت الولايات المتحدة في شنها الحرب على العراق إلى وضعها تحت أساس قانوني ومظلة دولية، أم صانع القرار الأمريكي قد تخلص من عقدة فيتنام ؟

-1-

في التقرير الذي قدمه بوش الابن لمجلس الأمن في 12 سبتمبر 2002 حصر العديد من الأسباب التي تجعل من إستخدام القوة العسكرية ضد العراق أمراً ضرورياً، وهي أن بغداد لم تحترم 16 قراراً صادر عن الأمم المتحدة، وأن العراق يمتلك أو يسعى إلى امتلاك أسلحة الدمار الشامل ناهيك عن مسؤوليته عن إنتهاك حقوق الإنسان، وتهم أخرى تتعلق بالإرهاب والثروات التي نهبت عند إجتياح الكويت. كل هذه الحجج جعلت من مجلس الأمن يقدم على التصويت بالإجماع في 8 نوفمبر 2002 على القرار 1441 والذي يقضي بمطالبة العراق بالسماح المطلق لفرق التفتيش الدولية لممارسة عملها بدون أي إعاقة وفقاً لجدول أعمالها في الوقت الذي تريد والمكان الذي تختاره، ومن ضمن المواقع التي يطلب من العراق السماح لهذه الفرق بتفتيشها قصور الرئيس العراقي صدام حسين، وقد إعتبر مجلس الأمن أن

إيكال العملية لمفتشي المراقبة والتحقيق والتفتيش التابعة للأمم المتحدة **uniscom** التي يترأسها الديبلوماسي "هانز بليكس"، ومفتش الوكالة الدولية للطاقة الذرية "محمد البرادعي" وتحقيقهم بتقديم التقارير إلى مجلس الأمن، من شأنه المساعدة على تحقيق الهدف المنشود وهو نزع الأسلحة دون اللجوء إلى الحرب.¹

وعلى الرغم من أن القرار استبعد فكرة اللجوء التلقائي للقوة التي كانت الإدارة الأمريكية حريصة على تضمينها في مشروع القرار الأصلي، والقاضي بإضفاء الشرعية على قيامها بالغزو والذي رفض بالأغلبية (11 صوت من مجموع الـ 15)، إلا أن القرار كان يمثل في النهاية مظلة لعمل عسكري أمريكي ضد العراق، وما تراجعت الولايات المتحدة عن الصيغة الأولى التي أرادت للقرار إلا لرغبتها في إظهار قدر كبير من المرونة لاعتبارات يأتي في مقدمتها إحتواء الرفض الدولي للعنف لصيغة مشروع القرار الأصلي الذي قدمته إدارة بوش الابن إلى مجلس الأمن، وفي الوقت نفسه فإن إدارة المحافظين الجدد كانت تسعى إلى الظهور أمام الرأي العام الداخلي والمجتمع الدولي عموماً على أنها تحاول أولاً استنفاد جميع الطرق السلمية في التعامل مع قضية تدمير أسلحة الدمار الشامل العراقية قبل اللجوء إلى القوة العسكرية، علاوة على تأكيد حرص الولايات المتحدة الأمريكية على العمل تحت مظلة الأمم المتحدة في إطار الشرعية الدولية وليس خارجها.²

ومن ثم فإن قبول الإدارة الأمريكية تخفيف صيغة القرار لم يكن يعني إطلاقاً تفضيلها لخيار التسوية السلمية للأزمة القائمة مع العراق أو بتراجعها عن خيار العمل العسكري في مواجهته، ولكن فقط يعني قبولها إعطاء مزيد من الوقت لاستئناف عملية التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق مع انتظار أي أزمة أو خلاف يمكن أن ينشأ بين العراق من ناحية والوكالة الدولية للطاقة الذرية من ناحية أخرى للمبادرة بشن عمل عسكري ضد العراق.

عملت الولايات المتحدة على التحايل على القرار 1441، فبعد الهجوم الذي قوبلت به من الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن إثر محاولاتها تضمين القرار 1441 صيغة في حالة حدوث خرق من العراق للقرار استعمال القوة العسكرية، ونظراً لصد الدول خاصة روسيا، الصين، وفرنسا لهذه الصياغة فقد نجحت في جعل الدول الأخرى توافق على صيغة معدلة تشير إلى أن العراق سيواجه "عواقب وخيمة" نتيجة لانتهاكاته المستمرة لالتزاماته، كذلك تخلت واشنطن عن بند في مشروعها الأول يسمح

¹ . Scott Ritter, *Guerre a l'Irak ce que l'équipe Bush ne dit pas*, Bussire Camendan Imprimeries France 2 002, P 16 – 22.

² - زينب عبد العظيم محمد، "الاستراتيجية الأمريكية العالمية واستمرار الحرب ضد الإرهاب"، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2003)، ص 863.

للأعضاء الرئيسيين في مجلس الأمن بالمشاركة في عمليات التفتيش أي طريق يغلقه العراق أمام المفتشين الدوليين بالقوة.¹

لقد اعتبرت الأمم المتحدة أن القرار 1441 حل توفيق بين دعاة الحرب الولايات المتحدة وبريطانيا، وبين دعاة السلام المشروط القاضي بامتنال العراق واستنفاد سبل الحل السلمي من خلال آلية التفتيش باقي أعضاء مجلس الأمن الآخرين ، ولما كانت الولايات المتحدة مدركة إلى أن هذا القرار لن يسمح لها بالجوء التلقائي للقوة نظرا ليقينها أن تقارير بليكس والبارادي لن تثبت الخرق العراقي للقرارات الأممية، إضافة إلى موقف المجتمع الدولي المعارض للحرب ولأنها لم تكن على استعداد للمزيد من الانتظار خاصة وأنها اقتنعت بصعوبة إن لم تكن استحالة صدور قرار أممي آخر يلبي رغباتها، لذلك لجأت إلى شن الحرب على العراق بشكل إنفرادي ودون سند قانوني أو مظلة أممية. فما هي أوجه الانتهاك الأمريكي لقواعد الشرعية الدولية المتجسدة في الأمم المتحدة ؟

1/1- انتهاك مبدأ الحل السلمي في الأمم المتحدة :

يقضي مبدأ الحل السلمي للخلافات الدولية بافقاد الحرب مبررها باعتبارها خطر على السلام العالمي، فالحل السلمي للخلافات الدولية إلى جانب نظام الأمن الجماعي يقضي بضمان السلم والأمن الدوليين. فالحرب التي هي طريقة معتمدة من طرف الدول لحل نزاعاتها حسب المبدأ تفقد مبرر استعمالها إن الدول لجأت إلى وسائل أخرى سلمية للحسم في خلافاتها، هذا المبدأ ما هو بالجديد ولا هو من ابتكار التنظيم الدولي المعاصر فقد عرفته المدن الإغريقية كما سجل في ميثاق باريس لعام 1856 وأكدته اتفاقية لاهاي لسنة 1907 وأيضا ميثاق عصبة الأمم، غير أنه بتطور فكرة الحرب وأدواتها وارتفاع تكاليفها خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ببروز السلاح النووي كأداة للحرب، وجد هذا المبدأ التكريس القانوني والإلزامي الواسع في ميثاق الأمم المتحدة، فقد جاء في المادة الأولى منه (حفظا للسلم والأمن الدوليين، وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم وفقا لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الاختلال بالسلم أو لتسويتها)، أما الفقرة الثالثة من المادة الثانية فتتص على أن (يفض جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر).²

أما عن الولايات المتحدة وبالرغم من عضويتها في المنظمة والتي تفرض عليها التزامات تجاه ميثاقها فقد استعجلت بشن الحرب على العراق منتهكة هذا المبدأ الذي يقضي بحل خلافاتها مع العراق بالطرق السلمية، ضاربة بكل دعوات المجتمع الدولي بكل أشكاله عرض الحائط، ثم إن لجوء الولايات

¹ - زينب عبد العظيم محمد، " الإستراتيجية الأمريكية العالمية و استمرار الحرب ضد الإرهاب"، المرجع السابق، ص 861.

² - أنيس كلود، " النظام الدولي والسلام العالمي"، ترجمة عبد الله العريان، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1964)، ص 302.

المتحدة لا حرب لم يكن بعد إثبات خرق العراق للقرارات الأممية ولا حتى بعد رفع الموضوع من طاولات مجلس الأمن، فالقضية مازالت حينها معروضة على أنظار الأمم المتحدة، كما أن قضية العراق بعد الموافقة على القرار 1441 بما في ذلك الموافقة الأمريكية أصبحت قضية دولية. هذا التدويل للقضية يقضي بإخراجها من دائرة الخلافات الثنائية العادية التي يبقى أمر التقرير فيها لأحد أطرافها التي هي الولايات المتحدة، ليدخلها إلى دائرتها الدولية والتي تبدأ بالتسوية و بحل النزاع بالطرق السلمية، الذي يقره ميثاق المنظمة والذي تجسد فعلا في القرار 1441 نهاية بإقرار التدابير العقابية في حالة تحقق مسؤولية العراق في استخدام أسلحة الدمار الشامل.¹ و عليه فمنظمة الأمم المتحدة وحدها القاضية بتحديد وسيلة التعامل مع العراق، وليست الدول بطريقة انفرادية وتعسفية كما فعلت الولايات المتحدة.

2/1- انتهاك مبدأ ع إلى القوة في العلاقات الدولية :

تنص الفقرة 4 من المادة 2 من ميثاق الأمم المتحدة على مايلي: " يمتنع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الإستقلال السياسي لأيه دولة أو على وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة "،³ بمعنى أن المادة 02 لا تكتفي بتحريم استعمال القوة بل وحتى التهديد باستعمالها ناهيك على أن المادة لا تحدد طبيعة القوة فلم يرد صراحة النص بتحريم القوة العسكرية، بل جاء اللفظ عاما مما يعني تحريم الضغط الإقتصادي والإكراه السياسي.

وعليه فالحرب الأمريكية على العراق جاءت منتهكة لهذا المبدأ من حيث لجوءها لإستعمال القوة وتحديد المعايير الثلاث التي شملت التحريم في المادة 2 من ميثاق الأمم المتحدة، وهي تحريم المساس بالوحدة الترابية أو حتى خرق الحدود الموجودة بين الدول وهو ما انتهكته الولايات المتحدة بغزوها الأراضي العراقية، أيضا تحريم المساس بالإستقلال السياسي لأي دولة والذي يعني إحترام سيادة الدولة ونظامها السياسي، والامتناع عن كل تدخل في شؤونها الداخلية بما في ذلك تغيير نظامها السياسي بالقوة حتى وإن كان بالضغط الإقتصادي والإكراه السياسي ناهيك عن التغيير بالقوة العسكرية، كما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة مع العراق، أيضا حظر اللجوء إلى القوة الذي من شأنه المساس بالسلم والأمن الدوليين والذي يتضح في هذه الحرب من خلال الأخطار الجسيمة التي تهدد السلم والأمن الإقليميين والدوليين، وذلك نتيجة الإضطرابات التي أفرزتها هذه الحرب على دول المنطقة خاصة فيما يتعلق

¹ - محمد الهزاط، "الحرب الأمريكية - البريطانية على العراق والشرعية الدولية"، المستقبل العربي، العدد 292، جوان 2003، ص83.

² - حسني محمد جابر، "القانون الدولي"، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1973)، ص 259.

بالإتهامات والتهديدات الأمريكية الدائمة لدول المنطقة مثل سوريا ، إيران بدعوى امتلاكها أسلحة الدمار الشامل و دعمها القيادة العراقية السابقة.¹

وعليه يمكن القول أن الحرب الأمريكية على العراق بالإضافة لانتهاكها لمبدأ حظر اللجوء إلى القوة الذي يعد ركيزة من ركائز النظام الدولي القاضي به ميثاق الأمم المتحدة، فقد جاءت متعارضة مع العديد من قواعد الشرعية الدولية الأخرى التي تحظر اللجوء إلى القوة و المتجسدة في قرارات الجمعية العامة والمعاهدات الجماعية ومواثيق المنظمات الإقليمية والقضاء الدولي.

3/1- انتهاك مبدأ حظر التدخل في الشؤون الداخلية للدول :

بالرغم من دائرة التحفظ المحيطة بمفهوم التدخل والذي لا يجد حتى في ميثاق الأمم المتحدة صياغة واضحة، إلا أنه يمكن تعريفه بما جاء به الفقيه ييبز (J.M. Yepes) حيث يذهب إلى أن "التدخل عبارة عن قيام دولة بالتعرض بسلطاتها في شؤون دولة أخرى، بصورة تفرض عليها خطأ تسير عليه بشأن مسألة أو عدة مسائل أو لتسوية نزاع معين [...] يمكن أن يتم في الشؤون الداخلية أو الخارجية لدولة ما ويأخذ صورة مباشرة أو غير مباشرة ويتم استعمال القوة المادية أو بمجرد التهديد بها".²

وحسب تعريف "بريرلي" و "أوبنهايم" (Brierly et Oppenheim) وهو التعريف الشائع يكون معنى التدخل أنه "تدخل ديكتاتوري من طرف دولة أخرى، قصد المحافظة على الوضعية القائمة أو تغييرها، أو بهدف المساس بسلامة التراب الوطني والإستقلال السياسي لهذه الدولة".³

وعليه فعلى ضوء هذا التعريف تعد الحرب الأمريكية على العراق التجسيد الفعلي لممارسة سياسة التدخل بشقيها الذاتي والتمثل في الحلول محل الدولة بهدف التدخل في ممارستها لحقوقها السيادية، إما بالضغط عليها لتتبع سياسة معينة في شؤونها الداخلية أو الخارجية والذي يتجسد في هذه الحرب من خلال الإطاحة بالنظام العراقي السابق وتغييره. أما عن الشق الموضوعي من التعريف وهو التهديد أو الضغط بكل إجراء عقابي يمارس على الدولة من طرف دولة أو دول أخرى، والذي يتجسد في الحرب الأمريكية على العراق من خلال اللجوء إلى القوة المسلحة، وذلك بعد فشل الطريق غير المباشر أي من خلال إثارة الشعب العراقي ضد حكومته ودعم وتسليح فصائل من المعارضة الداخلية.⁵

¹ - محمد الهزاط، " الحرب الأمريكية ضد العراق في ميزان القانون الدولي"، المستقبل العربي، العدد 290، أبريل 2003، ص 24 - 30.

² - ادريس بوكرا، المرجع السابق، ص 264-265.

³ - Mohamed Bennoune, « le consentement à l'ingérence militaire dans les conflits internes », préf. Charles Chaumont, bibloitique de droit international, Paris 1971, P.13.

³ - محمد الهزاط، "الحرب الأمريكية - البريطانية على العراق والشرعية الدولية"، مرجع سابق، ص 96 - 97.

⁴ - نفس المرجع، ص 96 - 97.

4/1- انتهاك مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها :

نصت المادة 55 من قانون ميثاق الأمم المتحدة على أنه " رغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاهية الضرر يبين لقيام علاقات سلمية ودية بين الأمم مؤسسة على إحترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها...."¹.

يتجسد انتهاك هذا المبدأ في الحرب الأمريكية على العراق من خلال خلفية المخططات الأمريكية الخفية والمعلنة ضد حق الشعب العراقي في اختيار شكل النظام السياسي الذي يرغب فيه بعد الإطاحة بالنظام السابق، حيث كشفت هذه المخططات عن التصميم الأمريكي على فرض نظام سياسي يستجيب لرغباتها ويحقق أهدافها ومصالحها السياسية والاقتصادية، وذلك بعيدا عن أي مشاركة حقيقية من جانب الشعب العراقي حتى وإن اشتملت المشاركة على فصائل سياسية عراقية في الساحة الوطنية العراقية، ولاسيما بعد رفض هذه الفئة المشاركة في أي حكومة في ظل الوجود العسكري الأمريكي في البلاد مع ما ينطوي عليه كل ذلك من مصادرة فعلية لحق الشعب العراقي في إقامة النظام السياسي الذي يرغب فيه بعيدا عن أي تدخل خارجي، كذلك حرمانه من حقه في التحكم في ثرواته الطبيعية- النفطية بالشكل الذي يحقق رفاهيته وتقدمه الاقتصادي.²

وعليه يمكن القول أن الولايات المتحدة في حربها على العراق بحجة تحريره من ديكتاتورية صدام وعملها على إطاحة نظام وفرض آخر بدون التفاف الشعب العراقي حوله هو جور وانتهاك لمبدأ اعتمدته الدول منذ القرن الثامن عشر هو حق الشعوب في تقرير مصيرها.

5/1- عدوانية الحرب الأمريكية على العراق:

جاء في تعريف العدوان من خلال القرار الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 24 ديسمبر 1974، والذي يعتبر أبشع صور الإستعمال غير المشروع للقوة وأخطرها على الإطلاق سواء على سيادة وسلم وأمن الدولة المستهدفة أو على السلم والأمن الدوليين ككل، فقد نصت المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة على أن (المبادأة باستعمال القوة من قبل دولة ما خرقا للميثاق تشكل بيئة كافية مبدئيا على ارتكابها عملا عدوانيا، وإن كان لمجلس الأمن أن يخلص إلى أنه ليس هناك ما يبرر الحكم بأن عملا عدوانيا قد ارتكب وذلك في ضوء ملابس أخرى وثيقة الصلة بالحالة، بما في ذلك أن تكون التصرفات

¹ - سعد الزكراكي، " محاضرات في القانون الدولي العام "، (المغرب: مطبعة فضالة، 1990)، 84.

² - سمير أمين، " بعد حرب الخليج -الهيمنة الأمريكية، إلى أين- "، المستقبل العربي، العدد 170، أبريل 1993، ص 182.

محل البحث أو نتائجها ليست ذات مطورة كافية)¹، بمعنى أن مجلس الأمن هو الوحيد القادر على إصدار قرار بوجود عدوان في حالة دولية إذا توفرت لديه الأركان المادية للعدوان.

وعن الحرب الأمريكية على العراق والتي تعد خرقاً لميثاق نورمبرغ لعام 1945 وكذا لما تعرفه الفقرة 498 من الدليل الميداني للجيش الأمريكي رقم 10/27 (1956) والتي تحدد طبيعة الجرائم الحربية فالحرب على العراق تعتبر جريمة يعاقب عليها القانون الدولي، خاصة أن الولايات المتحدة قد بدأت حربها بإستراتيجية البنتاغون العسكرية الهادفة إلى إلحاق " الصدمة والفرع " بمدينة بغداد ولما كانت المادة 6 من ميثاق نورمبرغ تعرف مصطلح جرائم الحرب الذي هو انعكاس لعدوانية الحرب بأنه (التدمير الشامل للمدن أو البلدان أو القرى، أو التخطيم غير المبرر بضرورات عسكرية)²، وقد أثبتت الوقائع التدمير العاشم الذي لحق ببغداد والذي لم يكن مبرر بضرورة عسكرية، ثم إن الولايات المتحدة قد بدأت باستعمال القوة بدون أي وجه حق أو مبرر حتى وإن كان مبررها أسلحة الدمار الشامل، فنهايك عن أنها لم تثبت وجودها فهي تثبت انتهاك الولايات المتحدة لمبدأ آخر في ميثاق الأمم المتحدة وهو مبدأ المساواة بين الدول الأعضاء، والذي يعد أحد المبادئ الرئيسية التي قامت عليها الأمم المتحدة حيث أن الولايات المتحدة نفسها تأتي على رأس الدول التي تمتلك أسلحة الدمار الشامل المختلفة كما تمتلك بريطانيا وفرنسا وروسيا والصين والهند وباكستان.... إلخ أسلحة دمار شامل متعددة، ومع ذلك لم يصدر ضدها أي قرار من مجلس الأمن كما حدث بالنسبة للعراق الذي لم تثبت أصلاً ملكيته هذه.

غير أن الولايات المتحدة تجاوزت كل هذه الإنتهاكات وحاولت تغطية حربها المنافية للشرعية الدولية والمفكرة للأساس القانوني بحق الدفاع الشرعي عن النفس المنصوص عليه في المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، وذلك على اعتبار أن امتلاك العراق أسلحة دمار شامل يهدد بها أمن ومصالح الولايات المتحدة والعالم ككل يتطلب اللجوء إلى القوة لردع الخطر العراقي قبل حدوثه وذلك في إطار زحف الدفاع الإستباقي، فالحرب الإستباقية التي تعكس الإستراتيجية الأمريكية لما بعد 11 سبتمبر لا تستند إلى الخوف من عدوان عراقي داهم، وإنما الخوف من خطر قادم ومحتمل وتهديد إستراتيجي من العراق للولايات المتحدة والعالم أجمع، وتستدل الولايات المتحدة في حقها هذا على الإنتهاكات التي قام بها العراق تجاه قرارات الأمم المتحدة حول نزع أسلحة الدمار الشامل.³ لكن هل يشكل بلد من عالم ثالث نامي حتى وإن كان يملك السلاح النووي خطر ومنافس لقوة عظمى مثل الولايات المتحدة ولا تشكله روسيا الخصم التاريخي لها ؟ !

¹ - علي صادق أو هيف، المرجع السابق، ص 250.

² - فرانسيس أ. بويل، " الولايات المتحدة كمحتل محارب- العراق وقوانين الحرب "، المستقبل العربي، العدد 324، فيفري 2006، ص ص 11-12.

³ - Paul Marie, » **ce dangereux concept de guerre préventive** », le monde diplomatique no 582 C septembre 2002, P. 10.

يبقى أن نقول أن الحرب الأمريكية على العراق بكل انتهاكاتها واستهتاراتها بالشرعية الدولية قد شكلت التطبيق الفعلي لعدم الإكتراث بقرارات الأمم المتحدة وبضعف هذا الجهاز أمام القوة الأمريكية من جهة، كما أثبتت من جهة أخرى ترسيخ الهيمنة الأمريكية عالمياً وقدرتها على ترتيب الأوضاع إقليمياً وهو ما أكدته "جيمس وولسي" و هو أحد المحافظين الجدد ففي خطاب له أمام مؤتمر الناتو في براغ في نوفمبر 2002 قال: " يمكن أن نعتبر العراق المعركة الأولى في الحرب العالمية الرابعة.... فبعد حربين عالميين وواحدة باردة أصبحنا متمركزين في أوروبا، إن الحرب العالمية الرابعة ستكون من أجل الشرق الأوسط [...] نريدكم أن تدركوا للمرة الرابعة خلال مائة عام، أن هذا البلد وحلفاءه زاحفون، وإننا نقف مع صف الذين تخافونهم بشدة، لأننا نقف مع صف شعوبكم." ¹

2- _____:

أكدت نهاية الحرب الباردة أن التنافس بين الدول الكبرى مسألة لا مفر منها غير أن وصولها للنزاعات المسلحة لم يعد ضرورياً، خاصة وأن أحداث 11 سبتمبر قد أوضحت أن القوى الكبرى تقف على نفس الأرضية توحيدها المخاطر المشتركة التي يمثلها العنف والفوضى التي يشنها الإرهابيون و تقترب من بعضها بتبني القيم المشتركة، هذا الإحساس بوحدة المصير يعطي إنطباع أولي عن مساندة الدول الغربية الكبرى للولايات المتحدة في حربها على العراق فأين الحقيقة من هذا الطرح ؟

أعلنت كل من فرنسا، روسيا، الصين وهم من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن والذين يتمتعون بحق الفيتو، بالإضافة إلى ألمانيا وعدة دول غربية أخرى عن معارضتها العنيفة للخطة الأمريكية للتدخل العسكري في العراق بتهمة حيازته لأسلحة الدمار الشامل، وقد شهدت ساحة مجلس الأمن مبارزات سياسية حامية ضد الخطط الأمريكية ومع موافقتها على القرار 1441 إلا أنها أعلنت تحفظها على أي إستعمال للقوة العسكرية ضد العراق. هذا الموقف الغربي من الولايات المتحدة يطرح فكرة جديدة في العلاقات الدولية، فمنذ نهاية الحرب الباردة تربعت الولايات المتحدة على عرش العالم مما أثار مخاوف دول العالم لا سيما الدول الغربية بما فيها الدول الأوروبية، أما الآن وهذه المعارضة الغربية للولايات المتحدة فقد برزت فكرة التحدي العالمي للإمبراطورية العالمية. ²

لم تجد الولايات المتحدة من الدول التي تشاطرها المصالح والمصير من تحالف أو تأييد إلا من الجانب البريطاني وبعض الدول كإيطاليا وأوكرانيا وبولندا... إلخ، وتحالف بريطانيا مع الولايات المتحدة تحالف متوقع فهي الحليف التاريخي للولايات المتحدة، بالإضافة للإشتراك القيمي بينهما والتاريخي

¹ - حسن الحاج علي أحمد ، المرجع السابق ، ص 74.

² - السيد ياسين، " الإمبراطورية الكونية - الصراع ضد الهيمنة الأمريكية -" ، (مصر: شركة النهضة، 2004)، ص 7

بالنسبة للعراق فقد كان الإحتلال البريطاني لبغداد في عام 1917 يحمل نفس المبررات التي تدعيها الولايات المتحدة الأمريكية في غزوها للعراق، فقد تعهد الجنرال "ف.س.مود" البريطاني الذي إحتل بغداد عام 1917 أمام شعب بلاد ما بين النهرين في ذلك الوقت بالقول " جيوشنا لم تأت لمدنكم و أراضيكم بصفتها جيوش إحتلال أو لأنها عدوة لكم لكنها أتت كمحررة " ¹

سعت الدول الدائمة العضوية و التي اتخذت مواقف لتجسيم الإتجاهات العسكرية الأمريكية إلى إبقاء حيازتها مفتوحة في حالة حكومة موالية لأمريكا، لذلك صوتت على القرار 1441 بتحفظ من إستعمال القوة العسكرية. ويرجع بعض المحللين هذا الموقف المتحفظ إلى أن المصالح البترولية المتنافسة كانت عاملا حاسما بين هذه الدول، حيث أن شركة "توتال" (فيينا - إلف) الفرنسية لها علاقات خاصة بالعراق منذ السبعينات، وكذلك إتفقت شركة "لوك أويل" الروسية والشركة الوطنية الصينية على القيام باستكشافات بترولية في العراق حالما ترفع عنها عقوبات الأمم المتحدة، لهذا كانت تهديدات مغلفة باستبعاد روسيا و فرنسا و الصين من أي إمتيازات بترولية مستقبلية ما لم تدعم سياسة بوش الابن في تغيير النظام العراقي. ²

ومع كل هذه التهديدات يظل الموقف الغربي رافض لإستعمال القوة في العلاقات الدولية بشكل عام و العراق بشكل خاص، بل و يعيب على بوش الابن إفتقاده للتجربة السياسية كما يعيب على المحافظين الجدد في البيت الأبيض الإستخدام المفرط للقوة منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، وهو ما أكده الرئيس الفرنسي السابق "جاك شيراك" و الذي حذر من عواقب الإستخدام المفرط للقوة العسكرية. ³

3-

يمكن تسليط الضوء على الموقف العربي من الإدارة الأمريكية في حربها على العراق كحالة من زاويتين، زاوية الواجب العربي في هذه الحرب و زاوية الواقع العربي منها .

1/3- الواجب العربي:

يتلخص في الإلتزامات القانونية العربية تجاه هذه القضية و التي تتضح من خلال ما حددته معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية، و التي صادقت عليها جميع الدول العربية و قد جاء في مادتها الثانية " تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها أو على قواتها اعتداء عليها جميعا. ولذلك فإنها عملا بحق الدفاع الشرعي الفردي و الجماعي عن كيانها، تلتزم بأن تبادر إلى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها، و بأن تتخذ على الفور منفردة و مجتمعة جميع التدابير

¹ - ليون هادار، المرجع السابق ص 95.

² - محمد رياض، المرجع السابق، ص 187.

³ - عبد القادر مشري، " التنافس الفرنسي الأمريكي في الخليج و الشرق الأوسط "، العالم الإستراتيجي، العدد 2، أبريل 2008، ص 20.

و تستخدم جميع ما لديها من وسائل، بما في ذلك إستخدام القوة المسلحة لرد الإعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما".¹

في حين تمنع المادة الثالثة من نفس المعاهدة أي دولة عربية من الدخول في اتفاق دولي من شأنه أن يتناقض وبنود هذه المعاهدة أو تسلك أي مسلك يتنافى مع أعراض هذه المعاهدة .

أما الواجب العربي من خلال القرارات العربية على المستويات المختلفة التي اتخذتها جامعة الدول العربية و مؤتمرات القمة فيمكن تسليط الضوء عليها من خلال قرارات مؤتمر القمة العربي الذي عقد في بيروت (إعلان بيروت) لاسيما القرار رقم 227 الصادر بتاريخ 28 مارس 2002 و الذي يتعلق بالتهديدات الأمريكية للعراق، و الذي يرحب بالقرار 1441 باعتباره لا يشكل ذريعة لشن حرب على العراق و لا يتضمن التلقائية للجوء للعمل العسكري، وذلك تعبيرا عن الموقف العربي المؤيد للشرعية الدولية المتمثلة بمجلس الأمن و بمهمة التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق. فموجب القرار 227 يقر قادة الدول العربية واجب احترام استقلال و سيادة العراق وضرورة رفع العقوبات و المعاناة عن شعبه فقد جاء في هذا القرار: (تدارس القادة التهديد بالعدوان على بعض الدول العربية وبصورة خاصة على العراق و أكدوا رفضهم المطلق ضرب العراق أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية باعتباره تهديد للأمن القومي لجميع الدول العربية).²

يتضح من خلال ما سبق أن الدول العربية ملزمة قانونيا بالدفاع عن العراق بما في ذلك المشاركة العسكرية و إعتبار الحرب الأمريكية على العراق حرب عليها جميعا، ولكن أين هو الواقع العربي أو الموقف الواقعي العربي من الحرب الأمريكية على العراق؟ و الذي يتضح من خلال جبهتين الأولى الموقف الرسمي و الثانية الموقف الشعبي؟

-2/3-

قام " ديك تشيني " في مارس 2002 بجولة شملت تسع دول عربية بهدف تحضير دول المنطقة وحثها تمهيدا لهجوم أمريكي لإطاحة نظام صدام حسين، مبررا خطورة المسألة العراقية على الأمن الإقليمي في الخليج وقد قوبل برفض رسمي على الحملة الأمريكية على العراق، فبالنسبة للسعودية فقد ذكرت تقارير إعلامية أنها بالإضافة لرفضها استعمال القوة العسكرية ضد العراق، سعت إلى تحذير الطرف الأمريكي من نتائج هذه الضربة و التي قد تؤدي إلى تقسيم العراق إثنيا من جهة و إثارة غضب الرأي العام العربي و الإسلامي من جهة أخرى، أما الكويت العدو التاريخي للعراق فقد أعلن

¹ - خير الدين حسيب، " الحرب الأمريكية على العراق ... إلى أين ؟ "، المستقبل العربي، العدد 290، أبريل 2003، ص 7.

² - سعد ناجي جواد وآخرون، " إحتلال العراق و تداعياته عربيا و إقليميا و دوليا "، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 74-76.

معارضته لشن هذا الهجوم العسكري حيث قال نائب رئيس الوزراء الكويتي وزير الخارجية "الشيخ صباح الأحمد الصباح" في مؤتمر صحفي مشترك مع تشيني: (نحن لن نؤيد هذا الموضوع...إن النظام العراقي لن يتضرر و إنما الشعب العراقي....نتمنى أن يقدر النظام العراقي ما قد يحصل لشعبه لو أنه رفض إستقبال وحدة نزع السلاح الشامل).¹

يذهب البعض إلى أنه رغم هذا الموقف الرسمي المعارض إلا أنه ثمة موافقة ضمنية لبعض الدول العربية على تغيير النظام العراقي، مستشهدين في ذلك على أن الحرب الأمريكية على العراق تشن أرضاً وبحراً وجواً من أراضي وموانئ وقواعد عربية في الخليج وبأسلحة وعتاد وتمر في مياه عربية. وبالتحديد يذهب أصحاب وجهة النظر هذه إلى أن الولايات المتحدة في حربها قد استندت إلى معلومات وتسهيلات بل حتى إلى دفع الحكومة الإيرانية لتسهيل هذه الحملة بحجة أن إيران سعت إلى إبعاد الأنظار الأمريكية عنها بتسليطها على العراق هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن إيران تعتقد أن الولايات المتحدة ستظل محتقظة بجميل إيران عليها في هذه الحرب مما يخلق تعاون و تقارب أمريكي إيراني.²

و آياً كانت حقيقة هذه التصورات فالموقف العربي الرسمي يبقى على طاولات المؤتمرات والاجتماعات العربية لا يجسده الواقع بأكثر من رفض متحفظ وخوف من نفس المصير العراقي يدفعه لاسترضاء الولايات المتحدة و عدم إثارة غضبها و كراهيتها .

-3/3-

كعادة الشارع العربي في مثل مواقف الاعتداء على الشعوب العربية هذه، فقد استنكرت الحشود الشعبية العربية التهديد الأمريكي للعراق و من ثم العدوان عليه و تجلّى ذلك في مظاهرات صاحبة في معظم الأقطار العربية لا سيما في الجامعات العربية، باستثناء الخليج العربي عدا البحرين ، وبعض التيارات الإسلامية المختلفة في الكويت وبعض النخب السعودية.

وقد ترجم حقيقة وهدف الواقع العربي الشعبي "المؤتمر القومي العربي" الذي ساهم في الكثير من الفعاليات الشعبية إضافة إلى تنفيذه لقرارات سابقة للمؤتمر السنوي الأخير الذي عقد في البحرين خلال عام 2002 ، و التي تلخصت في توجيه نداءات إلى الملوك و الرؤساء العرب تحدد مسؤولياتهم تجاه العراق ، و إلى شخص بوش الابن و توني بلير تضمنت تحذيرات واضحة من العواقب الإقليمية و العالمية الوخيمة التي ستنتج عن ضرب العراق، أما نداءات المؤتمرات التي وجهت للكونغرس الأمريكي وأعضاء المجلس العموم البريطاني فقد تضمنت تنبيهها بالأخطار التي تسربت على هذه الحرب

¹ - هيثم مزاحم ، المرجع السابق ، ص 180.

² - أحمد الزبييري، " نزع فتيل الحرب في ملحمة الجميع "، نقلا عن :

خاصة وأنها لا تستند إلى أدلة، وتحدث في وقت لا يشكل فيه العراق أي تهديد لأي من بلدان العالم، كما طالب المؤتمر الكونغرس الأمريكي بتفادي العدوان الأمريكي البريطاني على العراق.¹

و للإشارة فناهيك عن الموقف العربي فقد شملت جولة "ديك تشيني" زيارة إلى أنقرة يستجدي فيها تأييد الحليف التركي لحملته على العراق غير أن ردود أنقرة جاءت منافية لأمال تشيني. فمباحثات تشيني مع "بولنت أجاويد" رئيس الوزراء التركي وقائد الأركان "حسين كيفريك اوغلو" في عام 2002 حول تفاصيل الخطة الأمريكية لضرب العراق و التي طلب فيها تشيني منهما توضيح الموقف التركي تجاه العمل العسكري الأمريكي في العراق، و بالرغم من أن رئيس الوزراء "مسعود بلماظ" أكد أن واشنطن لن تستأذن أحد إذا قررت ضرب العراق إلا أن البرلمان التركي برئاسة "بولنت أرني" قد أعلن معارضته للحرب على العراق ورفض استخدام القواعد و المنشآت و الجيش التركي لأغراض العدوان العسكري الأمريكي على العراق.²

و عليه يمكن القول أن الموقف العربي سواء كان رسمي أو شعبي بالإضافة إلى الموقف التركي من الحرب الأمريكية على العراق هو موقف رافض و متعنت يساهم في إضعاف الموقف القانوني الأمريكي من شن الحرب .

يبقى أن نقول أن الحرب في أفغانستان قد اعتمدت على إجماع دولي قد تشتت بضربة على العراق، وبأن عملية الغزو الأمريكي على العراق ومحاولات الولايات المتحدة التي سبقته لبناء ائتلاف يساعدها على تحقيق هدفها قد أثارت جدلاً وخلافاً واسع النطاق على المستوى الأوروبي - الأوروبي ، و الأوروبي - الأمريكي، على نحو أثار التساؤل حول طبيعة النظام العالمي والعلاقات الدولية في عصر ما بعد انتهاء الحرب الباردة و إمكانات التحول إلى نظام متعدد الأقطاب. ولكن في النهاية فإن ما كشفت عنه الأحداث و التطورات من اتجاه منفرد للولايات المتحدة لغزو العراق إنما أكد الإنفرادية الأمريكية في السيطرة على العالم وتوجيه مساراته وفقاً لما تمليه عليها مصالحها مستخدمة في ذلك كل وسائل التأثير والضغط، وكل ما تملك من قوة عسكرية من أجل بسط هيمنتها الكاملة على النظام الدولي وتأكيد هذه الهيمنة في مرحلة ما بعد 11 سبتمبر 2001 .

¹ - خير الدين حسيب، المرجع السابق، ص 15.

² - هيثم مزاحم ، المرجع السابق ، ص 179.

المبحث الرابع: نتائج و تداعيات الحرب الأمريكية على العراق

ربطت الحرب منذ البد بأخلاقيات وأعراف وتقاليده، واحترام الدولة لمبادئ الحرب يعكس تحضرها واحترامها لقيمة الإنسان. والحرب تلتزم بعدالتها بقدر التزام الدولة بتدريب جنودها على احترام قيم الحرب وأخلاقيات القتال، لذلك فالحرب تتحول إلى جريمة تاريخية تدينها البشرية طالما لم يلتزم أطراف الحرب بما استقرت عليه البشرية من أعراف وتقاليده.

لذلك يعد قرار الحرب من أصعب القرارات السياسية الذي يجب أن يخضع إلى موازنة دقيقة بين الأهداف وحجم التضحيات المتوقعة، والقائد الناجح الذي يحقق أهدافه بأقل التضحيات البشرية المتوقعة و الخسائر المادية لكلا طرفي الحرب. فهل يمكن القول أن إدارة بوش الابن قائدة الحرب الأمريكية على الإرهاب بشكل عام والعراق كحالة قيادة ناجحة ؟

1- نتائج الحرب على الطرف الأمريك :

1/1- استراتيجيا :

شكلت الحرب على العراق فرصة بالنسبة للمؤسسات العسكرية الأمريكية لتطبيق النظريات القتالية الحديثة التي عكف "دونالد رامسفيلد" على تطويرها، والتي تقوم على أن التكنولوجيا العسكرية المتطورة توفر الوقت والجهد والذخائر، حيث أن هذه التكنولوجيا تتيح العديد من المزايا الإضافية أبرزها التوفر الهائل في الذخائر، لأن الأسلحة الذكية الموجهة بدقة نحو الهدف المعادي توفر طاقة تدميرية تساوي عشرة أضعاف ما كان يمكن للأسلحة التقليدية أن تحققه، مما يقلل من حجم القوات اللازمة لتحقيق مهمة معينة، بالمقارنة مع العمليات العسكرية السابقة. كما أن هذه التكنولوجيا تتيح سرعة أكبر في نقل القوات، ومن ثم أنصب التركيز في فلسفة "رامسفيلد" العسكرية الجديدة على السرعة والطاقة التدميرية في إطار مزيج متكامل على النحو الذي يغير كثيرا من عناصر المعادلة التقليدية بين الكمية والنوعية في عمليات بناء القوات العسكرية.¹

لأجل هذا يعاز انتصار القوات الأمريكية في حرب العراق بالدرجة الأولى إلى التطور المذهل في التكنولوجيا المتقدمة والتي خلقت فارقا هائلا في القرارات العسكرية بين الجانبين.

¹ - أحمد إبراهيم محمود، "حرب العراق وتحولات الفكر الاستراتيجي الأمريكي"، السياسة الدولية، العدد، 153، جويلية 2003، ص 114.

2/1- بشريا :

أكدت إحصائيات مارس 2008 أن عدد القتلى من الجنود الأمريكيين منذ اجتياح العراق قد وصل إلى 4119 قتيلا و عدد الجرحى 30349 ، أما عدد المدنيين الأمريكيين العاملين في العراق فعددهم 171 قتيلا، في حين تشير الإحصائيات غير الرسمية إلى أكثر من 3000 قتيل أمريكي في العراق وأكثر من 50 ألف جريح ومعاق.¹

كما أشارت ذات الإحصائيات إلى أن عدد قتلى الدول المتحالفة مع الولايات المتحدة الأمريكية في حربها على العراق قد وصل إلى 314 قتيل معظمهم من الجنود البريطانيين، منهم 33 إيطاليا، 16 أوكرانيا، 17 بولنديا، 13 بلغاريا، 11 اسبانيا، 8 دانماركيا، 2 استراليا.²

هذه الإحصائيات تستبعد عدد قتلى الاحتلال الذين يقوم الجيش الأمريكي بإلقاء جثثهم في بحيرة الجيانية وفي نهري دجلة والفرات وفي الوديان والصحاري في محافظة الأنبار وبقية المناطق، وهي معلومات تقدم بها أفراد من المجتمع العراقي، حيث قام مزارع من نهر دجلة سنة 2004 بانتشال أكثر من 20 جثة وبفترات متقاربة لأشخاص يلبسون الزي العسكري الأمريكي وجرى دفنهم على اليابسة في حوض النهر، وبعد التحري حول هذا الموضوع تم التوصل إلى أن هؤلاء القتلى الذين يجري التخلص من جثثهم من جنسيات مختلفة تطوعوا في الجيش الأمريكي للحصول على الجنسية الأمريكية و ليس لديهم عائلات في أمريكا تسأل عنهم يدعون مقاتلي البطاقة الخضراء (Green Card).³

3/1- اقتصاديا :

بعد حربها على الإرهاب في أفغانستان والعراق وما استهلكته هذين الحربين من موارد مالية واقتصادية هائلة، هل تبقى الولايات المتحدة الأولى اقتصاديا على مستوى العالم؟.

في ظل التطورات المخيفة اقتصاديا التي تشهدها أمريكا من حيث تراجع الاقتصاد بالشكل الملحوظ وبنسب إحصائية تنذر بخطر اقتصادي كبير، ذلك التراجع والركود الاقتصادي الذي ينعكس ويؤثر سلبا على باقي دول العالم لما لها من ارتباط سياسي اقتصادي مع الولايات المتحدة، ويلعب الغزو الأمريكي للعراق دورا جوهريا فيما آل إليه الوضع الاقتصادي الأمريكي أشار "جوزيف شتيغلير" أهم رجال الاقتصاد الأمريكي والحائز على جائزة نوبل للسلام، أن تكلفة الحرب على العراق التي تدخل عامها السادس في 2008 تضاعفت ثلاثة مرات عن الأعوام السابقة لتصل إلى 12 مليار دولار شهريا، وتوقع شتيغلير أن تكلف حرب العراق وأفغانستان بالإضافة إلى التواجد العسكري طويل المدى في

¹ - جاسم الشمري، " لماذا البشير ؟ لما لا يكون بوش؟" نقلا عن : <http://www.iraq.ansi.org/heurs.php?/9/9/2002>.

² - مقال دون مؤلف، " الحرب الشاملة- الوجه الآخر للحرب الكونية الأمريكية-"، الخبر الأسبوعي، العدد 314، من 10 إلى 16/9/2005، ص5.

³ - مقال دون مؤلف، " الخسائر في العراق بين الواقع والتضليل "، نقلا عن: <http://www.allasrk.net/ar-articles2008/0508/khsa2-040508.htm/10/9/2008>

البلدين الخزانة الأمريكية ما بين 1.7 تريليون دولار إلى 2.7 تريليون دولار أو أكثر بحلول عام 2017م وذلك في أفضل الأحوال، و قد تضيف الفائدة على قروض تمويل الحرب تلك وحدها مبلغ 876 مليار دولار إلى التكلفة.¹

أما مكتب الموازنة بالكونغرس فقد توقع أن تصل تكلفة الحربين مابين 1.2 و 1.7 تريليون دولار بحلول عام 2017 وسيذهب ثلاثة أرباعها للعراق. كما ذكر مكتب الموازنة بالكونغرس إلى أنه رغم تراجع معدلات الخسائر البشرية بين المدنيين العراقيين والعسكريين الأمريكيين خلال الشهور القليلة الماضية (السابقة لستمبر 2008) إلا أن معدل الإنفاق في تصاعد، مشير إلى أن موازنة الحرب لعام 2008 أعلى بواقع 155 في المائة عن عام 2004 وقد عزا الارتفاع إلى أسباب ضخمة منها زيادة حجم القوات الأمريكية في العراق بقرابة 30 ألف جندي إضافي، ارتفاع أسعار الوقود، واستبدال المعدات العسكرية البالية أو المتضررة.²

من جانب آخر تشكل الحرب على الإرهاب بشكل عام و على العراق بشكل خاص مؤثر فعال في نسبة الدين الداخلي الأمريكي الذي يشبه قنبلة زمنية موقوتة يمكن أن تنفجر في أي لحظة، حيث يزداد بحوالي 1400 مليون دولار يوميا، أي بحوالي مليون دولار كل دقيقة ويبلغ حجم الدين الداخلي الأمريكي 9130 مليار دولار لعام 2008 والذي يعني أن مديونية كل أمريكي سواء كان رجل أو امرأة أو طفل تبلغ 30 ألف دولار تقريبا، ويؤكد الخبراء الإقتصاديين في (ستاندرد آندبورز) أنه عندما تولى بوش الإبن مهام منصبه في جانفي 2001 بلغت قيمة الدين حوالي 5700 مليار دولار وسيبلغ 10000 مليار دولار عندما يحين موعد مغادرته البيت الأبيض في 2009 في حين أنه كان في العام 1989 حوالي 2700 مليار دولار.³

كما يشير بعض المحللين الإقتصاديين الأمريكيين إلى أنه على مدى السبع سنوات الأخيرة من رئاسة بوش الإبن اتجه تمويل برامج التعليم، الطرق السريعة وفرض القانون نحو تناقص حصتها في الميزانية والإقتصاد، فقد ذكرت "ليندا ابيلمس" خبيرة الميزانية والمالية العامة في جامعة هارفارد في دراسة أجرتها شملت التكاليف الكلية للحرب على العراق، متضمنة المقدار الكلي للنقود التي صرفت لغايته كتكاليف رعاية الجنود (المحاربين القدماء) بعد عودتهم، دفع التعويضات للعجزة من المحاربين القدماء، استبدال وتعويض المعدات العسكرية، وكلفة الاقتراض. ولما كانت من أسباب الحرب على

¹ - علي الطالقاني، "12 مليار دولار شهريا تكلفة الحرب على العراق"، نقلا عن :

<http://www.annabac.org/nbanews/69/160.htm/10/9/2002>

² - ستيف شيفرز، "حرب العراق وحساب التكاليف"، نقلا عن :

<http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/business/newsid730500/7305906.htm/9/9/2008>

³ - عمر نجيب، "نهاية الإمبراطورية على أسوار بغداد"، نقلا عن :

<http://www.allasrk.net/ar-articles2008/0308/najib-160308.htm/13/9/2008>

العراق حيازة نفط رخيص إلا أن النتيجة لم تولد نفطا رخيصا، فحسب بيلمس تسلق سعر النفط من 2.5 دولار للبرميل قبل غزو العراق إلى مستوى صاعق بلغ 110 دولار للبرميل الواحد.¹

مع هذا التأثير البالغ للغزو الأمريكي على العراق من الجانب الاقتصادي يبقى السؤال هل استمرار الحرب في العراق هو بداية العد التنازلي للإمبراطورية الأمريكية ؟

4/1- سياسيا :

تلعب اتجاهات الرأي العام دورا رئيسيا في رسم السياسة الأمريكية تجاه أغلب القضايا وفي مقدمتها الحرب الدائرة في العراق التي تحولت إلى حرب استنزاف للأمريكيين ماديا وبشريا، ففي تقرير لمركز بيو للأبحاث Pew Reserch Center تضمنت حصيلة موافقة الرأي العام الأمريكي من قضايا وأحداث عام 2007، كتبه كل من رئيس المركز "أندرو كوهوت" والمدير المساعد للمركز لشؤون الصحافة والناس "كارول دوهيرتي" في 19 ديسمبر 2007 تحت عنوان "What wars and wasn't en the public mind in 2007" جاء فيه أن شعبية الديمقراطيين في أمريكا قد تعززت بصورة ملحوظة خلال العام 2006 حيث بلغت نسبة تأييدهم الـ 50 % من الناخبين مقارنة بـ 36 % للجمهوريين، وقد بين استبيان نشره مركز بيو للأبحاث التأييد المتزايد للمواطنين لأجندة الديمقراطيين في تعزيز دور الحكومة في مجال الرعاية والحماية الاجتماعية، وتخفيف مستوى الإختلال في مداخل المواطنين، كما تقلص اهتمام الناس بسياسة الأمن الوطني التي أكد ومازال يؤكد عليها الجمهوريين.²

هذا الميل الأمريكي للديمقراطيين هو انعكاس لنتائج الحرب على العراق على الرأي العام الأمريكي الذي يرى في الجمهوريين اندفاع مستمر نحو القوة والحرب، مما يزيد في خسارته لأبنائه وأمنه وكرهية العالم لدولته، لأجل هذا يعد فوز الديمقراطيين بأغلبية مقاعد مجلس الكونغرس الأمريكي في انتخابات نوفمبر 2006 فوز لرافضي الحرب على مؤيديها، أيضا على تراجع شعبي لبوش الابن إلى أدنى مستوياته وكذلك زيادة الرفض الشعبي لهذه الحرب.

هذا التراجع في شعبية بوش الابن الذي يتجلى من خلال ردود فعل الأمريكيين و الذي أدى بفرانك هيلتس وهو شرطي متقاعد وآخرون، إلى اعتبار فشل الإدارة الأمريكية في العثور على أسلحة الدمار الشامل في العراق دليل على التضليل الذي تعرض له الشعب الأمريكي، لذلك طالب هيلتس بمحاكمة بوش الابن بتهمة خيانة الأمانة، وطالب بالكشف عن الأسباب الحقيقية للحرب، بالإضافة إلى اتهام الإدارة الأمريكية بسوء إدارة الحرب نفسها.³

¹ - عبد الوهاب حميد رشيد، "حرب العراق تسحق الاقتصاد الأمريكي"، نقلا عن :

<http://www.al-moharer.net/mah266/a-h-resheed266h.htm/4/9//2008>

² - أحمد عاطف، "حصار العام 2007 في عيون المواطن الأمريكي"، نقلا عن :

<http://www.oafaq.org/news.aspx?id-news=3599/07/2008>

³ - نفس المرجع.

وعليه يمكن القول أن الحرب الأمريكية على العراق كان لها تداعياتها على الجانب الاقتصادي والسياسي والبشري الأمريكي مما يجعل استمرارها زيادة لضرر هذه الجوانب وأكثر، لذلك فإن مسؤوليات جسام ستقع على الرئيس الجديد للولايات المتحدة أهمها كيفية الخروج من العراق إن كان هناك احتمال للخروج.

2- _____:

1/2- بشريا :

أكدت إحصائيات مستندة إلى (مسح قبل وبعد غزو العراق 2003) منشورة ضمن إحصائيات 8 أبريل 2008 أن عدد القتلى من المدنيين العراقيين الذين ثبتت وفاتهم بوثائق شهادة الوفاة هم 14990 لغاية 2008 ، أما عدد القتلى من المدنيين العراقيين الذين لم تثبت وفاتهم بشهادة الوفاة فقد بلغ من 47016 إلى 52142.¹

وتعزز المنظمة المدافعة عن حقوق الإنسان هذه الخسائر البشرية في صفوف المدنيين العراقيين، إلى استخدام الجيش الأمريكي للذخائر العنقودية في مناطق أهلة بالسكان أثناء قيام قوات التحالف بالعمليات الحربية الرئيسية- والذي تعتبره المنظمة أهم العوامل التي أسفرت عن هذه الخسائر البشرية - فقد استخدمت القوات الأمريكية والبريطانية نحو 13000 من القنابل والقذائف العنقودية التي تحتوي على قرابة مليونين من القنبيلات، فمنذ عام 2006 حتى نهاية عام 2007 تجلت قفزة من حوالي 20 ألف باوند من القنابل التي أسقطت شهريا إلى حوالي 80 ألف ثم إلى 100 ألف قنبلة علما أن استخدام القنابل العنقودية محرم دوليا.²

ويمكن القول أن استهداف المدنيين - برغم إعلان الإدارة الأمريكية بأنه حادث غير مقصود - يرجع إلى طبيعة السياسة العسكرية الأمريكية، فالنظام العسكري الأمريكي يقوم على تجريد الجندي الأمريكي من القيم والأخلاق لأن التمسك بها يقتضي استرجاع مبدأ المراجعة الذاتية الإنسانية، ومثل هذه المراجعة تفرض الرحمة والشفقة وهي أمور تتناقض مع هدف المؤسسة العسكرية، فالنظرية الأمريكية في الحرب تقوم على أساس أن الجبهة المدنية والاقتصادية للعدو تعد امتداد للجبهة العسكرية، وأن ضرب المدنيين وتدميرهم وانتهاك حرمتهم يوقع خسائر فادحة بالعدو ويخلخل الجبهة العسكرية ويربكها وينشر

³- أحمد عطا، " 655 ألف قتيل ضحايا الغزو الأمريكي للعراق"، نقلا عن :

<http://www.islamonline.net/sewlt/sawlet/?10/9/2008>

² - جاسم الشمري، مرجع سابق.

الذعر فيها، ولهذا فإن الولايات المتحدة تحتفل في أوت من كل سنة بضرب هيروشيما وناكازاكي بحجة أنه لو لم تضرب تلك المدينتين لكانت الحرب العالمية مستمرة لحد الآن.¹

وهذا الموقف الأمريكي غير الإنساني الذي يجعل من المدنيين هدفا عسكريا مغريا ويعرضهم للتدمير والحصار والتعذيب اذعكس أيضا على الموقف القانوني الرسمي، فالولايات المتحدة من أولى الدول التي عارضت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1947 واتفاقيات جنيف لعام 1949 الخاصة بحماية الأسرى والجرحى والمدنيين في المنازعات المسلحة، وبروتوكول جنيف الاختياري لعام 1977 الخاص بحماية المدنيين في المنازعات المسلحة، ومعاهدة روما لعام 1998 الخاصة بمحاكمة مجرمي الحرب، فكانت الولايات المتحدة والكيان الصهيوني من بين سبع دول رفضت الانضمام لمعاهدة روما من أصل 167 دولة موافقة.²

2/2- اجتماعيا:

يعاني الشعب العراقي خلال سنوات الغزو من التهجير لدول مجاورة كالأردن، سوريا... ناهيك عن النزوح الداخلي، إذ تفيد الإحصائيات التي كشفت عنها المنظمات الدولية للهجرة بأن واحد من كل خمس عراقيين يعيش إما نازحا داخل بلده أو لاجئا في دول أخرى قبل ومنذ غزو العراق ، وأشارت المنظمة في أوت 2008 إلى وجود 2.7 مليون نازح عراقي يفرضون ضغوطا هائلة على البنية التحتية العراقية المتداعية، فيما يوجد 2.4 مليون لاجئ غالبيتهم في سوريا والأردن يعيشون في ظل أوضاع متدهورة، وعن المتحدثة باسم المنظمة "جيمي بانديا" فإن أوضاع اللاجئين والنازحين تسوء بشكل مستمر وأن الأمل ضئيل للغاية في حل أزمة العراق الإنسانية، وطبقا للمنظمة يعجز أكثر من 75 % من اللاجئين عن الحصول على المقررات الغذائية الحكومية، ويفتقر أكثر من 20 % منهم لمياه الشرب النظيفة، ولا يستطيع نحو 33% الحصول على الأدوية التي يحتاجونها، بينما حصل 20 % فقط منهم على مساعدة وكالات الإغاثة الإنسانية، و أشارت المنظمة إلى أن اللاجئين والنازحين العراقيين العائدين إلى العراق أو مناطقهم عاجزين عن العودة إلى بيوتهم إما لأسباب طائفية أو لأنها دمرت.³

وغير بعيد عن القتل والتهجير يعاني الشعب العراقي موجة من الإعتقال تستهدف كل فئاته، فحسب التقرير الفصلي لبعثة الأمم المتحدة لدى العراق حول حقوق الإنسان فإن أكثر من 37600 شخص موجودون في المعتقلات الأمريكية والعراقية خلال عام 2007، كما أشار التقرير إلى وجود أقل من 18 ألف شخصا في المعتقلات الخاضعة لإشراف قوات الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة، وأن نحو 10 آلاف

¹ - سهيل حسين الفتلاوي، " تصرفات الجنود الأمريكيين في العراق انعكاس للشخصية الأمريكية"، نقلا عن :

<http://www.allask.net/maqalat-mukhtara/arabic1664/ftloui-2706ou.htm>

² - محمد بوبوش، " الموقف الأمريكي من القانون الدولي"، مرجع سابق.

³ - عمر نجيب، " نهاية الإمبراطورية على أسوار بغداد"، مرجع سابق.

معتقل موجودون في السجون الخاضعة لسلطة وزارة العدل بينما يوجد لدى وزارة الداخلية 5573 معتقل و 1525 لدى وزارة الدفاع و 500 لدى وزارة الشؤون الاجتماعية.¹

في حين تؤكد وزيرة حقوق الإنسان في الحكومة العراقية الحالية الوضع المزري الذي يعيشه المعتقلون خاصة في سجن "بوكا" الذي تديره القوات الأمريكية بمدينة البصرة جنوب البلاد، حيث كشفت في تقرير لها تفاقم خطير للأوضاع الإنسانية للمعتقلين المحتجزين فيه،² مما يؤكد حجم الكارثة الإنسانية التي يتعرض لها المعتقلون العراقيون من اغتصاب وانتهاك لحقوق الإنسان.

بالرغم من أن النساء والأطفال هم جزء من المجتمع العراقي وجزء من الإحصائيات السالفة الذكر، إلا أن المكانة الخاصة التي كفلتهما لهما شرائع السماء والأرض كونهما الطرف الأضعف دائماً، يدفعنا لتسليط الضوء على حقيقة هذه الشريحة الإنسانية من الوضع الحالي في العراق.

لقد أعاد الغزو الأمريكي للعراق المرأة العراقية إلى عهود خلت، فقد أصبحت تنجب في البيت بدون أي عناية صحية مما يعرض حياتها والطفل إلى الخطر، حيث بلغ معدل وفيات الأمهات العراقيات 370 وفاة من 1000 ولادة حية بحسب صندوق الأمم المتحدة لرعاية السكان.³

كما يؤكد أحدث تقرير لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، عن وجود 8 ملايين أرملة عراقية - حسب السجلات الرئيسية- وتشكل نسبة الأرمال هذه نحو 65 % من عدد نساء العراق، ونحو 80 % من النساء المتزوجات بين سني العشرين والأربعين أي سن الخصوبة والإنجاب، وقد كشف مسح جديد لعام 2007 أجراه برنامج الغذاء العالمي أن 11 % من الأسر العراقية تعيلها النساء،⁴ أما فيما يخص الأطفال فقد أكد تقرير لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) أن خلال عام 2007 قتل أو أصيب مئات الأطفال بسبب العنف، كما أن المعيل الرئيسي لأسر العديد منهم تعرض للخطف أو القتل، الأمر الذي أكدته إحصائيات منظمة الصحة العالمية الصادرة في أبريل 2007م وقالت أن عدد الأطفال الأيتام في العراق يقدر بنحو 4-5 ملايين منهم 900 ألف طفل معوق.⁵

كما يؤكد مدير منظمة (أصوات الطفولة العراقية) "عماد هادي" أن غياب الجهات الحكومية المعنية بشؤون الطفل، وفقر عمر المنظمات الإنسانية والعالمية ومنظمات الأمم المتحدة فاقمت أزمة الطفل العراقي، حيث يجري السكوت اليوم -حسب عماد هادي- على مئات الانتهاكات ضد الطفل العراقي، فهناك 11 ألف طفل مدمن على المخدرات في بغداد، ناهيك عن عمليات الإغتصاب لأطفال العراق من

¹ مقال بدون مؤلف، "العراق سنة 2007- الأوضاع السياسية والأمنية والإقتصادية والاجتماعية"، مرجع سابق.

² أحمد عز العرب، مرجع سابق.

³ أحمد عطا، المرجع السابق.

⁴ مقال بدون مؤلف، "الوضع في العراق من أخطر الأوضاع في العالم"، نقلا عن

<http://www.j-aliraq.net/akbaar%20wa%20hkaek00048.htm> /9/9/2008

⁵ مقال بدون مؤلف، "الغزو الأمريكي أعدم العراق قبل أن يعدم صدام"، نقلا عن :

<http://www.Ahewar.org/debar/show.art.asp?aid=84786-11/9/2008>

الجنسين، والتحرش الجنسي بفتيات العراق اللواتي لا يتجاوز أعمارهن 12 سنة، أضاف إلى هذا الأمراض والتسرب المدرسي.¹

إذا كان الغزو الأمريكي قد استهدف الفرد العراقي وإفراغ العراق من مستقبلها وذلك بقتل وتضييع وتشريد الطفل العراقي، وأيضا بمحاولة خفض معدلات الإنجاب والمواليد العراقيين، وذلك بتدني ضروريات العلاج للمرأة الحامل، فإنه من ناحية أخرى قد استهدف الجانب العلمي والتكنولوجي العراقي أي العمل على إفراغ العراق من حضارته العريقة.

فقد أكدت الإحصائيات العراقية والدولية أن 80% من عمليات الاغتيال استهدفت العاملين في الجامعات، ويحمل أكثر من نصف القتلى لقب أستاذ وأستاذ مساعد وأكثر من نصف الاغتيالات وقعت في جامعة بغداد تلتها البصرة ثم الموصل والجامعة المستنصرية، و 20 % من العلماء المغتالين يحملون شهادات دكتوراه وتلثمهم مختص بالعلوم والطب.²

لذلك يذهب العالم العراقي "د.نور الدين الربيعي" الأمين العام لاتحاد المجالس النوعية للأبحاث العلمية رئيس أكاديمية البحث وأحد أبرز العلماء العراقيين في مجال التكنولوجيا النووية، أن التقدم التقني للعراق كان من أهم أسباب الغزو الأمريكي للعراق. وأضاف حينما جاءت أمريكا وبريطانيا كان أول ما شرعوا به هو ضرب المؤسسات العلمية والبحثية، والمدارس و الجامعات، وإحراق المكتبات والتراث العراقي الذي أصابه النهب والسلب، وأكد "الربيعي" أن الأمريكيين أعادوا العراق إلى عصور ما قبل الوسطى عبر تدميره ونشر الفوضى فيه، كما فعل **هولاكو** عندما مزج جيشه مياه دجلة بألوان الورق والدم والرماد.³

وتقول إحصائية لوزارة التخطيط الحالية الصادرة في ماي 2007 أن هناك 9 ملايين عراقي يعيشون تحت خط الفقر، وأن نسبة البطالة في العراق بلغت 60% من مجموع اليد العاملة العراقية، كما جاء في تقرير دولي أعادته منظمة **ميداكس Medact** أن نحو 75 % من الأطباء و الصيادلة والعاملين بالتمريض العراقيين تركوا وظائفهم منذ الغزو الأمريكي وهاجر أكثر من نصفهم، وأضاف التقرير أن القطاع الصحي في حالة فوضى ليس فقط بسبب الوضع الأمني السائد ولكن أيضا بسبب الافتقار لإطار عمل مؤسسين ونقص كبير في العاملين وانقطاع الكهرباء ونقص إمدادات المياه النقية والانتهاكات المتكررة، وأكد التقرير أن معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة قارب مستواه في جنوب الصحراء في إفريقيا على الرغم من أن العراق دولة غنية نسبيا وتتمتع بموارد ومستوى مرتفع من التعليم، كما أن 8 ملايين عراقي يحتاجون إلى مساعدات طبية عاجلة، أما عن تزايد الوفيات من جراء الأمراض السرطانية

¹ - مقال بدون مؤلف، "العراق سنة 2007"، المرجع السابق.

² - مقال بدون مؤلف، "العراق فقد 5500 عالم منذ الغزو الأمريكي"، نقلا عن :

<http://www.moheet.com/show-news-asp?nid=100818 gp=31/11/9/2008>

³ - مقال بدون مؤلف، "العراق سنة 2007"، المرجع السابق.

فتعزها وزارة التخطيط خاصة سرطان "اللويميا" منها إلى قذائف الإحتلال، ذلك أن هذا النوع من الخلايا السرطانية هو نتيجة حتمية وبديهية لانتشار بقايا القذائف الحربية المشبعة باليورانيوم المنضب.¹ وبهذا يمكن القول أن الشعب العراقي يعيش حالة من الفقر والتشرد وانتهاك الحقوق وتدني مستوى المعيشة والصحة، مما ينجم عنه إباداته بطريقة بطيئة ودائما من أجل إحلال الديمقراطية الأمريكية.

3/2- اقتصاديا :

حال العراق الاقتصادي هو حال كل الدول التي تحت سيطرة دولة أجنبية فالسلب والنهب وعدم الإكتراث هم سمة الدولة المحتلة، فخلال الفترة المنصرمة تحول العراق بلاد ما بين النهرين وأرض السواد إلى بلد يستورد بنسبة تفوق 80 % من حاجاته الغذائية الأساسية (كالأرز، السكر و الزيوت النباتية و المواد البروتينية). وحسب المستشار الاقتصادي الحكومي د.كمال البصري فإن مشكلة الملوحة تشكل التحدي الأكبر، حيث أن ما يقرب من 75 % من الأراضي الزراعية المروية تعاني من الملوحة الناجمة عن سوء إدارة الإرواء، وعليه فإن العراق بحاجة ماسة لمشاريع الري الحديثة، وإلى التوسع باستخدام نوعيات من المحاصيل المقاومة للملوحة، ولغرض النهوض بالزراعة وتحقيق الأهداف المرسومة لها خلال السنوات 2007 – 2010 فإنه يحتاج إلى توفير استثمارات كبيرة قدرت وفق الاحتياجات الأساسية للقطاع بحدود 9300 مليار دولار ، منها 4100 مليار دولار للمشاريع الزراعية و 5200 مليار دولار لمشاريع وزارة الموارد المائية، ويؤكد الدكتور البصري أن ضعف الإقتصاد العراقي يعود إلى الإعتماد والإهتمام الهائل بإنتاج النفط على حساب المجالات الأخرى، حيث تقدر نسبة الإهتمام بالزراعة والصناعة ب 6 % و 2 % على التوالي.²

هذا الإهتمام بالجانب النفطي يعود إلى الإهتمام الأمريكي بهذه المادة وباستفادتها منها، لذلك كان أول عمل قامت به قوات الإحتلال عند الدخول لبغداد هو حماية وزارة النفط وكل الوثائق الخاصة بها من عمليات السلب والنهب التي اجتاحت العاصمة على مرأى من أعينهم وكذلك كان الحال في حرب الخليج الثانية.

كما تسبب الحظر الاقتصادي والحروب الأمريكية على العراق في إغلاق العديد من المصانع والمعامل والورش، التي قدر عددها عام 1990 ب 59413 وحدة صناعية ليصبح العدد الإجمالي 30000 عام 1994 و 17500 سنة 2002، أما بعد الغزو الأمريكي في 2003 فإن نسبة المنشآت الصناعية الموقفة عند العمل بلغت 90 % وهي نسبة مرتفعة جدا بسبب مجموعة من العوائق منها إضافة إلى

¹ - مقال بدون مؤلف، "العراق سنة 2007"، المرجع السابق.

² - عمر نجيب، "دفع الحقائق والإعتماد على المرتقة وسرقة وطن"، نقلا عن :

الخراب والدمار ، الفشل في منافسة أسعار المنتجات المستوردة حيث عرضت غالبيتها في الأسواق بأقل من كلفة مثيلاتها المحلية، وكالعادة فمن العوائق احتلال الصناعة الإستراتيجية، - وهي صناعة استخراج النفط، الغاز، الكبريت، الفوسفات، وغيرها- حصة الأسد في الإنتاج المحلي الإجمالي إذ بلغت 81.7 %¹.

4/2- سياسيا :

تقول "كاثي كايرو" هي عضوة في الحزب الجمهوري عن الوضع في العراق: "أعتقد أن حرباً أهلية تدور هناك وهذا يجعلني حزينة للغاية"²، ولعل ما يمكن التطرق إليه في دراسة تأثير الغزو الأمريكي على العراق من الجانب السياسي هو احتمالية نشوء حرب أهلية في العراق والتي تتنبى مؤشراتنا على :

■ صيغة بول بريمر لمجلس الحكم الإنتقالي التي قسمت المجتمع العراقي إلى طوائف واثنيات وذلك بتحديد 13 مقعد للشيعة، و 5 مقاعد للسنة ، و 5 مقاعد للکرد ومقعد واحد للتركمان، ومقعد واحد للكلود والأشوريين.³

■ صعود الشيعة إلى سدة الحكم بدلا من المسلمين السنة حيث يسيطر الشيعة الآن على جهاز الدولة والجيش والأجهزة الأمنية مما يزيد في إشعال المشاعر الطائفية ، وتلعب الولايات المتحدة دورا هاما في هذه النار حيث أن حركة الصحوة المنتمية إلى القبائل السنية هي من تنظيم، و تسليح، و تمويل الولايات المتحدة أنشأتها لتكون رأس الرمح في القتال ضد تنظيم القاعدة، وقد بلغ عدد المقاتلين المنتمين لشبكة هذه الحركة نحو 100 ألف يتقاضى كل واحد من أفرادها راتبا قدره 300 دولار شهريا من ميزانية الدفاع الأمريكية، الأمر الذي جعل حكومة المالكي التي تغلب عليها الطائفة الشيعية تنظر إليها باعتبارها منافسا خطيرا لقواتها الرسمية مما دفعها لاتخاذ الإجراءات للحد من نفوذها واعتقال المئات من أبرز أعضائها مؤخرا.⁴

■ تداعيات الحرب الأمريكية على المجتمع العراقي من نقص للخدمات وتدني مستوى المعيشة أيضا انتشار الفساد والرشوة وتفشي ظاهرة الإرهاب، مما خلق نوع من الإحتقان في المجتمع العراقي دفع بهم إلى التناحر فيما بينهم.

وعليه يمكن القول أن الإحتلال الأمريكي للعراق قد يزول بالرغم من أن الإدارة الأمريكية تمتنع عن تحديد جدول زمني للانسحاب، إلا أنه ومع تعاقب الحكومات على الولايات المتحدة والانتهاكات التي

¹ - مقال بدون مؤلف، "العراق سنة 2007"، المرجع السابق.

² - باتريك سيل، "حصار الغزو الأمريكي"، نقلا عن: <http://www.gylfinhemedia.com/index.php?/9/8/2008>
³ - عبد الحسين شعبان، "الاحتلال الأمريكي للعراق - الحرب الأهلية هل يصبح الأمر الواقع واقعا"، المستقبل العربي، العدد 336، فيفري 2007، ص 87.

⁴ - باتريك سيل، مرجع سابق.

سببتها الحرب لاقتصادها ومجتمعها سينتهي هذا الاحتلال لتبقى الطائفية بتأثيرها العميق في المجتمع العراقي، مما يجعل عراق المستقبل ممزق ومهدد بالنزاعات التي تقضي على ما تبقى منه.

5/2- ثقافيا :

لقد كانت الغاية المرجوة من الاحتلال الأمريكي للعراق حسب الإدعاءات الأمريكية هي الإصلاح والديمقراطية وإحلالهما في العراق، ولكن أين العراق من هذا ؟

يعاني عراق اليوم من الفوضى والعنف والتهجير وسوء الخدمات والفساد المالي والإداري والأسوأ من كل هذا الفتنة الطائفية والتي من شأنها التأثير على الهوية العربية للعراق، ومحاولات المساس بالهوية الثقافية العربية وتراثها الحضاري للدول العربية الأخرى.

لقد قامت الولايات المتحدة بتفكيك السلطة العراقية بإسقاطها النظام السابق كما قامت بتفكيك الدولة عندما قامت بحل الجيش والقوى الأمنية وتفكيك مؤسساتها الدولية والسماح بنهبها وحرق أبنيتها، ثم قامت بتفكيك الشعب بفرزه إلى أعراف وطوائف وخلال كل هذه المراحل جرت المحاولات لسلخ العراق عن جسده العربي واستبدال هويته العربية ومن الأدلة على هذا :

* لم يتضمن سواء القانون الإداري للمرحلة الانتقالية أو الدستور الدائم أي إشارة إلى أن العراق جزء من الأمة العربية على غرار الدساتير السابقة، وبعد ضغوط كثيرة أشار الدستور الدائم وبخجل إلى أن العراق عضو في جامعة الدول العربية.¹ وهذا العمل لا يلبي طبعاً طموحات عامة العراقيين من شيعة وسنة ولا يعرب عن حقيقة هوية الأغلبية العراقية والذين هم من العرب بالتأكيد. كما أن عبارة أن العراق عضو في جامعة الدول العربية الواردة في الدستور لا قيمة لها عندما تأتي حكومة وتقرر الانسحاب من الجامعة العربية.

* محاولة النخب السياسية إفشال كافة مبادرات الجامعة العربية للمصالحة الوطنية، كذلك أفشلت وثيقة مكة التي جرت بين رجال الدين من شيعة وسنة أيضاً إفشال مهمة السيد **الأخضر الإبراهيمي** العربي الجنسية (جزائري) ذو النزعة القومية في مهمته التوفيقية، ومن جهة أخرى اختطاف وقتل السفير المصري في بغداد **إيهاب الشريف**.² وفي هذه الأمثلة إشارة إلى محاولة إبعاد العمل الرسمي العربي عن العراق وتخويف البعثات العربية الرسمية من الاقتراب من بغداد.

* تغيرات أحدثتها وزارة التربية على المناهج الاجتماعية التعليمية في العراق.³

وتعد محاولات نزع الهوية العربية عن العراق ماهي إلا رد فعل على مواقفه القومية على مدى التاريخ، فالعراق على مختلف أنظمته السياسية كان يصارع ويكافح من أجل المشاريع الوحدوية العربية، وإن

¹ - منار محمد الرشواني وآخرون، "احتلال العراق-الأهداف - النتائج - المستقبل"، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 56-85.

² - حميد شهاب أحمد، "أثر الاحتلال الأمريكي على هوية العراق العربية"، نقلاً عن: <http://M//topics.developmentgateway.org/>

³ - نفس المرجع.

اختلفت صورتها من نظام إلى آخر، فهناك عراقيين قاتلو إلى جانب الشريف حسين في الحرب العالمية الأولى للتخلص من الهيئة العثمانية ثم بايع العراقيون ابنه فيصل الأول وهو من الحجاز ملكا على العراق، والعراق مؤسس في جامعة الدول العربية، والنظام الملكي العراقي بزعامة نور السعيد حاول توحيد عدد من الدول العربية تحت ما يسمى بالاتحاد الهاشمي، كما كان العراق ملاذا آمنا للمناضلين والمفكرين العرب أمثال ساطع الحصري وآخرون، إضافة إلى المواقف الشرفية للنظام السابق في إطار القومية العربية - رغم المآخذ على ذلك النظام - فالعراق يمثل عمقا استراتيجيا لدول المشرق العربي كما يمثل البوابة الشرقية للوطن العربي ونزع هويته العربية عنه يمثل سقوطا لهذه البوابة.

وغير بعيد عن النتائج السلبية التي تهدد الهوية العربية العراقية جراء الغزو الأمريكي وأيضا على العقيدة الإسلامية التي تعد الحرب على الإرهاب بشكلها العام حربا على الإسلام في إطار صدام الحضارات، نجد أيضا خطر الإصلاحات التي تفرضها الولايات المتحدة على الدول العربية بشكل عام ودول الشرق الأوسط في إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي تعمل على خلقه الولايات المتحدة. والعراق كحالة تهدده هذه الإصلاحات الداخلية ما دامت لا تتبع من مجتمعه وذاته، فحتى وإن كان العراق يحتاج إلى عملية إعادة الهيكلة لكل موازينه فوجود إصلاحات دخيلة يذهب جوهر العراق الحقيقي ويخلق عراق بمفهوم أمريكي لا عراق عربي مسلم.

و للإشارة فقد تفتت الأعمال الإرهابية في العراق بشكل كبير و التي استهدفت جنود أمريكيين ومدنيين عراقيين على حد سواء. فقد أعلنت مصادر طبية في 2004/09/26 بأن ثلاثة أشخاص قتلوا وأصيب خمسة آخرون في انفجار سيارة مفخخة في حي النبي يونس بمدينة الموصل، موضحة أن القتلى هم ثلاثة أفراد من الحرس الوطني العراقي فيما كان الجرحى ثلاثة من الحرس الوطني ومدنيين أحدهما امرأة.¹

كما أعلن مصدر في الشرطة العراقية أن سائقين أحدهما عراقي والآخر سائق شاحنة سوري جرحا في انفجار عبوة ناسفة في الموصل الواقعة شمال العراق، مشيرا إلى أن الانفجار كان موجه لدورية أمريكية تمر من المنطقة ولكنه أخطأ الهدف.² وعن مصدر آخر فقد أكد أن سيارة ملغومة قد انفجرت بالقرب من مركز تجنيد تابع للجيش في وسط بغداد مما أسفر عن مقتل 36 شخصا جميعهم من العراقيين، ويأتي هذا الانفجار بعد أقل من 24 ساعة من انفجار إنتحاري آخر في مركز لتجنيد

¹ - مقال بدون مؤلف، " استمرار التدهور الأمني في العراق - مصرع جنديين أمريكيين - "، جريدة الشروق اليومي، العدد 1191، الثلاثاء 2004/09/26، ص 09.

² - مقال بدون مؤلف، " إشتباكات عنيفة في النجف وإسقاط مروحية الإحتلال "، جريدة الأحرار، العدد 1885، السبت 2004/05/15، ص 09.

الشرطة العراقية جنوب بغداد، مما أسفر عن مقتل 50 شخصا على الأقل وذلك يوم 13 فيفري 2004.¹

كما أكد متحدث باسم الجمعية الوطنية العراقية الأحد 2005/09/18 أن مسلحين قتلوا فارس حسين، عضو الجمعية الوطنية عن قائمة التحالف الكردستاني، وأوضح المتحدث أن فارس حسين قد قتل مع ثلاثة من حراسه الشخصيين. فيما أصيب عضو البرلمان قاسم حيدر بجروح خطيرة إثر فتح مسلحون النار على موكب العضوين في منطقة الوشاس شمال غرب بغداد.² في حين أفاد بيان عسكري للإحتلال الأحد 2005/09/18 أن جنديا أمريكيا قتل مساء السبت في إنفجار عبوة ناسفة أثناء مروره بدورية بالقرب من منطقة الأسد بالعراق. وقد لقي الجندي حتفه على إثر نقله لإحدى مستشفيات قوات الائتلاف.³

و غير بعيد عن هذا صرح عبد اللطيف ريان المستشار الإعلامي لجيش الإحتلال أن مقر الجيش في منطقة الكاظمية شمال بغداد قد تعرض الأربعاء 2008/08/13 إلى قصف.⁴ في حين اندلعت اشتباكات عنيفة بين عناصر جيش المهدي الموالي للزعيم الشيعي مقتدى الصدر وقوات الإحتلال الأمريكي في مدينة النجف وسط العراق، كما أعلن جيش المهدي التابع للزعيم الشيعي العراقي مقتدى الصدر أن عناصره تمكنت من قتل خمسة جنود أمريكيين فيما لقي ثلاثة عناصر من الجيش مصرعهم في مواجهات مع القوات الأمريكية في مدينة كربلاء جنوب العاصمة العراقية بغداد.⁵

هذه عينة من تصاعد موجات العنف في العراق كنتيجة للغزو الأمريكي له والذي أكدّه الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك في محادثات له مع توني بلير، موضحاً أنه يشك في أن العالم أصبح أكثر أماناً بعد الإطاحة بالرئيس العراقي السابق صدام حسين وعبر عن الوضع الحالي في العراق على أنه عامل لتغذية الإرهاب وزيادته لا القضاء عليه.⁶

¹ - مقال بدون مؤلف، "الهجمات التفجيرية في العراق" نقلا عن:

<http://news.bbc.co.uk/1/ni/arabic/talking-point/newsid/10/09/2008>

² - عبد الله العربي، "اغتيال برلماني عراقي وإصابة آخر"، جريدة الخبر، العدد 4504، الإثنين 2005/09/19، ص 11.

³ - نفس المرجع.

⁴ - مقال بدون مؤلف، "قصف مقر الإحتلال بالكاظمية"، نقلا عن :

<http://www.moheet.com/show-news.aspx?nid=1552248fpg=2/4/9/2008>

⁵ - مقال بدون مؤلف، "اشتباكات عنيفة في النجف وإسقاط مروحيات الإحتلال"، مرجع سابق، ص 09.

⁶ - مقال بدون مؤلف، "شيراك للقاء بلير- الخلافات حول العراق لن تعرق التفاهم"، جريدة الجمهورية، العدد 8989، السبت 2004/11/19، (القاهرة : دار التحرير للطبع والنشر)، ص 05.

الخلاصة

تعد العراق كحالة من حرب مطولة أعلنتها الولايات المتحدة ضد الإرهاب عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 التجسيد الفعلي للإستراتيجية الاستباقية التي أعلنتها الإدارة الأمريكية، والقول بالأسباب والحجج سواء التي ابتدعتها الولايات المتحدة أو التي أخفتها ماهي إلا دليل على أن العراق البداية ولكنه ليس النهاية في الحرب التي تدعى الولايات المتحدة عدالتها. و التي يتضح من خلال أهدافها الخفية أنها انعكاس فعلي لمبدأ التدخل الهجومي الذي تهدف من خلاله الولايات المتحدة إلى تحقيق أكبر قدر من مصالحها الخاصة فبعد فشل تدخلها باستعمال الأساليب الإقتصادية و الضغوطات الدبلوماسية في فترة ما بين نهاية حرب الخليج الثانية و ما قبل أحداث 11 سبتمبر 2001، لجأت للقوة العسكرية في تدخلها لتصبح الحرب بمعناها العام التعبير الأكثر تجسيدا لمبدأ التدخل.

الفصل الرابع الفصل الرئيسي

الحرب الأمريكية على العراق

الحرب الأمريكية على العراق
- دراسة حالة -

قررت الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 2001 إدخال العالم في حرب مطولة غير محدودة وبلا نهاية واضحة، مستغلة فرصة تربعها على عرش العالم بعد زوال المد الشيوعي وفرصة دخول العديد من المؤثرات على النظام الدولي الجديد أهمها فكرة العولمة وصعود الأصوليات وصدام الحضارات، ومن أجل بسط هيمنتها على عالمها الجديد و لبناء أطروحة تتناسب من منظورها الإرهاب العابر للقارات والقائم على أسلحة الدمار الشامل سعت الدوائر الفكرية و السياسية الأمريكية لبعث مبدأ الحرب العادلة من سجله اللاهوتي الوسيط.

تم طرحه في البحث يمكننا استخلاص بعض النتائج و التأكيد على عدد من الحقائق المتعلقة بمفهوم الحرب العادلة في السياسة الخارجية الأمريكية و ذلك كما يلي:

• من منطلق الفكر الأمريكي المبني على أن الولايات المتحدة أمة ذات رسالة و بأن كل حروبها تها هي حروب عادلة تعكس رسالة هذه الأمة، جاءت الحرب الأمريكية على العراق هذا الإطار و بالنظر لتحليل تداعيات هذه الحرب يتضح عدم توافقها مع أي من شروط الحرب العادلة وذلك بناء على ما يلي :

1- السلطة الشرعية : تقتقر الإدارة الأمريكية للسلطة الشرعية التي تخولها شن هذه الحرب، فالسلطة الشرعية هنا هي الأمم المتحدة التي لم تفوض الولايات المتحدة بهذا الفعل ولم توافق عليه له من دول ومنظم ية ومن الرأي الع مي بما فيه الأمريكي - و باستثناء بريطانيا - رافضة لهذه الحرب، و بالتالي فالولايات المتحدة أمام هذا الرفض

2- قضية عادلة : تدعي الولايات المتحدة أن حربها عادلة بحكم عدالة قضيتها والتي هي الخوف من للأحداث فما يحيط بها من شكوك تدور حول تورط الإدارة الأمريكية في هذه الأحداث وفقا لنظرية المؤامرة يسقط عدالة هذه القضية، ثم هل من العدل أن يكون ثمن تجنيب أمريكا قتل 3000 أمريكي و انهيار بنايتين قتل الآلاف من الأبرياء و تدمير شعوب .

3- الحرب هي الملاذ الأخير : بمعنى إستنفاد كل الوسائل السلمية لحل الأزمة و في الحالة الأمريكية مع العراق فإذا افترضنا جدلا بوجود أزمة من الجانب العراقي، فالولايات المتحدة لم تلجأ للأدوات السلمية لحلها فحتى مع وجود حل سلمي و هو القرار الأممي 1441

المتحدة المذكور وسمحت للمفتشين الدوليين بالتفتيش في أراضيها على أسلحة الدمار الشامل الولايات المتحدة غضت البصر عن كل القوانين و عن احتمال صدور أي قرار يوافق أطماعها و شنت

4- النوايا الأخلاقية : أي أن تكون الحرب بنية القضاء على شر ما أو تحرير دولة ما أو إعلاء الخير العام و العدالة و بالإفتراض أن الشر هو امتلاك أسلحة الدمار الشامل، فكيف لدولة تملك الشر و تصنعه أن تقضي عليه في دولة أخرى؟ ثم لقد ثبت بالتقارير المتخصصة خلو العراق من هذه الأسلحة فما الداعي استمرار فيه، و إن كانت النية الأمريكية هي تخليص الشعب العراقي من دكتاتورية صدام و إحلال الديمقراطية في بلده، فمنذ متى كان القتل و السلب و النهب و التجويع هو الديمقراطية، لذلك فالحرب الأمريكية على العراق تفتقر للنوايا الأخلاقية فهي مبنية على العدوان مع و تحقيق المصالح و ذلك من خلال إمتلاك أبار النفط و تثبيت الموقع الإسرائيلي في المنطقة و التوسع في الشرق الأوسط من خلال الموقع الإستراتيجي الهام للعراق في المنطقة، و أيضا بنية تحقيق الخلفية الدينية أن العراق مكان هام لعودة المسيح الثانية .

5- تحقيق أكبر قدر من الخير : أي إذا كان الهدف من شن الحرب على العراق هو تحرير الشعب العراقي صدام حسين فهذا لا يعني إبادة و هو ما يحدث في العراق، فبالإحصائيات الرسمية عن عدد القتلى العراقيين و النازحين و المعتقلين و المرضى ناهيك عن انهيار الإقتصاد و قطاع الخدمات التي هي نتاج هذا الغزو فإن أمريكا .

6- تجنب الأبرياء ويلات الحرب : و هذا الشرط مرتبط بتوافر الشروط السابقة فهو مرتبط بأحداث الحرب و ليس شرعية وقوعها أو لا، و الذي يعني تجنب المدنيين و الأطفال و النساء بشكل خاص ويلات و بالرجوع إلى الإحصائيات المأخوذة عن نتائج الحرب الأمريكية على الطرف العراقي نجد أن هذه الحرب و كأنها شنت خصيصا لإبادة هذه الشريحة الإنسانية .

7- _____ : أي أن المصالح و الأهداف التي تحققها الولايات المتحدة من حربها اق أكبر من خسارتها، بمعنى تكون تكلفة الحرب أقل بكثير مما ستجنيه من آبار النفط وهو عكس الواقع الأمريكي حيث أدت هذه الحرب إلى إضعاف إقتصاد ناهيك عن العداء الدولي له . و عليه و بناءا على هذه الشروط يصبح الإستناد الأمريكي لمرجعية الحرب العادلة باطل في بحكم عدوانية الحرب الأمريكية على العراق المتنافية مع كل القواعد الأخلاقية التي يبنني عليها مبدأ .

- تدعي الولايات المتحدة ا مريكية في سياق بحثها عن غطاء شرعي لحربها ضد العراق ب الدافع وراء خوض هذه الحرب هو ضعف منظمة الأ تقصيرها في تحمل مسؤوليتها من الدوليين و بناءا عليه ت ت فكرة تشريع الحرب بقرار من ممية و تبنت فكرة تشريع الحرب الذاتية استنادا لمبد الشرعية من النتائجيجابية للحرب و عليه فالمنظور الأخلاقي للحرب العادلة لا يوفر ب

حوال الشرعية للحروب الإستباقية الأمريكية،فا مريكية الحالية بهذا المنطق تعيد
العالم الى الحروب الدينية الوسيطة التي انبنت على نفس الفكر الإستراتيجي ا مريكي لم
11 2001 ثنائية علاء الخيد خلاق تستمد طابعها

لزامي من معيار الحقيقة ذاته الذي يظل بعد قيمي يختلف من ذات
خلاقية أن تؤدي للخط كونها تستجيب لتصورات خاصة لا يمكن تعميمها
لا يمكن إعتبارها بديل للشرعية الدولية فكيف إذا ا تبدل شرعية مبنية على الق
عراف الدولية بشرعية مستمدة من ذات دولة تعدد في قيمها نها ذات صلاحية كونية شاملة
هذا من جهة و من جهة ذا كانت الولايات المتحدة تعيب على الأمم المتحدة قلة فاعليتها
في القضايا الدولية الشرعية البديلة التي تحاول فرضها ستكون عواقبها
المجتمع الدولي مزيج من ديانات مختلفة و قيم متعددة و أهداف متباينة كان من المستحيل تجميع
مجتمع بهذا التعقيد حول قيم واحدة وبالتالي فاستعمال القوة و الإكراه بغرض فرض قيم عالمية
نه خلق ردود فعل عنيفة على الممارسة الأمريكية في العالم تسميها الإ
مريكية با رهاب الذي تدعي محاربته .

• ستباقية فإن الولايات المتحدة تقوم بتوجيه ضربات مسبقة ضد تهديدات
محتملة أو وشيكة من جماعات إرهابية أو دول تحصل على أسلحة كيميائية أو بيولوجية أو
نووية ومعنى ذلك أن هذا الهجوم لا يقوم على دليل مؤكد وليس ردا على هجوم فعلي فهو في
الأساس سلوك هجومي لذلك يمكن القول أن الإرهاب و الحروب ا اقية يشتركان في خاصية
العنف الموجه ضد المدنيين و الأفراد و أيضا في عنصري التخويف و الرعب
الإدارة الأمريكية الحالية الجمل " من ليس معنا فهو ضدنا " في الكثير من اللقاءات الرسمية
و الإعلامية فهي تثير بذلك الرعب و التهديد لدول العالم كما يفعل الإرهابيون تماما أيضا
إشتراك هذه الحروب مع الإرهاب في العنصر المادي كخاصية للفعل الإرهابي و هو إ
و التفجيرات و أعمال التخريب

خاصة أن هذه الحروب غالبا ما تشن من طرف واحد وبالتالي حسب القانون الدولي تدخل هذه
الحروب الإستباقية ضمن طائفة العدوان و ليس الحرب العادلة
الإستباقية تقتسم مع ا الإرهابية توفر العنصر المعنوي المتمثل في الأثر النفسي الذي تحدثه
الحروب الإستباقية في نفوس عامة الناس من رعايا الدول التي تتلقى القنابل أو الوعيد.

كلاوزوفيتش الذي يعتبر الحرب امتدادا للسياسة بوسائل أخرى يم
قتصادي المصاحب للحروب الإستباقية من خلال إقدام الإدارة الأمريكية على العديد من عمليات

اقتصادية من قبيل وقف التبادل التجاري و تجميد الأصول المالية أو الحد من المشاريع الاستثمارية كنوع من العقاب الفريد لمجموع الدول الراضة للا إستباقية و ما تصبو إليه الإدارة الأمريكية سياسيا و أمنيا و اقتصاديا.

استباقية أكثر تدميرا من مجموع العمليات رهابية المحدودة إذ لا تتجاوز هذه الأخيرة العنف الفردي إلا فعلى سبيل المثال لن تقارب الجرائم الإرهابية بأي حال من الأحوال الأرقام والإحصائيات التي خلفها احتلال العراق لحد

وعليه هناك علاقة جدلية بين الفاعل الإرهابي و الحروب اية فالإرهاب يمنح الحروب الاستباقية المزيد من المبررات و الحروب ا تباقية رهاب المزيد من المبررات فكيف ب رهاب أن يقضي إرهاب؟.

لزم من قد وصف المجتمع السياسي بـ أنه انت القبيلة ثم ى المدينة في خاتمة التطور على نها الشكل السياسي الكامل و النهائي للتطور ميكافيلي سس لمفهوم الدولة ا اس هو من الفردي عن طريق العقد الإ سس لمفهوم الجماعة السياسية العالمية أو المجتمع الدولي عن طريق تجاوز فشل عصبة ا سس منظمة الأ المتحدة و صياغة الميثاق الأممي بهدف كفالة من التعاون الدولي يضمن سلاما عالميا مريكية الإستباقية تقوض مفهوم النظام و تهدم أي نوع من العلا فيه بك بين عناصره و تنسف احتمالات ن يستند هذا النظام إلى دعائم قانونية و عليه يكية على الإرهاب بنموذجها العراقي اسقطت كافة قواعد العلاقات الدولية المتعارف عليها منذ عام 1945 ينذر ب ات الدولية.

إذا كان أهم مقوم من المقومات السياسية التي يبنى عليها الفكر الإمبراطوري هو الميل المتواصل نحو توحيد العالم تجسيد لكونية الروح مبرطورية الأمريكية تفتقد الى العمومية أي القدرة على التعامل بالمساواة مع ا

مبراطورية الأمريكية في طورها الراهن لم يدركوا أشكال توحيد العالم ما تحقق منها ف مبراطوريات السابقة كا مبراطورية العربية ا سلامية و ا مبراطوري الرومانية و ا مبراطوري فييتية كانت دائما شكالا تناقضية ينبع تناقضها من واقع التعدد و اختلاف السائد على الصعيد العالمي لذلك عملت ا مبراطوريات السابقة على توحيد العالم بتب المغالاة في المساواة و الذي يظهر بشكل واضح في عهد الإمبراطورية العربية الاسلامية

فقد عمل المسلمون في فتوحاتهم

ومهما كانت تحفظاتنا على الإمبراطورية السوفييتية و على ما كان في الإيديولوجية الشيوعية من عيوب و نقائص نه لا يمكن نها عاملت جميع الشعوب الضعيفة و كانت مصدر إغراء شديد للعديد من الثورات الوطنية في البلدان المستعمرة و شبه . أما الإمبراطورية الأمريكية فهي حديثة التشكل في الأصل كانت ملاذ للمهاجرين وريتاريين فقد قامت بالأساس على ا ستعباد و العنصرية و هو ما تجلى في إبادة الهنود الحمر و هم السكان الأصليين، ولما كان البروتستانت الأنجلوسكسون البيض هم اللبنة الأولى في بناء هذه الإمبراطورية و الذين يعتبرون أنفسهم عرقا خاصا ينبغي ا نصهار في بوتقه ليه كانت أي دعوة أمريكية للحرية و الديمقراطية و المساواة ضربا من السخرية فكيف لدولة انبنت على التمييز و ا ستعباد أن تصدر قيم الحرية و الديمقراطية لشعوب أخرى .

إن القول بأن من أسباب الحرب الأمريكية على الإرهاب هو إحداث إصلاحات جذرية تنبني على الفكر لديمقراطي في الدول المغيب عنها والتي بالأساس تولد ظاهرة الإرهاب على اعتبار أن الفقر و الأنظمة سببا كافيا لخلق التطرف و الإرهاب

أن ما تذهب إليه الإدارة الأمريكية من أسباب التطرف صحيحة فهل قتل الأبرياء و رمي القنابل و مقايضة الأنظمة إما تغيير المناهج التعليمية و الأنظمة السياسية أو استغلال صندوق النقد الدولي و البنك الدولي ضدهما يمكن أن يحقق ديمقراطية .

إذا كانت الولايات المتحدة بموجب ديناميكية سياستها الخارجية و قدرتها على تغيير مقوماتها الإستراتيجية قد استطاعت بعد أحداث 11 2001 أن تنقلب بحدة متناهية من دعم وتقوية الأنظمة العربية على حساب القيم الديمقراطية كما كان الحال في مساندة صدام حسين من أجل ضرب الثورة الإسلامية بإيران إلى مهاجمة هذه الأنظمة واتهامها بإنتاج العقل الإرهابي. فالأنظمة العربية لها خصوصياتها

ننتقل من النقيض إلى النقيض أمر صعب ولا يتم بين عشية وضحاها كما أن التغيير حتى ينجح لا بد أن يكون من الداخل وليس مفروض من الخ فالتجربة وليدة بينتها إن كان تغيير الأنظمة العربية يمكن أن يحدث من الخارج و بسهولة فهل يمكن أن تفرض الديمقراطية !

إن الولايات المتحدة الأمريكية تزواج بين ثنائيتين متناقضتين فالحرية التزام و ليس إلزام و الديمقراطية حق الشد ب في التعبير عن ذاته بحرية و ليس بحد السيف و عليه فالولايات المتحدة بفرضها م الديمقراطي بالقوة خلقت فوضى في الدول العربية و بالتالي خلقت تطرف يستلزم إرهاب و عليه فتغيير الأنظمة في الدول خاصة العربية لم يقلل هابية بل احتواها .

● 11 سبتمبر لحظة فارقة في تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية يعطي انطب
بأن أي ميل لاستعمال القوة أو التفكير في تحقيق المصلحة العليا الأمريكية على حساب القواعد
القانونية مبرر بتأثير هذه الضربة على الدوائر الفكرية و السياسية الأمريكية .
و الظاهر أن السياسة الأمريكية حتى قبل خروجها من عزلتها بضربة "بيرل هاربر" اليابانية ف
الحرب العالمية الثانية كانت مبنية على تحقيق المصالح الأمريكية و التي ظلت الهدف الأسمى لها غير
أنه يمكن القول أن بين الجدد في عهد قد كانت أكثر ميلا للانفراد بتقرير مصائر
القضايا العالمية وهذا لا يبي أن هذه السياسة وليدة أحداث 11 2001 فمنذ بداية هذه الإدارة و
هي تنتهج هذا السلوك و حتى قبل إدارة كانت هناك قرارات تتم عن التوجه الانفرادي
الأمريكي. و عليه فأحداث 11 2001 كانت لحظة كاشفة لحقيقة السياسة الخارجية الأمريكية و
ليست فارقة في تاريخها ذلك أنها غيرت في الأداة و ليس الهدف فتعاقب الحكام على الولايات المتحدة
الأمريكية و تأهم بين ديمقراطي و جمهوري جعل من السياسة الأمريكية تتأرجح بين أولوية السياسة
الداخلية على الخارجية و العكس. و أيضا بين أولوية مبادئ الفكر الواقعي على الليبرالي و العكس أي أن
أدوات التحليل هي التي تتغير بفعل طبيعة الإدارة و طبيعة الفترة الية أما الهدف من التحليل فهو دائما
قيق المصلحة العليا الأمريكية المبنية على ثلاثية الثروة ، الدين/القيم ، القوة ، أيهما أولى من الآخر هذا
الذي يتغير.

11 2001 تاريخ السياسة الخارجية الأمريكية فقد عملت
أيضا على إخراجها من سور العزلة الذي ضربته على نفسها فور تولي إدارة
كان نتيجة طبيعي توجه الانفرادي الذي اتضح جليا من خلال تحليلها من العديد
تفاقيات الدولية وأيضا من خلال تخطيطها غير أن الحرب الأمريكية على
العراق وضرب أمريكا كل القواعد والأعراف الدولية عرض الحائط وعدم ا
كان له أن أعادها إلى عزلتها حتى وإن بدا العكس من خلال اللهجة القوية التي تظهر في
م عن سيطرته على العالم وليس فقط على قيادته.

غير أن الإدارة الأمريكية الحالية لي بكل تركيبته و فاعله و تناقضاته
من الصعب إعادته إلى عصر الإمبراطوريات المسيطرة على العالم لذلك فالفض الشامل تقريبا للحرب
ناهيك عن الخسائر المادية والبشرية التي تتكبدها الولايات المتحدة فيها. يعيد أمريكا إلى
حالتها الأولى من العزلة والتراجع عن الدور القيادي كما يسمح بتغيير في موازين القوى ليتحول النظام
الدولي من جديد إلى نظام متعدد الأقطاب خاصة مع بروز العديد من التكتلات أبرزها الاتحاد الأوروبي
وبروز العديد من الدول أهمها الصين.

وعليه يمكن القول أن الـ الأمريكي في شكله العام استندت فيه

الولايات المتحدة لمبدأ الحرب العادلة كبديل للشرعية الدولية بغية القضاء على بؤر الإرهاب في العالم أدها لتورط عسكري غابت فيه الخطوط الفاصلة بين ما هو شأن داخلي ينبغي ألا يتدخل فيه أحد و بين ما هو شأن دولي يمكن البحث عن شرعية قانونية للتدخل فيه من خلال المنظمات الدولية أو باستخدامها كواجهة شكلية حتى وإن سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إضفاء طابع الإنانية على تدخلها هذا وذلك باللجوء لمبدأ الحرب العادلة، فالنتيجة واحدة وهي أنها قد ساعدت على تغذية الأنظمة الإرهابية ومساعدتها من خلال خلق الأسباب أهمها القتل والتدمير والتي تتضح من خلال الأعمال التفجيرية اليومية كما أنها غطتها فقد اختلط الأمر بين مدافع عن نفسه في إطار شرعي وإرهابي معتدي جانب آخر سمحت المجال لتخطي الشرعية الدولية المتجسدة في الأمم المتحدة فهذه السابقة في العلاقات الدولية الحديثة ستجعل من قرار شن حرب من أي جهة على جهة بدعوى أنها شرعية و عادلة لتحقيق مصالحها في أي بقية

و إفشال كل المساعي و المحاولات لإرساء قواعد قانونية من شأنها تحقيق الأمن و السلم الدوليين أيضا الولايات المتحدة تعمل بحربها على الإرهاب على عسكرة العلاقات الدولية و إعادة الفكاحة الدولية لتت حول من جديد الدول ككريات البلياردو و تتحول الدولة الأمة هي الفاعل الوحيد و الأساسي في العلاقات الدولية كما أنها بإبراز عامل الدين كفاعل مهم في سياستها الخارجية و في حربها أيضا تغذي فكرة صدام الحضارات التي يعد الإسلام طرف أساسي فيها لتحول حروب القرن الواحد و العشرين من المعلوماتية و التكنولوجية إلى حروب دينية شبيهة بحروب القرون الوسطى . إذن فالسياسة الأمريكية في الإدارة الحالية بكل ما فيها من إنفرادية و بكل ما فيها من تغذية للشعور المعادي لأمريكا سواء من أعدائها التقليديين (الشعوب المنهكة في أمريكا اللاتينية و في الشرق الأوسط و قوى اليسار ...) أو حتى من حلفاءها السابقين (تعجل بتراجع مكانتها في التراتبية العالمية

قائمة المراجع

خاتمة المرحلي

باللغة العربية

:

1- القرآن الكريم.

:

/1/ :

- 1- إبراهيم " - خريطة أزمة.. - " القاهرة، دار الطيف للمطبوعات، 2003.
- 2- إبراهيم صلاح الدين، " نحن و أمريكا بين الحضارة و الهيمنة " ، القاهرة، مكتبة الأداب، 2006.
- 3 - ابراهيم محمود أحمد، " - عاد الصراع مع الولايات المتحدة و لجنة اليونيسكوم- " ، القاهرة، مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية، 2004.
- 4- إبراهيم مسالم، "العنف و الإرهاب " ، ليبيا، منشورات المركز العالمي للدراسات و الأبحاث، 2002.
- 5- " سيكولوجيا السياسة العربية - عرب و المستقبلات -"، بيروت النهضة العربية، 1999.
- 6- أحمد هريدي صلاح ، " تاريخ العلاقات الدولية و الحضارة الحديثة " ، الإسكندرية، دار الوفاء، 2003.
- 7- ادريس بوكرا ، " ، الجزائر، المكتبة الوطنية للكتاب، 1990.
- 8- اللاوندي سعيد، "أمريكا في مواجهة العالم - حرب باردة جديدة- " القاهرة، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، 2003.
- 9- الحسن يوسف " البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي- الإسرائيلي"، بيروت، الوحدة العربية، 1997.
- 10- الجهماني يوسف، " " 2002.
- 11- " أسرار و خفايا المقاومة العراقية " 2005.

- | | |
|-----|--|
| 12- | الجوهري حمد الجوهري محمد ، " الديمقراطية الأمريكية و الشرق الأوسط الكبير " ، القاهرة ، دار الأمين، 2005. |
| 13- | هاد، " المحافظون الجدد و المسيحيون الصهيونيون " 2005. |
| 14- | " جتماع الديني- مفاهيمه النظرية و تطبيقاته العملية- " ، مصر، مكتبة القاهرة الحديثة، ط3 1970. |
| 15- | " ، القاهرة، دار 2003. |
| 16- | " 1990. |
| 17- | " ، تونس، المعهد العربي لحقوق الإنسان، 2 1997. |
| 18- | القليني فاطمة ، " القاهرة للنشر و التوزيع، 2001 . |
| 19- | السليمي منصف، " صناعة القرار السياسي الأمريكي " ، باريس، مركز الدراسات العربي 1997 . |
| 20- | السيد حسن عدنان، " نظرية العلاقات الدولية " ، بيروت، دار أمواج للنشر و التوزيع، 2003. |
| 21- | السيد سليم - " تحليل السياسة الخارجية " ، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، 1998. |
| 23- | "الحريات المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحادي عشر من أيلول() " ، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، 2002. |
| 24- | الكيلاني عبد الوهاب، " موسوعة السياسة" ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج3 1993. |
| 25- | اللبويتز لاري ، " نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية " ، ترجمة جابر سعيد عوض، القاهرة، الجمعية المصرية، 1996. |
| 26- | " " زيع و الإعلان، دون سنة طبع. |
| 27- | " ، بيروت، دار القلم، ط4 1981. |
| 28- | أبو بكر سعودي هالة " السياسة الأمريكية اتجاه الصراع الإسرائيلي 1968-1973" ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986. |
| 29- | بنجامين، "امبراطورية الخوف، الحرب والإرهاب والديمقراطية" : |
| | الأيوبي،بيروت، دار الكتاب العربي، 2005. |
| 30- | " المدخل في علم السياسة " ، القاهرة، مكتبة الأنجلومصرية، 1982. |

- 31- " هذه هي الحرب " ، ترجمة مروان القنواطي، بيروت عويدات، 1981.
- 32- بوقارة حسين وآخرون، " الإنعكاسات الدولية والإقليمية لأحداث 11 2001 " باتنيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية والنشر، 2002.
- 33- بيضون أحمد وآخرون، " 11 " ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002.
- 34- يميس، " خيانة بوش - سحق الحرية والعدالة والسلام بحجة تخليص العالم من الإرهاب " ترجمة مركز التعريب والترجمة، بيروت الدار العربية للعلوم، 2006.
- 35- تريب تشارلز، " صفحات من تاريخ العراق " : جابر ادريس، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2006.
- 36- " ماذا يريد العم سام؟ " ، ترجمة عادل المعلم، القاهرة، دار الشروق، 1998 .
- 37- جراي وود ، هوفستدتر ريتشارد ، " موجز التاريخ الأمريكي " ، وكالة الإعلام الأمريكية، بدون .
- 38- " إمبراطورية الفوضى- الجمهوريات في مواجهة الهيمنة الأمريكية ما - " : غازي بروط، بيروت، دار الفارابي، 2005.
- 39- حبيب كاظم، "ساعة الحقيقة-مستقبل العراق بين النظام و المعارضة" ، 1995.
- 40- حسنين هيكمل محمد ، "حرب الخليج – أوهاام القوة والنصر" القاهرة، مركز الأهرام للترجمة 1999 .
- 41- حسين غازي، "العرب والعالم اليوم" 2005.
- 42- حسين غازي و آخرون، " الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية" 2005.
- 43- حسين هندي عثمان وآخرون، " الأصولية الأمريكية- الخطاب الديني دراسة تحليلية- " المنيا الهدى لنشر و التوزيع، 2005.
- 44- حيدري حسين ، " استخدام القوة في العلاقات الدولية من منظور القوانين الدولية و الفقه الشيعي - -
- 45- دليو فيصل و آخرون، " المشاركة الديمقراطية في تسيير الجامعة " ، قسنطينة، مختبر التطبيقات النفسية و التربوية بجامعة منتوري، 2006.
- 46- دي توكفيل ألكسيس، " الديمقراطية في أمريكا " : أمين مرسي قنديل، القاهرة، عالم الكتب، 1991 3.

- 47- ديفرجيه موريس ، " الأحزاب السياسية " ترجمة اسماعيل علي مقلد، عبد الحسن سعد، بيروت، دار النهار، ط3 1980.
- 48- " أمريكا الوجه.. " ، قسنطينة مؤسسة القبس للنشر و التوزيع، 2005.
- 49- رزيق المخادمي عبد القادر، " النظام الدولي الجديد الثابت و المتغير " ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
- 50- أليستار ، " المعجم الحديث للتحليل السياسي " : سمير الجليبي عبد الرحيم ، بيروت الدار العربية للموسوعات، 1999.
- 51- ريتير سكوت وآخرون، " ... " : 2003.
- 52- زروخي إسماعيل، " لسفة السياسية " ، القاهرة، دار الفجر للنشر و التوزيع، 2001.
- 53- زوزو عبد الحميد، " تاريخ أوروبا و الولايات المتحدة 1914-1945 - " - الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1996.
- 54- زيد مرهون عبد الجليل ، " أمن الخليج بعد الحرب الباردة " ، بيروت، دار النهار للنشر، 1997 .
- 55- " الوجه الآخر للديمقراطية " ، الجزائر، الطريق للنشر و التوزيع، 1990.
- 56- طلعت الغنيمي محمد، " - ، الإسكندرية، منشأة المعارف، .
- 57- طه بدوي محمد " لدولية " ، بيروت، دار النهضة العربية، 1972 .
- 58- " مسألة الهوية- ... " ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995.
- 59- عاروري نصير وآخرون، " 11 " بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.
- 60- عبد الباقي زيدان ، " علم الاجتماع الديني " ، القاهرة مكتبة غريب، 1981.
- 61- عبد العظيم محمد زينب ، " الاستراتيجية الأمريكية العالمية و استمرار الحرب ضد الإرهاب" القاهرة، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2003.
- 62- عبد العظيم زينب، " - العشرين- " ، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2007.
- 63- " الدين و العلم و الإيمان و الدولة في منظور الإسلام " ، القاهرة، دار الفكر 2002.

- 64- عبد المجيد وحيد، " الإرهاب و أمريكا و الإسلام من يطفئ النّار " ، القاهرة، دار مصر 2002.
- 65- عبد المنعم نيفين و آخرون، " صناعة الكراهية في العلاقات العربية الأمريكية " دراسات الوحدة العربية، 2003.
- 66- عبد اللطيف أميمة " المحافظين الجدد- " ، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2003.
- 67- عبد الوهاب علاء، " الشرق الأوسط الجديد-سيناريو الهيمنة الإسرائيلي- " ، القاهرة، سينا للنشر، 1995.
- 68- عبيد الله مصباح زايد، "السياسة الدولية- بين النظرية و التطبيق-" 2002.
- 69- عزيز شكري محمد ، " الإرهاب الدولي " ، بيروت، دار العلم للملايين، 1991.
- 70- عطية الله أحمد ، " القاموس السياسي " ، القاهرة، دار النهضة العربية، ط 3 1968.
- 71- عقاب يحيى ، " " 1999.
- 72- عكنان أسامة ، عبد الحليم ظاهر و آخرون " و التسوية في الشرق الأوسط" ، بيروت، دار 1977.
- 73- "إعصار الخليج...رياح الشرق تهب على مستقبل العالم" ، الجزائر، دار الشهاب، 1991.
- 74- " العلاقات الدولية في التاريخ الحديث و المعاصر " ، بيروت، دار النهضة العربية، 2002.
- 75- " 2001 وتداعياته التربوية والثقافية في الوطن العربي" القاهرة، الدار المصرية، 2002.
- 76- جهاد، " ..نظريات و إشكاليات " ، المنيا دار الهدى للنشر و التوزيع، 2005.
- 77- " ياسية الدولية- دراسة في الأصول و التاريخ و النظريات- " ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر، 2000.
- 78- غارودي روجيه ، " الولايات المتحدة طليعة الانحطاط " ، ترجمة صباح الجهم، و ميشيل خوري، ANEP 2003.
- 79- " العرب و أمريكا بين التطوير و التطويع " قسنطينة، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، 2004.
- 80- " - " ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ج 1 1994.

- 81- " النظرية السياسية المعاصرة-دراسة النماذج و النظرية
فهم و تحليل عالم السياسة- " ، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 1997.
- 82- قدرى سعيد محمد ، " 11 2001 - " ، القاهرة، مطبوعات مركز الدراسات
السياسية والإستراتيجية، 2001.
- 83- قدرى سعيد محمد " الإمبراطورية الأمريكية " القاهرة، مكتبة الشروق، ج 2 2001.
- 84- سكيدمور ج. " كيف تحكم أمريكا " : نظمي لوقا، القاهرة، الدار
الدولية للنشر و التوزيع، 1988.
- 85- سويلم العمري أحمد، " أصول العلاقات السياسية الدولية " ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،
1959.
- 86- سيد أحمد المسير محمد، " 2001 وتوابعه الفكرية " القاهرة، دار
نه 2003.
- 87- سيمونز جيف، "استهداف العراق- العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية"، بيروت، مركز
دراسات الوحدة العربية، 2003.
- 88- سيمونز جيف " -السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط"
سعيد العظم، بيروت، دار الساقى للطباعة والنشر، 2004.
- 89- شريف حسين، " الشرق الأوسط في ظل النظام الدولي الجديد 1981 1995 " ، القاهرة، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، 1996.
- 90- شكري حسين ، " عاصفة الجليد-أمريكا و نهاية الاتحاد السوفييتي- " ، القاهرة، مكتبة مدبولي،
1992.
- 91- " المنهجية في التحليل السياسي- المفاهيم، المناهج، الاقترابات، الأدوات "
ديوان المطبوعات، 1997.
- 92- شوهر مايكل، " الفوقية الامبريالية الأمريكية –
سمة محمد ربه، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2005 .
- 93- " : كامل يوسف، الكويت، سلسلة عالم المعرفة،
.
- 94- صارم سمير، " انه النفط يا (...)- الأبعاد النفطية في الحرب الأمريكية على العراق- "
2003.
- 95- صبري مقلد إسماعيل، " الاستراتيجية و السياسة الدولية- المفاهيم و الحقائق الأساسية-
مؤسسة الأبحاث العربية، 1979.

- 96- صبري مقلد إسماعيل ، " نظريات السياسة الدولية " ، الكويت، جامعة الكويت، 1982.
- 97- صبري مقلد إسماعيل ، " قات السياسة الدولية-دراسة في الأصول و النظريات- " الكويت 4 1985.
- 98- كارول جيمس، " الحرب الصليبية " ، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ج1 2005.
- 99- " العلاقات السياسية الدولية و استراتيجية إدارة الأ " محدلاوي للنشر و التوزيع، 2005.
- 100- كلود أينيس ، " ، ترجمة عبد الله العريان، القاهرة، دار النهضة العربية، 1964.
- 101- كوريت مايكل ، ميتشل كوريت جوليا ، " الدين و السياسة في الولايات المتحدة " فايز ، ناهد وصفي القاهرة، مكتبة الشروق، ج1 2001.
- 102- كوريت مايكل، ميتشل كوريت جوليا ، " الدين و السياسة في الولايات المتحدة " ، ترجمة زين نجاتي، نشأت جعفر، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ج2 2002.
- 103- كنعان حسين، " مستقبل العلاقات العربية- الأمريكية- هل تستطيع USA - " دار الخيال، 2005.
- 104- كيمب جيفري، برسمان جيردمي ، " : خليفة توفيق و علي منصور، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة و النشر، 1999.
- 105- " لإمبراطورية الاستباقية –الدليل إلى مملكة بوش-" : ليلي النابلسي، بيروت، شركة الحوار الثقافي، 2005.
- 106- " الإمبراطورية الأمريكية" ، القاهرة 1 2001.
- 107- لوران إريك، " – الديانة و المعتقدات، الأعمال و الشبكات الخفية-" : سوزان فازان، بيروت، دار الخيال، 2003 .
- 108- " ، القاهرة، دار النهضة العربية، 1973.
- 109- " النظام العالمي الجديد- " ، بيروت، دار العلم للملايين، 1992.
- 110- " في التاريخ المعاصر (1991-1939) " 1996.

- 111- "الأهداف - " ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 2004.
- 112- محمود ربيع محمد، "الفكر السياسي العربي-فلسفاته و مناهجه من أفلاطو -" الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.
- 113- مرقص سمير ، " الإمبراطورية الأمريكية- ثلاثية الثروة..الدين..القوة من الحرب الأهلية إلى ما 11 -" القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2003.
- 114- مظهر الأدهمي محمد، " الطريق الى حرب الخليج " ن ، الأهلية للنشر و التوزيع ، 1997.
- 115- مسون مداري وليام وآخرون، " بيروت، الدار العربية للعلوم، 2005.
- 116- " الإتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية " ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006.
- 117- مصطفى نادية و آخرون، " ن على العراق خريطة أزمة.. " ، القاهرة، مركز البحوث و الدراسات السياسية، 2003.
- 118- " التاريخ الدبلوماسي-العلاقات السياسية بين القوى الكبرى- " القاهرة، الدار الجامعية، 2003.
- 119- " الدستور الأمريكي-أفكاره و مثله- ترجمة صادق ابراهيم عودة، عمان، مركز 1987 .
- 120- موسى نافع بشير ، " المشروع الأمريكي في العراق -" مركز الجزيرة للدراسات، 2007.
- 121- ميسان تيري ، "التضليل الشيطاني - 11 أيلول 2001 هجوم إرهابي أم انه : زهير طالب ، دمشق، الدار الوطنية الجديدة، 2002.
- 122- ميسان تيري، " 11 أيلول الخديعة المرعبة" : سوزان فازان، مايا سليمان 2002.
- 123- ميسان تيري، "الفضيحة: 77 يوم 11 أيلول؟ تحقيق حول الخداع الذي مارسه " : روز مخلوف، بيروت،المركز الثقافي العربي، 2003.
- 124- " إحتلال العراق و تداعياته عربيا و إقليميا و دوليا " ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.
- 125- ناي جوزيف س. () " مفارقة القوة الأمريكية " ، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، الرياض، مكتبة العبيكان، 2003.

- 126- جوزيف () " المنازعات الدولية- مقدمة للنظرية و التاريخ- " : أحمد أمين
الجمال و مجدي كامل، القاهرة الجمعية المصرية لنشر المعرفة و الثقافة العالمية، 1997.
- 127- نجيب محمود زكي، " حياة الفكر في العالم الجديد "، بيروت 2 1982.
- 128- هادي حسن جعفر، " اليهود الحسيديم- نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، تقاليدهم- " 1994.
- 129- هارو فيبي ، لويس ويليام " :
عبد الله جمعه الحاج ، أبو ظبي ، مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية ، 2006.
- 130- هاس ريتشارد ، أوسوليفان ميجان، " -الحوافز و العقوبات و السياسة الخارجية- "
ترجمة إسماعيل عبد الحكم، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة و النشر، 2004.
- 131- هدار ليون ، " - شل السياسة الأمريكية في الشرق الاوسط " : سعيد الحسنية،
بيروت ، دار العربية للعلوم ، 2005.
- 132- هيرش سيمور، " القيادة الأمريكية العمياء -الطريق من 11 أيلول إلى سجن أبو غريب- "
: مركز التعريب والترجمة، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2005
- 133- هيلر مارك و آخ " الدور الإسرائيلي رب الأمريكية على العراق "
هدية، سوريا، مركز الدراسات الفلسطينية، 2005.
- 134- هنتغتون ب.صموئيل، " - التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية- " :
الدين خضور، دمشق 2005.
- 135- هنتغتون صمويل، " ، : مالك أبو شهيرة و
محمد خلف، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع، 1999 .
- 136- "القيادة- د أزمة الخليج" :
بيروت، دار الجيل، 1991.
- 137- هاه السيد، " 11 2001- الإشكالات الفكرية و الاستراتيجية- "
الدار العربية للعلوم، 2004.
- 138- ياسين السيد، " الإمبراطورية الكونية – الصراع ضد الهيمنة الأمريكية – "
النهضة، 2004.
- 139- يحي زلوم عبد الحي، " إمبراطورية الشر الجديدة "، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،
2003.
- 140- يوسف حتي ناصيف، " النظرية في العلاقات الدولية "، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985.

2/ دوريات:

- 1- إبراهيم العسكري سليمان، "أيلول الأسود الأمريكي" 516 2001.
- 2- إبراهيم محمود احمد، " حرب العراق وتحولات الفكر الإستراتيجي الأمريكي " السياسة الدولية 153، جويلية 2003.
- 3- إبراهيم محمود أحمد "حرب الخليج الثالثة: الإستراتيجيات العسكرية السياسية الدولية 158 فريل 2003.
- 4- إبراهيم محمود أحمد، " راق وتحولات الفكر الاستراتيجي الأمريكي " السياسة الدولية 153، جويلية 2003.
- 5- "أمريكا والإرهاب – الحدث والتداعيات –" السياسة الدولية 148، أفريل 2002.
- 6- "طموح أمريكا الامبريالي" : 110، ربيع 2003.
- 7- الأصفهاني نبيهة، " -الأمريكي بعد أحداث 11 " السياسة الدولية 147 2002.
- 8- "الولايات المتحدة وأوروبا بعد 11 - تعزيز الانفرادية الأمريكية والتمهيش -" شؤون عربية 111، خريف 2002.
- 9- " العراق والعقوبات الذكية " السياسة الدولية 145 جويلية 2002.
- 10- العزي سويم، "الإستراتيجية الأمريكية- " 110، ربيع 2003.
- 11- " الإستراتيجية العسكرية الأمريكية و موقعها من السياسة الخارجية الأمريكية " السياسة الدولية 127 1997.
- 12- الشطي إسماعيل، " تحديات إستراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول " 283 2002.
- 13- " مستقبل حركات الإسلام السياسي " السياسة الدولية 148، أفريل 2002.
- 14- "الثابت والمتغير في السياسة الخارجية الأمريكية" السياسة الدولية 161 جويلية 2005.
- 15- "انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2000 " السياسة الدولية 143 2000.

- 16- " التغيير و الاصلاح في المنطقة...إلى أين" عربية 123، خريف 2005.
- 17- " 11 قتصاد الأمريكي وآلية مواجهته لها" الديمقراطية 2، 7، جويلية 2002 .
- 18- الهزاط محمد، "الحرب الأمريكية – البريطانية على العراق والشرعية الدولية" 292 2003.
- 19- الهزاط محمد، " الحرب الأمريكية ضد العراق في ميزان القانون الدولي" 290، أبريل 2003.
- 20- أمين سمير، " بعد حرب الخليج -الهيمنة الأمريكية، إلى أين-" 170 أبريل 1993.
- 21- " أمريكا و العرب- تصورات مستقبلية في ضوء التحولات الدولية الجديدة- " المجلة الجزائرية للعلوم السياسية و العلاقات الدولية : ديوان المطبوعات الجامعية، 1996.
- 22- بن صغير عبد العظيم " مرجعيات الفكرية للحرب على الإرهاب" العالم الاستراتيجي 1 2008.
- 23- بويل أفرانيسيس، " الولايات المتحدة كمحتل محارب- العراق وقوانين الحرب-" 324، فيفري 2006.
- 24- " المعونة الخارجية و الأهداف الأمنية " السياسة الدولية 127 1997.
- 25- "الأمريكيون و الإسلام السياسي – تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الأمريكية الخارجية – " 19 217 1997.
- 26- حجاج كريم، " ملامح الاستراتيجية الأمريكية في القرن القادم" السياسة الدولية 127 1997.
- 27- حسيب خير الدين، " الحرب الأمريكية على العراق ... إلى أين ؟ " 290 أبريل 2003.
- 28- حسين موسوي سيد، " سياسات أمريكا إزاء إيران " 109 2003
- 29- "الولايات المتحدة 11 - تغيرات المجتمع والسياسة " الديمقراطية الثانية 7، جويلية 2002.
- 30- حنا إلياس ، " النظام الدولي والخيارات الأمريكية الجديدة" 105 2001.

- 31- رياض محمد، " - نموذج للهيمنة الأمريكية- " قضايا فكرية 21
2005.
- 32- " دور الدين في السياسة الخارجية الأمريكية- الأزمة العراقية نموذجاً- " السياسة الدولية 153، جويلية 2003.
- 33- " السياسة الخارجية الأمريكية و هيكل النظام الدولي " السياسة الدولية 153، جويلية 2003.
- 34- " تغيير الثقافة بإستخدام السياسة- الولايات المتحدة وتجربة العراق- " 294 2003.
- 35- فاروق عبد العظيم أحمد، " النموذج الأمريكي الديمقراطي: " السياسة الدولية 135 جويلية 2003.
- 36- فرسون سميح، " جذور الحملة الأمريكية لمناهضة الإرهاب " 184 2002.
- 37- " - إستراتيجيات التنمية في ظروف الأزمات " 295 2008.
- 38- قانصو وجيه " 11 أيلول/ " 105 2002.
- 39- " الولايات المتحدة والعولمة .. معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين " 299 1998.
- 40- سيد أحمد أحمد، " الأزمة العراقية ودور مجلس الأمن في حفظ السلم والأمن الدوليين " السياسة الدولية 135، جويلية 2003.
- 41- سيد أحمد عبد الله، نوري علي طلعت، " - تكنولوجيا و آفاق- " العسكرية 4 1988.
- 42- شعبان عبد الحسين، " حتلال الأمريكي للعراق - الحرب الأهلية هل يصبح الأمر الواقع واقعا " 336، فيفري 2007.
- 43- شلبي أمين، " سياسة إدارة كلينتون الخارجية في إنجاز أم فراغ استراتيجي " السياسة الدولية 144، أفريل 2001.
- 44- " - " 195.
- 45- لح الدرويش قصي، " العرب والحرب الأمريكية " 14 2001.

- 46- ضياء جعفر جعفر و آخرون، " - الإتهامات و الحقائق- " 307 2004.
- 47- " جرائم الحرب الأمريكية في العراق: رسالة إلي كوفي أنان الأمين العام للأمم " 301 2003.
- 48- لكريني إدريس، "الزعامة الأمريكية - مقومات الريادة وإكراهات التراجع-" 291 2003.
- 49- محمد حسام سويلم لواء، "الضربات الوقائية في الإستراتيجية الأمنية الأمريكية الجديدة" السياسة الدولية 150 2002 .
- 50- محمد حسين زهرة عطا "الإدارة الأمريكية والمسألة العراقية" عربية 110 صيف 2002.
- 51- " الصين و الولايات المتحدة جوهر الخلاف " السياسة الدولية 126 1996.
- 52- محمد سليمان عادل، "الحملة الأمريكية على الإرهاب خارج أفغا " السياسة الدولية 148، أبريل 2002.
- 53- محيو سعد وآخرون "إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي" 110، ربيع 2003.
- 54- مزاحم هيثم " السياسة الخارجية الأمريكية بـ 11 أيلول " 107، صيف 2002.
- 55- "العلاقات العراقية الكويتية و الدور الأمريكي" 5، فيفري 2001
- 56- " التنافس الفرنسي الأمريكي في الخليج و الشرق الأوسط " العالم الإستراتيجي 2، أبريل 2008.
- 57- "وجهة نظر في الرؤية الأمريكية تجاه العالم العربي" السياسة الدولية 153 جويلية 2003.
- 58- " المثقف العربي و الأمير الأمريكي " 289 2003.

3/ أعمال غير منشورة:

- 1- " ية بين المصالح الأمريكية و التسوية للصراع العربي الإسرائيلي 1980 " ، رسالة دكتوراه دولة في العلوم السياسية- علاقات دولية- 1990.

/4 :

- 1- جريدة الأحرار، العدد 1885 2004/05/15.
- 2- جريدة الجمهورية (المصرية) 8989 2004/11/19.
- 3- جريدة 314 10 2005/9/16.
- 4- جريدة الشروق اليومي، العدد 1191 2004/09/26.

باللغة الأجنبية

:

- The National Security of the United State of America, September 2002.

:

/1 :

بالفرنسية:

- 1-Aroua Ahmed, **Islam et démocratie**, Alger: Edition maison des livres, 1990
- 2- Bennoune Mohamed, **confits internes**, bibliothèque de droit international, Paris 1971.
- 3- Careau Dominique, **Droit international**, 3ème Edition – Apedone N 1, 1991.
- 4- collit Andrie, **Armement et conflits contemporains de 1945 a nos jours** , Armon colin Paris, 1993.
- 5- Garaudy Roger, **le terrorisme occidental**, Alger : Edition Dar El Ouma, 1^{ere} édition, Septembre 2002.
- 6- Jacques Jean (Roche) , **théories des Relations Internationales**, 2ème ed, Paris, Montchrestien, 1997.
- 7- Lameus Henery, **Le canard jeu orrient ; arabe et revalidés internationale depuis 1945**, Armenor collin, paris 1991.

8- Sahah Setin, **la crise du golf de l'interdictions a l'autorisation du recours a la force**, bibliothèque de droit internationale Tom 107 Paris 1993.

9- Ritter Scott, **Guerre a l'Irak ce que l'équipe Bush ne dit pas** , Bussire Camendan Imprimeries, France 2002.

بالإنجليزية:

1- Emmanuel Todd, **Après l'empire** , Edition Gallimard, France 2003.

2- Gold Stein Joshua, **International relations** (1996) Harpercollins college .

3- Maamerie Fatima, **A History of the United States** , imprimerie de l'université Mentouri Constantine, 2004.

4- Rasenau James N. , **the united nations in a turbulent world**, international peace academy, occasional paper series, London, Lynne Rienner, Publishers, 1992.

5- - Wight Martin, » **Power Politics** », 2nd edition, Penguin books, London, 1982

2/ دوريات:

بالفرنسية:

1- Grand Camille, **la défense antimissile : un nouveau paradigme stratégique**, politique étrangère, Octobre, Décembre 2001.

2- Jean-Luc Maret , **le 11 septembre 2001 ou le terrorisme entre XX^e et XXI^e siècle** , annuaire français de relations internationales 2002.

3- lemenier Bertrand , **la notion de guerre juste**, revue et corrigée par le libéralisme, le québécois libre, 12/04/2003, N° 523.

4- Mareau Philipe Defarge, **La guerre préventive**, défense nationale, 58 année ; octobre 2002.

- 5- Marie Paul, **ce dangereux concept de guerre préventive**, le monde diplomatique no 582 C septembre 2002.
- 6- Marie Paul, **Washington et la maîtrise de monde**, le monde diplomatique, Avril 1992.
- 7- Simon Malley: « **Qui? Pourquoi ?** », Afrique Asie, N° 145, Octobre 2001.

بالإنجليزية:

- 1- Rhodes Eduate, **The imperial logic of Bush's Liberal Agenda**, surviral, vol 45.no.1, spring 2003.
- 2- Nye Joseph S , **US Power and strategy after Irak**, Foreign Affairs, Vol82 n°4, July/August2003.

3/ الأنترنت:

- 1- <http://www.kfupm.edu.sa/user%5cgs423040/bbdu33.htm>.
- 2- <http://weber.uesd.edu/mhiseox/240htm>.
- 3- copyright@wickedness.net/ejvln2/ejvl2Lowe.pdf.
- 4- Lemennicier.bwm-mediasoft.com/col_docs/doc63Fr.pdf.
- 5- <http://www.alwatan.com.sa/daily/writers/writers08.htm>.
- 6- <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=27620>.
- 7- www.gonzagajil.org/pdf/volume1/Deforrest/Deforrest/pdf.
- 8- <http://www.alarabnews.com/alshaab/gif>.
- 9- www.istame.apapandreou.gr/files/pdf/walzerenglish.pdf.
- 10- <http://www.alghad.jo/?news=37416>.
- 11- <http://www.ofouq.com/today/modules.php?>.
- 12- <http://www.euit.org/article-read.asp?>.
- 13- <http://www.altasamouh.net/Article.asp?id=158>.
- 14- <http://boubouche.blogs.ma/tg.php?id=>.

- 15- <http://www.w3.org/1999/x>.
- 16- <http://www.qudsnet.com/arabic/news.php> ?.
- 17- <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp> ?.
- 18- <http://al-ammal.org/v2/web/index.php> .
- 19- <http://www.w3.org/TR/Xhtml1/D/D/xmtl>.
- 20- <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=91575>.
- 21- <http://www.islamtoday.net/september11/ecal.html>..
- 22- <http://boubouche.maktoobblog.com>.
- 23- www.islamonline.net/arabic/politics/2002/09/article17.shtml.
- 24- <http://www.oxan.comsample-0.html>.
- 25- http://furat.alwehda.gov.sy/_archive.asp?filename=web65.rallins.edu/~ebouris/jervis.%20r.pdf.
- 26- <http://www.aldor.com/vb/showthread> .
- 27- <http://www.alarabnews.com/alshaab//11-02-2005/24.htm>.
- 28- http://www.independent.org/pdf/tir/tir_103_08_calhoun.pdf.
- 29- <http://www.KKmaq.gov.sa/Detail.asp?InNewsItemID=209151>.
- 30- <http://www.alarabnews.com>.
- 31- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=10202> .
- 32- <http://ar.Wikipedia.org/Wiks>.
- 33- <http://www.palestine-info.info/arabic/palestoday/press/recent/eraq-q.htm>.
- 34- <http://www.26sep.net/newsueekpint.php?ing=arabic&sid=1500>.
- 35- <http://www.iraqansi.org/heurs.php>?
- 36- <http://www.allark.net/ar-articles2008/0508/khsa2-040508.htm>.
- 37- <http://www.annabac.org/nbanews/69/160.htm/10/9/2002> .
- 38- <http://www.oafaq.org/news.aspx>.
- 39- <http://www.islamonline.net/sewlt/sawlet?/10/9/2008>.
- 40- <http://www.allark.net/ar-articles2008/0308/najib-160308.htm>.

- 41-<http://www.al-moharer.net/mah266/a-h-resheed266h.htm>.
- 42- <http://www.j-aliraq.net/akbaar%20wa%20hkaeek00048.htm> .
- 43-[http://www. Ahewar.org/debar/show.art.asp ?aid=84786-11/9/2008](http://www.Ahewar.org/debar/show.art.asp?aid=84786-11/9/2008)
- 44-<http://www.moheet.com/show-news.aspx?nid=100818> pg.
- 45-[http://www.albasrah.net/ar-articles2008/0708/najeb 140708.htm](http://www.albasrah.net/ar-articles2008/0708/najeb%20140708.htm) .
- 46- <http://www.gylfinhemedia.com/indox.php?>
- 47-[http://news.bbc.co.uk/ni/arabic/talking-point/newsid.](http://news.bbc.co.uk/1/hi/arabic/talking-point/newsid.)
- 48-<http://www.moheet.com/show-news.aspx?nid=1552248fpg=2/4/9/2008>
- 49-<http://www.allsrk.net/maqalat-mukhtara/arabic1664/ftloui-2706ou.htm>.
- 50- [www.strategic studies institute.army.mil/pdf files/PUB223.pdf](http://www.strategicstudiesinstitute.army.mil/pdf/files/PUB223.pdf).